

معجم الخطباء

تأليف
د. خليل السيد حسن

الجزء الأول



معجم الخطباء

تأليف
د. خليل السيد حسن

الجزء الاول

علي صراط الحق



معجم الخطباء

تأليف

د. خالد السيد حسين

الجزء الأول



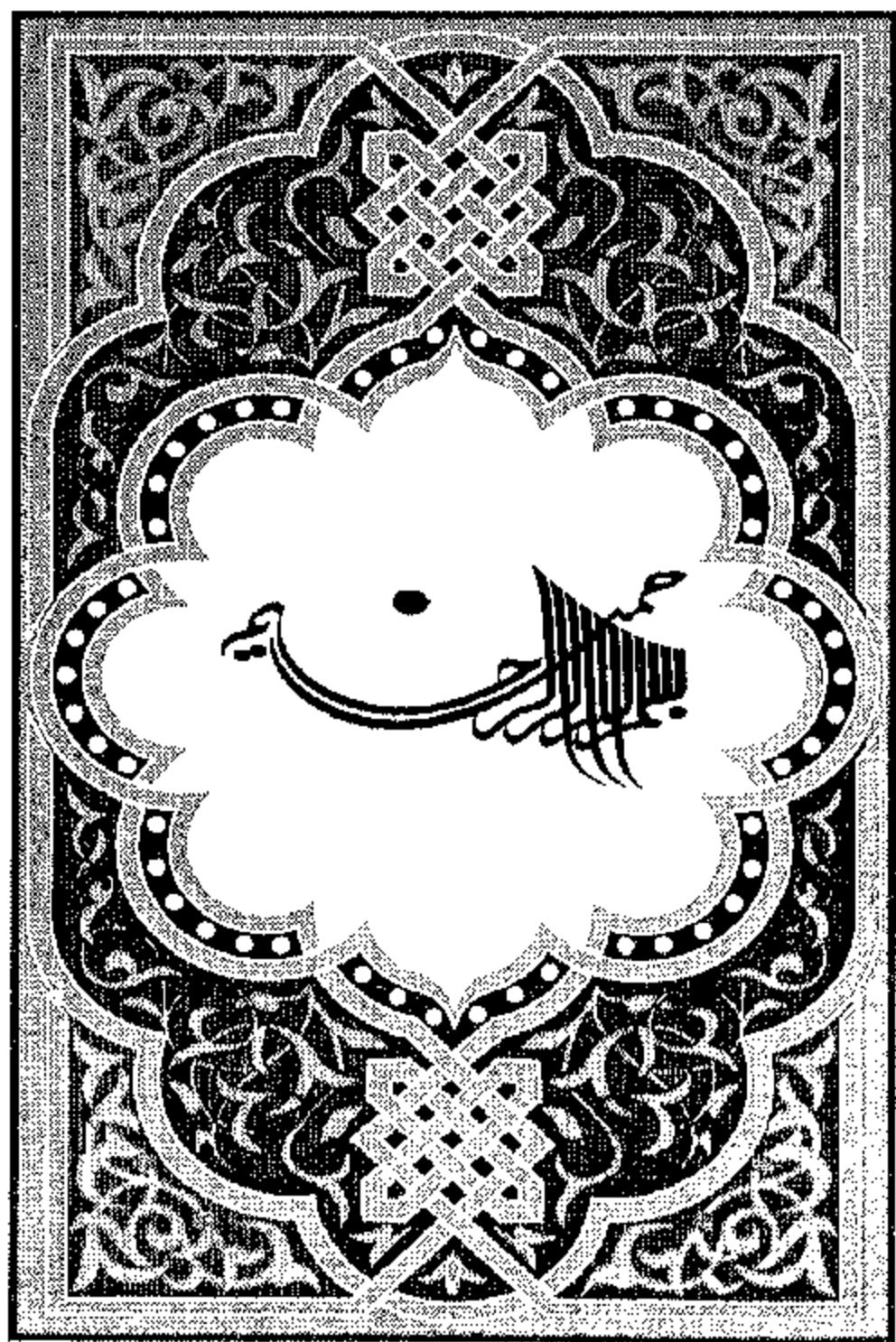
مع تصانيف علي صراف الحق

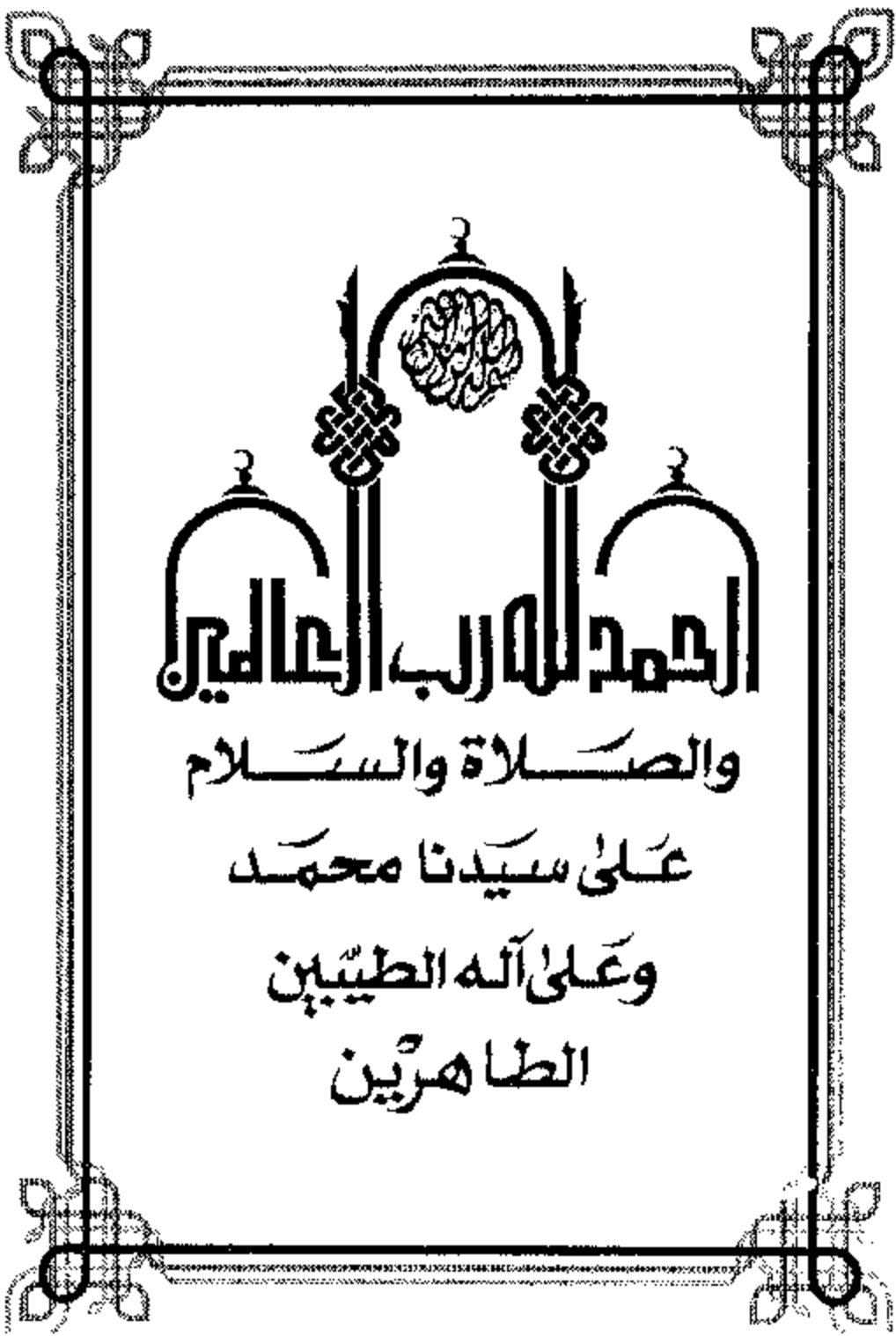
المؤلف:

- الهوية الحقيقية أو بطاقة التعريف بمؤلف الكتاب انه من اقل خدام سيد الشهداء ابي عبدالله الحسين (ع) انا غمرني بقبوله وادرجني في عداد خدامه، وكفى بذلك فخرا وعزا وشرفا في الدنيا والاخرة.
- ولد عام ١٩٥٢ م بمدينة الخضر على ضفاف الفرات الأوسط من محافظة المثنى بالعراق.
- انتقل الى النجف الأشرف عاصمة العلم ومركز الدراسات الدينية عام ١٩٦٧ م ولتنسب لحوزتها العلمية، وتلقى تحصيله ودراسته في جامعتها الكبرى عبر حلقاتها ودوراتها الدينية.
- مارس الخطابة منذ نشأته الأولى ولازال يمارس شرف الخدمة الحسينية في الكويت ودول الخليج الأخرى وغيرها منذ أكثر من ربع قرن
- له بعض المحاولات الشعرية المتواضعة مطبوعة ومخطوطة
- مؤلفاته المطبوعة:
 - ١ - من لا يحضره الخطيب ٤ مجلدات
 - ٢ - ادب المنبر الحسيني صدر منه الجزء الأول
 - ٣ - معجم الخطباء تصدر أجزاءه تباعا بانن الله.

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة
الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

المؤسسة العالمية للثقافة والاعلام
بيروت - لبنان





الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام

على سيدنا محمد

وعلى آله الطيبين

الطاهرين



صور العمر في سجل الحياة
ليس يبقى منها سوى الذكريات
فاذكروني بالخير ما دمت حياً
واقروا لي القرآن بعد عماتي

الاهداء

اليحي يا ابا عبد الله

يا سيد الشهداء هدي سيرة

للسالطين بنور هدي الوضاع

تهدي اليحي ومن سواي من الورى

تهدي اليه تراجم الطباع

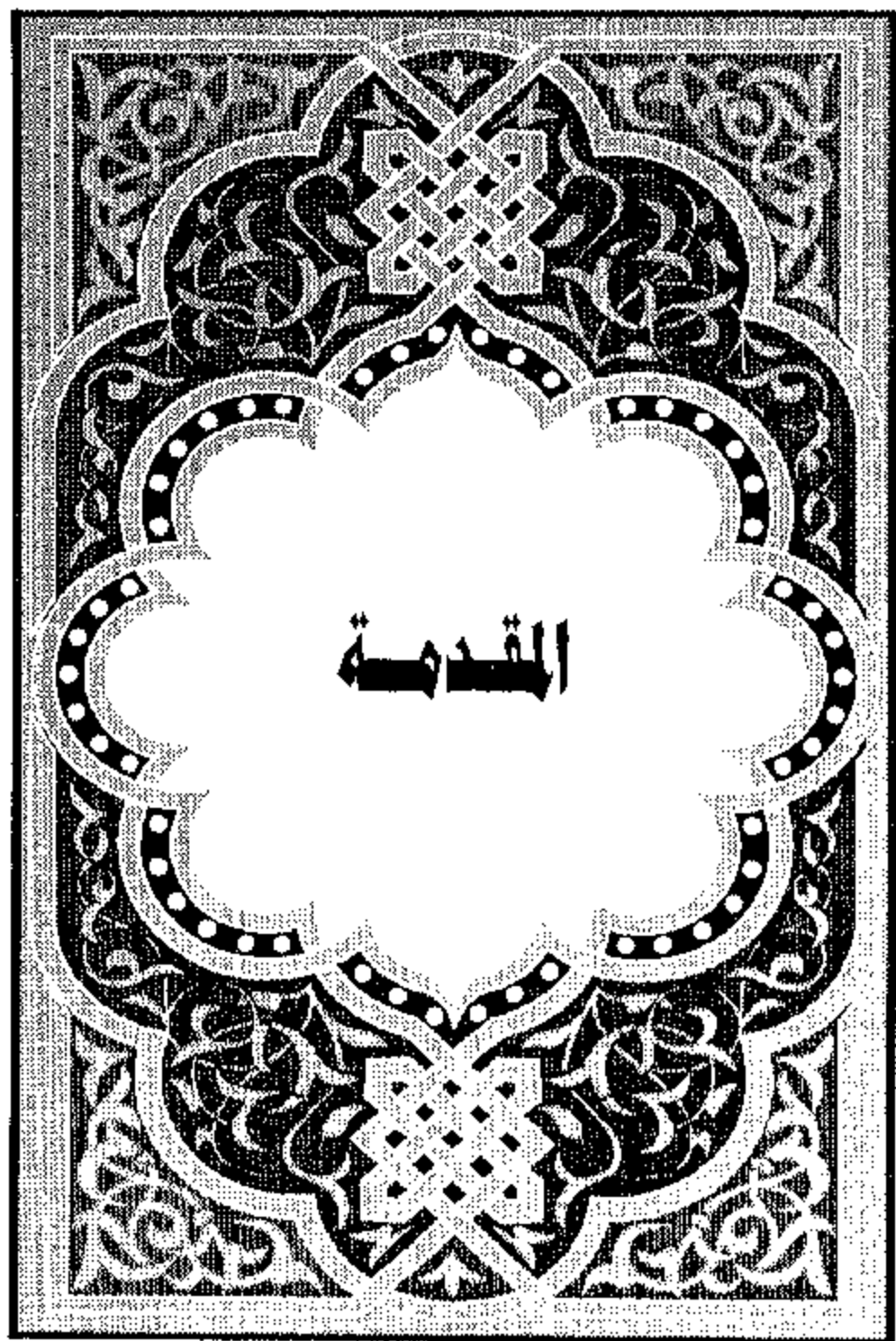
سيدي يا ابا الاعراب

هؤلاء رجاله خدمتكم وطبعا منابرهم

أتأذن لي أن أرفع لسماع عظمتكم ومجربة مقامكم

هذا العمل المتواضع تعريفاً بهم ودراسة لتفصيالتهم

وهله تتجرم علي بمسألة القبوله ونفحة التوفيق



(معجم الخطباء) بطاقة التعريف التي يقدمها الكتاب في البوابة الخارجية، والهوية الشخصية التي يبرزها في مدخل الحديث عنواناً وتعريفاً بسير وتراجم دعاة الحق ورواد الفضيلة وحملة المبادئ ورسول الإصلاح الاجتماعي.

لقد تبرعت هذه الشريحة الرائدة من الخطباء من عمق المسألة وانبثقت من بين الدمع والدم، وتبلورت من جلالته الحدث المروع الذي حلّ بأهل البيت الطاهرين عليهم السلام في واقعة الطف.

لذا تميزت من بين خطباء العالم بأسلوبها الساخن المفعم باللوعة والأسى والمطربوع بالمعاطف والدموع والمشبع بالزفرات والعبرات والآهات المحترقة.

إن خطباء المنبر الحسيني - وبكل فخر واعتزاز - يشكلون حلقات الوصل بين الأمة وقيادتها الشرعية ويمثلون أهم الروافد الفاعلة في بناء المجتمع وتوجيه الجماهير توجيهاً سليماً يرتكز على أسس القرآن وتعاليم الإسلام، ويستقي عقيدته من منابعها الأصيلة، ويتهل ثقافته من المصادر الموثوقة، ويتلقى المبادئ الثابتة وروائع الأفكار من مدرسة أهل البيت عليهم السلام بأمان واعتماد.

وقد يوحي عنوان (معجم الخطباء) مفهوم الشمول والاستيعاب لكل خطباء العالم، أو على الأقل الإسلامي، كمعجم الأدباء للحموي، ومعجم الأطباء للخليلي، ومعجم

الشعراء للمرزباني، وغيرهم، وبطبيعة الحال اني اتمنى ان يكون عملي متكاملأ شاملاً ملأً محيطاً بكل هذه الشخصيات من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

إلا أن عمل كهذا من السعة والشمول ما يحتاج معه إلى مؤسسة ضخمة وأساتذة وكوادر متخصصة في متابعة هذه التراجم، وجمع هذه السير، وسهر التواريخ، وتقصي الحقائق، والبحث والتنقيب والملاحقة في السفر والحضر، والسياحة العلمية في مختلف أنحاء العالم.

وهذا ما لا يقوى عليه أمثالي وان أقحمت نفسي وتورطت في زجها بهذا الميدان فلا بد من التوقف عند خيارين:

الأول: الأسلوب التسديريجي بدءاً من خطباء المنبر الحسيني (فالأقربون أولى بالمعروف) ثم التدرج في خطباء المساجد عموماً، وخطباء العالم.

الثاني: أسلوب الاقتراح على الأساتذة ورواد العلم والأدب أن يشتركوا في هذا المشروع متعاونين متآزرين، فيتخصص كل منهم بشؤون محيطه وحدود قدراته، فأشقائنا الخطباء من غير الإمامية ينبري أحدهم ليكتب في تراجم زملائه الخطباء، وآخر يتخصص بالكتابة عن الخطباء العالميين، وثالث بخطباء التاريخ وهكذا حتى يتكامل هذا العمل ويأخذ شكله وحجمه الموسوعي الكبير.

هناك ملاحظة أخرى حول عنوان الكتاب وهي أن كلمة

(معجم) في اللغة العربية، وهي من أعجم الكلام أي ازال
عجمته وابهامه وفسره، وحروف المعجم هي الحروف الهجائية،
يبد أن هذا الأمر يتعلق بمعاجم وقواميس اللغة العربية،
والالتزام في أبحاثها بتسلسل الحروف الهجائية، ونسجت
المعاجم الأخرى على المتوال نفسه، وسلكت ذات الطريق، لا
تحيد عن الالتزام بالأحرف الهجائية، ولا شك أن هذا الأسلوب
يوفر الكثير على الباحثين، ويختصر الجهد والوقت لاستخراج
الشخصية المطلوبة بيسر وسهولة وفق نظام الحروف، وطبعاً هذا
قبل عصر السرعة وأنظمة الكمبيوتر المدهشة التي تستحضر لك
بغيتك ومرادك بكبسة زر.

إلا أن السير وفق هذا البرنامج قد لا يتهيأ لي نقداً، بل
يعرقل انجاز العمل، ويجمد حرارة المشروع حتى يتكامل وتنتهي
فصوله، وهذا ما يحتاج إلى وقت طويل ولا ندري عاقبة
الظروف المتقلبة والأحوال المتصرفة.

ولا أتصور أن في اختراق هذه القاعدة مخالفة للوحي
والتزليل، وإنما هي قاعدة وضعية لست ملزماً بحرفيتها، وإلا
سأكون خارجاً على نظام المصطلحات وقانون الألفاظ، فليست
هذه قواعد نحوية، ولا مصطلحات منطقية، ولا قوانين أصولية،
يعد الخروج عليها تجاوزاً واختراقاً لتلك القواعد المعمول بها
والمتسالم على صحتها وتطبيقها.

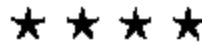
وعلى كل الأحوال فاني التمس العذر في عملي إن لم ألتزم بما
هو متبع في نظام المعاجم، فالأمر متعذر سلفاً، وقد يتيسر -

بعون الله - مستقبلاً عند تكامل المشروع وفي طباعته اللاحقة،
وعسى أن يقبض الله سبحانه وتعالى من يعيد صياغته وتبويبه
حسب القواعد المتبعة والأنظمة المعمول بموجبها تقليدياً.



كما أود الإشارة أن لا مدخلية لمكانة الخطيب ومنزلته
العلمية، ودرجته الخطابية، في تبويب الكتاب، وتقسيمااته الفنية،
وتسلسل أسماءه وشخصياته المترجمة، وإنما سلكت في ذلك
الطريق الجاهز، وقدمت ما يتوفر ويتهياً لدي من التراجم التي
بادر أصحابها بتقديمها أولاً بأول، وبغض النظر عن الاعتبارات
والأعراف الأخرى.

وربما يتوهم البعض أن في عرض هذه السير وكتابة هذه
التراجم شيئاً من المحاياة والانحياز أو التأثير بصداقات حميمة أو
علاقات قريى تربطني ببعضهم، والبخس والاجحاف والتقويم
غير الموضوعي وعدم الانصاف للبعض الآخر منهم، فلا أزكي
نفسي ولا أدعي العصمة، ولكني أحاول جاهداً تحري الأمانة
التاريخية، والزم قلمي الانتصار على جراح الهوى، ورضائب
النفس الأمارة، وسلوك طريق النزاهة والحياد والموضوعية ما
استطعت إلى ذلك سبيلاً، لاعتقادي بأن خيانة التاريخ سلباً أو
إيجاباً من أبشع الخيانات، وكيل المديح والاطراء لتقويم هذه
الشخصيات، والبخس والغمط لتلك الأخرى بناء على روابط
خاصة ومؤثرات شخصية عمل يفتقر لموازين المسؤولية بل
لأبسط قواعد الشرف والأمانة وآداب وأخلاق حرية الكتابة



ولا يخفى أن علم الرجال وفن التراجم من العلوم والفنون التي تصدرت قائمة البحوث والدراسات في الدوائر العلمية والمجامع المتخصصة للضبط والتقويم والتزكية، وخصوصاً في مجال اعتماد القضايا العقائدية، واستنباط الأحكام الشرعية، فلا بد لمن يتصدى لهذه المبادئ أن يخوض في غمار هذا العلم، وأن يحيط بشعبه وفروعه، ويلم بقواعده وأصوله، ولذا يتحتم على الدارس والباحث الموضوعي أن يتجرد عن المؤثرات الخاصة، والعوامل الشخصية المنحازة بل وحتى الالماح والإشارة لبعض الشطحات والمحاكات السلوكية التي قد تغضب البعض ولا تروق لهم، غير أن شرف الأمانة العلمية، ومقتضيات البحث النزيه يستدعي عدم اغفال هذه الجوانب وفناء للتاريخ واثباتا للحقيقة، وهذه نزعة ريباً يدعيها الكثير من الكتاب والمؤلفين نظرياً دون الالتزام بتنفيذها عملياً فنجد طغيان المحاباة، وسلوك التسلف والتسورط بأساليب الملق الرخيص من أجل أوهام المصالح واحتمالات المنافع وأرضاء هذا ومراعاة ذاك نظراً لما يمتلك من ثقل اجتماعي أو نفوذ ديني أو عناوين عريضة أخرى تكون ستاراً لإخفاء كثير من المؤاخذات والممارسات السلوكية.

وقد يتعرض الباحث الموضوعي عند جرأته وصراحته في وضع النقاط على الحروف والتقويم الحقيقي وتشخيص مواضع النقد، وتحديد مواقف الضعف والإشارة إلى المفارقات والشواهد

المؤسفة إلى مزيد من العناء والجدل من قبل المغفلين والمخدوعين
ببريق بعض الشخصيات الملمعة وصيتها المذهب وشهرتها
الكبيرة فيسلكون طريق الغلو والتطرف والافراط في اصفاء هالة
من الحصانة الساذجة، واحكام طوق وسياج عاطفي حول تلك
الشخصية لئلا يتسرب اليها نقد علمي أو تقويم موضوعي.

وما زال القصد وجه الله، والرائد وجه الحق والصدق،
والهدف اظهار الحقيقة والالتزام بأمانة التاريخ، فيتحتم - حيثذ
- الصبر والجلد على وعورة هذا الطريق واجتياز الصعوبات
بضمير مطمئن ونفس راضية.



وإذا تخطينا الحديث عن فن تراجم الرجال في ميدانه العام إلى
تراجم رجال المنبر الحسيني، هؤلاء الدعاة المصلحون، والألسنة
الناطقة بالصدق والداعية للحق نجد أن في دراسة حياتهم
وتسليط الأضواء على سيرهم والاعتناء بتراجمهم وتاريخهم
وسائر شؤونهم مزيداً من العظات والعبر والدروس والتجارب.

ولاشك أن هذه الشريحة المتميزة المرتبطة بصميم المجتمع
والتي تلتقي الجماهير بشكل دوري ومنتظم في مواسمه
ومناسباته الاجتماعية والدينية، جديرة بالدراسة والاستفادة مما
تطرح وتتناول وتبدع وتمارس من أفكار وطروحات وتوجيهات
في التاريخ والسياسة والاجتماع والفقهاء والأدب وسائر الفنون
والثقافات والمعارف الأخرى.

فالخطيب الحسيني هو المدرسة المتحركة والمؤسسة المتحركة والطاقة الموجهة التي تتفاعل مع مختلف طبقات المجتمع، وتتحمس آلامه وتشخص علله وأسقامه، وتصف له الدواء الناجع والعلاج النافع بالطرق التربوية والأساليب الثقيفية.

هذا اذا خلصت هذه المؤسسة من الشوائب والطفيليات، وتحكمت بها حرارة الاعتقاد وطهارة الضمير وسلامة النية واستشعار المسؤولية واخلص الهدف ونبذ الفوضى والتسيب، فان من المؤسف حقا أن تكون الأبواب مشرعة على مصاريعها لمن هبَّ ودبَّ، وأن يقتحم قدسياتها بعض الفاشلين والانهزاميين والبائسين لأهداف تجارية وغايات مريبة فيتلبسون بلباس المخلصين وربما يتمصون موقع الصدارة لاسيما ان الطريق مفتوح بلا ضوابط ولا مقاييس، وحيثما تتعطل الطاقات الحقيقية والكفاءات المخلصة، ويلتبس الأمر، ويختلط الحابل بالنابل، ولاشك أن المسؤولية المباشرة تقع بالدرجة الأولى على عواتق ذوي النفوذ، والكلمة المسموعة، والشخصية المؤثرة من الخطباء والعلماء الذين هم ثقلهم الاجتماعي ومكانتهم الدينية.

بينما نرى بعض الواجهات العريضة من خطباء المنبر الحسيني لا يفكرون إلا بأنفسهم ومصالحهم، ولا يتحسسون المسؤولية الخطيرة الملقاة على عواتقهم، بل انهم يتصدون للاستخفاف والتجريح والتشهير والمهاترات والالتهامات الرخيصة لكل نشاط من الأنشطة المخلصة، ولكل عمل هادف يستهدف تقويم وضبط واصلاح حالات التسيب والترهل الحاصل، بل يضع

البعض نفسه في معادلة مستमितه ومواجهة حقيقية مع من هم في عداد طلابه وتلامذته فيحارب كل من تسول له نفسه الرقي والتقدم والنجاح في مضمار عمله وفي ميدان اختصاصه ليحتكر الدنيا والآخرة وليبقى الرقم المتميز الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، وان عندي من الأرقام والشواهد ما لا يليق ذكره وما يتعثر القلم عن تسجيله حياة وترفعاً، ولا بد للتاريخ أن يتحدث والأقلام أن تدون ويأخذ كل ذي حق حقه ونصيبه بموازين العدل ولا يصح الا الصحيح (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) (١).



ولا أدعي بأنني السباق والمبتكر والمبادر لطرح هذا الموضوع، وطرق هذه التراجم وانما تبقى فضيلة السبق ومبادرة التأليف بحجة باسم الأستاذ الخطيب الشيخ حيدر المرجاني صاحب كتاب (خطباء المنبر الحسيني)، ولو لم يكن من حسنات هذا الرجل إلا جمعه المفهرس، وتسجيله المتسلسل لعدة أجيال من الخطباء وتثبيته لتواريخ ولادتهم ووفياتهم، ونشر معظم صورهم التي هي بحكم المفقودة اليوم، ثم اشارته إلى بعض المعلومات الأساسية، وإن كانت أوليات بسيطة غالباً ما اتخذت روتيناً موحداً بأن الخطيب الفلاني ولد ونشأ ودرس فهو من خطباء المنبر الحسيني.

(١) الرعد / ١٧ .

والكل من زملائنا وجيلنا الذين نشأنا معاً في النجف الأشرف يتذكرون كيف أن المرجاني كان يقصدنا ملاحقاً ومطالباً بصورة وترجمة ودينار للطباعة وكان هناك من يتملص من هذا الالتزام الذي أوضح أخيراً أهمية هذه الخدمة وضرورة هذا العمل الجدير بالتقدير والعرفان.

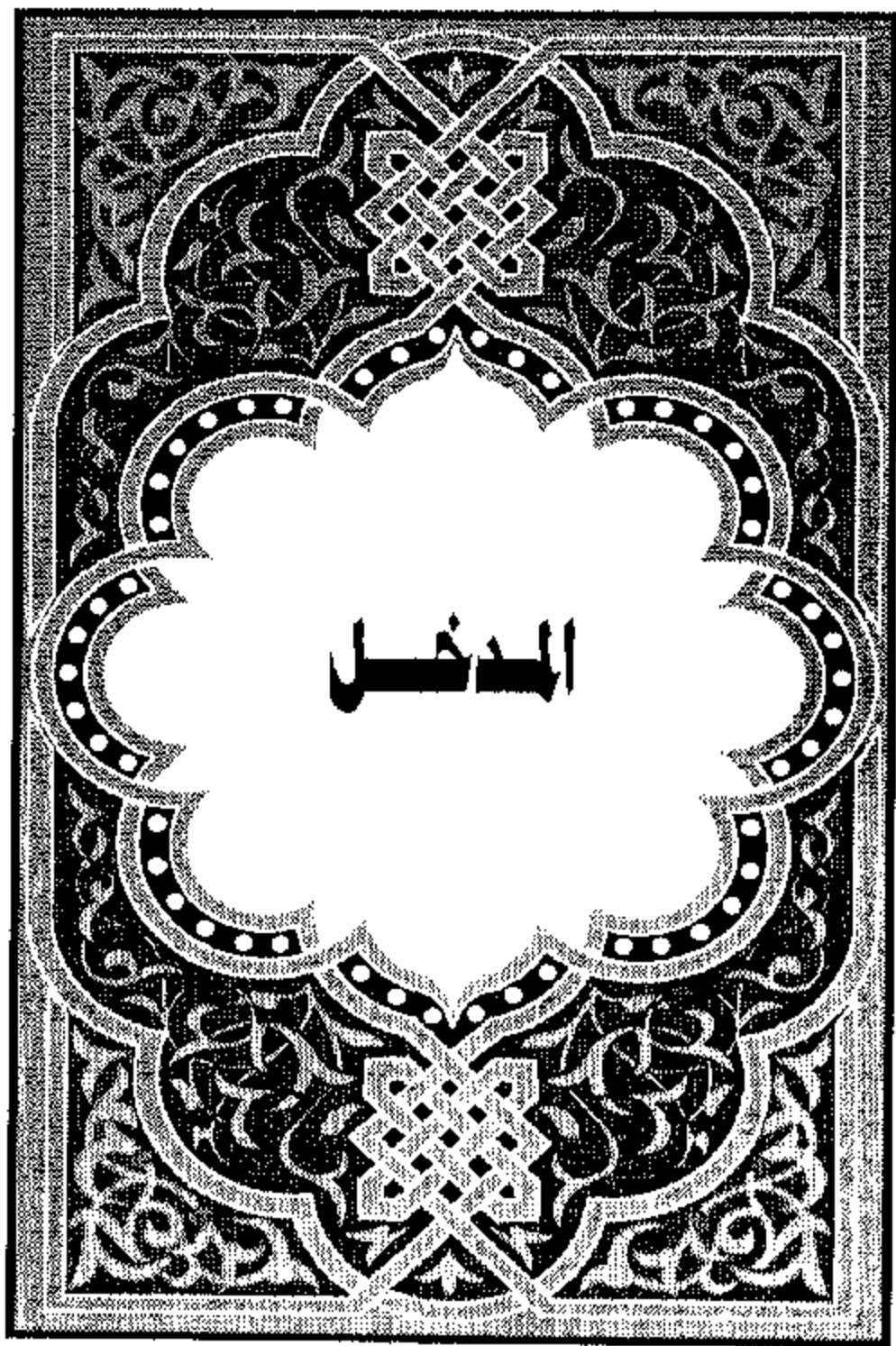
وقد تبرم المرجاني وضاق ذرعاً على صفحات كتابه المذكور من اولئك الذين لا يتعاونون معه في مشروعه الهام، متذرعين بمختلف الذرائع ومتحججين بشتى الحجج تملصاً واستخفافاً بأهمية هذا العمل وروعة هذا الانتاج.

وربما لاحت لي بعض البوادر لهذا التقاعس والتردد والمماطلة من قبل البعض، الا ان لي من مساندة أساتذتي ودعم اخواني وزملائي وتشجيعهم وتطلعهم لتحقيق الهدف وانتهاء المشروع بشوق ولهفة وحسن ظن، ما يكون محفزاً على التصميم في المضي قدماً واجتياز الحواجز، وعبور العقبات، والتمرد على الشيطان والاحباط حتى النهاية - باذن الله - والحمد لله أولاً وآخراً.

داخل السيد حسن

الامارات العربية المتحدة

غرة محرم لعام ١٤١٦ هجرية



الذليل

في مدخل العرض لسير هؤلاء الأعلام، وفي دياجة التصدير لتراجم السنة الشرع وحماة العقيدة، وفي مطلع الحديث والدراسة وتسلط الأضواء على تاريخ هذه الشخصيات التي تمثل الأعمدة الهامة لمؤسسة المنبر الحسيني، والألسنة الناطقة التي تستمد مقومات آرائها وأفكارها من منابع أهل البيت عليهم السلام ومن معين سيرهم، ومصادر تاريخ حياتهم الحافلة بأروع النماذج الإنسانية في قيمها ومثلها العلياء، لا بد لنا من إعطاء نظرة إجمالية، ورسم صورة سريعة عن الخطابة والخطباء، وأدوار التأسيس التاريخي للخطابة الحسينية، وماهي الأسس التي ارتكزت عليها مؤسسة المأتم الحسيني، وماهو الدور الهام الذي لعبه المنبر الحسيني في الإعلام الديني والثقافة الإسلامية وربط العقيدة بالعواطف الجياشة في ولاء أهل البيت عليهم السلام، والدفاع التاريخي عن الحقوق المهدورة والتراث المنهوب، والظلمة الكبرى التي حلت بساحة البيت الطاهر لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.



الخطابة

لا شك أن الخطابة علم مستقل وفن أصيل مارسه الإنسان منذ أقدم العصور والأدوار التاريخية التي نخطاها في الحياة بمختلف اللغات والألسن العالمية، بهدف الدعوة والإقناع والثقافة والإعلام، وتمثل الخطابة في المقدرة البيانية والبراعة في مواجهة الجمهور بطرح الآراء وعرض الأفكار وحمله على تقبلها والتفاسل معها واستمالة لتأييدها والإيمان بها.

وقد عرف أرسطو علم الخطابة بأنه القوة القادرة على الإقناع.

وإذا رجعنا إلى تاريخ الحضارات القديمة نجد أن الأمم والشعوب العالمية كانت تمارس هذا الفن، ودونت أصوله وقواعده في سجلات حضارتها وتاريخها الإنساني كالحضارة اليونانية والرومانية والهنود القدماء والفرعنة والآشوريين والبابليين، فضلاً عن الحضارة العربية قبل الإسلام وما عندهم من أسواق أدبية، وأساليب خطابية، وشخصيات اشتهرت بفصاحة اللسان وبراعة البيان كسحبان وائل وقس الإيادي وكعب بن لؤي وغيرهم.

وقد مارس الأنبياء والمرسلون فن الخطابة في تبليغ الرسالات السماوية إلى أقوامهم ومجتمعاتهم، ووردت في القرآن الكريم طائفة من النصوص في معرض الإشارة والتمجيد للخطابة وفصاحة اللسان كقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾. (١) وقوله تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردهاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ (٤) إلى غير ذلك من الآيات ذات الصلة بعلم الخطابة.

ويكفي هذا العلم فضلاً أن مارسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عمله الرسالي وتبليغه الإسلامي، وجاء في الحديث الشريف: (أعطيت جوامع الكلم وأعطي علي جوامع العلم).

ولا يغيب عن ذاكرة التاريخ المنبر الأول الذي صنع لرسول الله

(١) إبراهيم / ٤ .

(٢) القصص / ٣٤ .

(٣) ص / ٢٠

(٤) طه / ٢٧ .

صلى الله عليه وآله وسلم من جذوع النخل في المدينة بعد أن كانوا يخطبون على العصا، ولا ننسى كذلك المنبر الذي أمر رسول الله بصناعته من أحداج الإبل عندما نزل عليه الوحي بغدير خم يحمل الآية الكريمة: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾^(١) فصنعوا ذلك المنبر وارتقى رسول الله خطيباً أخذاً بضبع ابن عمه وأخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورفعاه إلى الأعلى حتى بان بياض إبطيها وخطب بذلك الجمع الحاشد في وهج الشمس المحرقة قائلاً: أيها الناس ألتست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا اللهم نعم، قال فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار.

ثم جاء الدور الخطابي من بعده لسيد الفصحاء وإمام البلغاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي اتخذ من منبر مسجد الكوفة وسيلة للتربية والتعليم والإصلاح والتقويم، وما كتاب نهج البلاغة إلا غيض من فيضه وقطرة من بحره ويعتبر الإمام أمير المؤمنين العميد الأول لمدرسة الخطابة الواعية الأصيلة المستمدة من مبادئ القرآن ومنابع النبوة.

ولا تغفل الخطب الحجاجية التي ألقنتها الصديقة الزهراء عليها السلام في مسجد أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على جماهير المسلمين أو على الحشود النسائية لعوائل المهاجرين والأنصار وهذا مما يثبت أن المرأة المسلمة ربما تمارس فن الخطابة من أجل المطالبة بالحقوق والدفاع عن المقدسات وتوعية الجماهير وفق الضوابط

(١) المائدة / ٦٧ .

الأصيلة للعقيدة الإسلامية.

وكذلك الخطب البليغة التي خطبها أئمة أهل البيت بمختلف الظروف والمناسبات لا سيما الخطب المدوِّية التي ألقاها الإمام الحسن في الحث على الجهاد أو في التوجيه والوعي الديني خصوصاً أيام المحنة، والخطب التي هدر بها سيد الشهداء في غضون ثورته المقدسة سواء التي كانت وهو في طريقه إلى الشهادة، أو التي ألقاها على منبر الكرامة في ساحة كربلاء، وكذلك الخطب المدوِّية لشريكته في الكفاح عندما أنيطت مسؤولية الثورة بشخصيتها العظيمة ابتداءً من العاشر من محرم بعد مصرع الحسين عليه السلام وفي مسيرة الأسر سواء أكانت الخطب التي ألقتها لمقارعة الجبابرة والقتلة، أو التي ألقتها في التجمعات العامة والحشود الجماهيرية المغفلة ثم مواجهة رؤوس النظام المتضرعن في عقر ديارهم المشومة، وفي قاعات قصورهم البالية.

وهكذا نرى أن الشخصيات الرسالية رجالاً ونساءً يمارسون منطق الخطابة توجيهاً للمجتمع وأداءً للمسؤولية وتبليغاً للرسالة وذوداً عن الحق ودفاعاً عن المبادئ ومطالبة بالعدل وتسجيلاً لظلامتهم واغتصاب حقوقهم واحتجاجاً على سياسة الجبابرة والجلادين عبر التاريخ.

وأكتفي بهذه اللمحة الخاطفة والإشارة الإجمالية إلى الفن الخطابي، فليس القصد وضع دراسة شاملة عن الخطابة وفنونها ونشأتها وأدوارها التاريخية، وإنما التعريف المجمل والإشارة العابرة لتتوغل من خلالها لعرض ودراسة هذه الشريحة الطليعية من شرائح خدمة المؤسسة الحسينية المباركة وتسليط الأضواء على هذه الشخصيات المبدعة في الحقل الديني والاجتماعي والتي تعيش على خطوط التماس

المباشرة مع الجماهير العريضة التي تهفو قلوبها حباً وولاءاً، وتندفع تلقائياً للتجمهر العفوي البريء وتندفق بصدق وإخلاص لتغترف من منابع القرآن وتقتبس من نور الإسلام وتهتدي بهدي العقيدة التي يعرضها خطباء المنبر الحسيني في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

★ ★ ★ ★ ★

شخصية الخطيب:

إذا آمنا أن الخطابة رسالة مقدسة لا بد لنا من توزيع وتصنيف الخطباء على فئتين، ولا بد من حصر التعريف الحقيقي والتقويم الموضوعي لشخصية الخطيب من خلال صنفين من الخطباء:

الأول: الخطيب الرسالي.

الثاني: الخطيب التجاري.

فالخطيب الرسالي هو المرابي والمعلم والمرشد والموجه الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يساوم على المبادئ والقيم والكرامة، ولا يعيش حياة رخيصة من الملق والتزلف والمداهنة على حساب المثل العليا والإباء والعزّة، بل يسير قدماً بمسيرة ظافرة ومنهج محدد ومقاييس مرسومة فيها رضا وللحاضرين أجر وثواب غير عابىء برضا هذا وغضب ذاك ولا يكثرث بصعوبات طريقه الشائك من أجل أداء واجبه ومسؤوليته الرسالية.

وأما الخطيب التجاري هو الذي يتخذ من الخطابة مهنة وعملاً تجارياً ووسيلة للعيش الرغيد، واتخاذ الدين مطية للدجل والتدليس والابتزاز، وتحويل الخدمة الحسينية إلى صفقة تجارية رابحة، هذا ما ينبغي الوقوف منه بحذر ويقظة وألا ننخدع بديكور جبة فضفاضة

الأردان عالية الأركان ينتصب في أعلاها رأس متخلف التفكير مهزول الضمير، كله جهل وخرافات وغرور، لا يفقه شيئاً من هدف الخدمة المقدسة سوى كسب الربح المادي واحتلاب الضرع على حساب الشرع.

إن شرف العمل الحسيني يقتضي أن نربأ بأنفسنا عما يشينها وأن نستلهم من حياة سيد الشهداء روح العزة والإباء والشمم وألا نتنازل إلى أسلوب الابتذال والمساومة وأن يسدد بعضنا البعض الآخر في خطواته وممارساته، وأن يكون كمرآة حقيقية تعكس له واقع النصع الصادق والتوجيه المسدد وأن يكون ذلك موضع الرضا والقبول بصدر رحب بلا تشنّج ولا سوء ظن، ففي التعاون المخلص تحقيق الآمال، وفي التسديد الصادق تحقيق الأهداف المنشودة، ومراعاة حرمة العمل وشرف المسؤولية وقداسية الخدمة أمر بغاية الضرورة للعاملين في هذا الحقل الشريف.

سيدي القاريء الكريم:

إن التستر على الخطأ خطأ آخر، والإعتراف به فضيلة، ولا بد لنا من الإعتراف وعدم التهرب من تحديد نوعية الداء وتشخيص الخطأ وأسبابه، ثم المبادرة والعمل الجدي المخلص من أجل صيانة هذه المؤسسة المقدسة من الشوائب وتطهيرها من الترسبات المزمنة التي ربما تعطي الصورة الهزيلة عن أكبر وسيلة إعلامية وثقافية وتربوية عملاقة تمثلها المؤسسة الحسينية الكبرى.

فما كانت الأهداف العظيمة الرائدة من وراء تأسيس هذه الصروح الشوامخ لتكون ملاذاً للفاشلين والسخفاء والطفيليين والجبّاء، وإنما أنشأت لتكون قاعدة للبطولة، ومنطلقاً للعلم والمعرفة، ومعلماً من

معالم العقيدة وشاخصة من شواخص الوعي والثقافة المنطلقة من منبع موّحد ومصدر أصيل يشرف عليه حملة القرآن ودعاة الحق ورجال المبادئ، بعيداً عن منطق السماسرة والنفعيين، ولغة القراصنة الملمعة بالبريق الديني الكاذب، والملونة بشتى الألوان بفن واتقان ومكر ودهاء، ولكنها خالية المضمون والمحتوى، وفارغة من الإحساس بالمسؤولية والشعور بأهمية الواجب المقدس الملقى على عواتق المخلصين الأبرار.

إن فضائح القرصنة الدينية المخزية لما تندى منه جباه الشرفاء وتهتز له فرائص المخلصين.

إن أول عنصر يجب أن يتوفر في شخصية الخطيب الحقيقي هو عنصر الخوف من الله، ويقظة الضمير الديني، والشعور بالرقابة الذاتية والمحاسبة الشخصية لجميع التصرفات والأعمال التي يمارسها من يتصدى لهذا العمل وينخرط في هذه الصفوف وينتسب لهذا السلك الذي هو موضع الثقة والاعتماد في الأوساط الجماهيرية المؤمنة، كما ينبغي أن يكون صادق اللهجة مستقيم العقيدة، كذلك أن يكون مثقفاً المعياً ملماً محيطاً ولو بمبادئ العلوم العربية والإسلامية، بالإضافة إلى قوة اليسان وفصاحة اللسان وثبات الجنان وحرارة الإيثار، وهناك شيء هام وهو مراعاة الخطيب الألمي لمقتضى الحال كما هو مقرر في علوم البلاغة، وانتقاء الحديث المناسب في الوقت المناسب.

وتحضرني في هذا الصدد حادثة طريفة جرت في مجلس الإمام الراحل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء رضوان الله عليه، فقد اتفق أن عقد مجلس حسيني مختصر جداً في إحدى المناسبات بمدرسته العلمية لم يتجاوز عدد الحضور فيه على أصابع اليد الواحدة، فرقى

المنبر خطيب مبتدئ اسمه الشيخ حسن، فقرأ وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن، وكان يكرر فيها بين الآونة والأخرى عبارة بني حسن بني حسن، ثم ينهمك في الشرح والتفسير بحضور كاشف الغطاء وبعض الأعلام من رجال العلم إلى أن أنهى محاضرتَه بعد أن أطال وخالف مقتضى الحال التفت إليه الإمام كاشف الغطاء بلسانه البليغ قائلاً: بني حسن أما أوصاك أبوك إذا كان في المجلس ثلاثة مستمعين فلا تطل الحديث عليهم؟!.

وفي الحقيقة أن الأمر يعود إلى الذوق الفطري والثقافي للخطيب ومراعاته لأصول البلاغة، والنواحي الفنية والعرفية عندما يعرض فكره وعقله على المجتمع.

ويذكر التاريخ أن عبد الملك بن مروان سئل عن سبب إسراع الشيب إلى شعر رأسه؟ فقال: وكيف لا يعاجلني الشيب وأنا أعرض عقلي على الناس في كل أسبوع مرة. فكيف بالخطيب الحسيني الذي ربما يعرض عقله على الناس في اليوم الواحد مسرتين أو ثلاث وخصوصاً في الموسم الرسمي أيام عاشوراء.

فالخطيب اللودعي هو الذي يقدر مقتضى الحال، من ناحية أخرى يحتاج إلى البراعة في التشخيص الدقيق لطبيعة المجتمع وحالته الراهنة التي تحتاج إلى علاج وتوجيه وتحديد نوعية الداء بفكر فاحص ثم توجيه النصح بصدق وجدّ واعتقاد، وقديماً قيل أن لكل مقام مقالاً، وإذا كان المقام يستوجب المقال فالساكت عن الحق شيطان أخرس. وهذا ما يحتم على الخطيب التمتع بشخصية واثقة تعمل لله ومن أجل الله وفي سبيل الله دون مدهانة هذا أو إرضاء ذاك.

ذلك هو الخطيب الرسالي المسؤول، أما إذا تحولت الخطابة إلى

سلعة تجارية ووسيلة للتكسب يستحيل حينئذ أن تحقق أهدافها المرسومة وغاياتها الحقيقية، بل ربما تتحول إلى أداة للتدمير والإرباك، ووسيلة للإستخفاف بالخط الأصيل والبرامج الهادفة التي رسمها أئمة أهل البيت عليهم السلام من وراء تأسيس هذا الصرح الإعلامي و الثقافي والتربوي المتمثل بمؤسسة المنبر الحسيني الشريف.

الخطيب الأول:

اعتاد الباحثون في حقول المعارف المختلفة أن يبحثوا وينقبوا عن أوليات الأشياء، وأوائل الشخصيات المؤسسة لتلك المعارف والعلوم والمؤسسات.

وإذا أردنا أن نؤرخ في هذا المضمار لأول خطيب اعتلى منبر الخطابة الحسينية بعد مصرع سيد الشهداء عليه السلام لا بد أن يكون الإمام زين العابدين عليه السلام الذي حفظته عناية الله ليقتحم المنبر الرسمي للدولة في قلب قاعات قصر الخضراء بدمشق، رغم ضعفه وأمراضه ومماثلة عدوه الطاغية المتسلط والممانعة بالسماح له أن يرقى المنبر، إلا أنه استطاع وبتعاطف الجمهور معه أن يعتلي منصة الخطابة ليمزق الأستار الوهمية والدعائيات المضللة التي أسدلت ستاراً زائفاً على حقيقة الجريمة النكراء التي ارتكبتها الطغيان بحق أهل بيت النبوة عليهم السلام، ووضع النقاط على الحروف تعريفاً بالهوية الحقيقية للشخصيات المنحورة ظلماً وعدواناً، والأخرى الأسيرة في قبضة الأيدي الآثمة، حيث أعرب بأن هذه الكوكبة التي أريقتم دماؤها في ثرى الطغف إنما هي القلب النابض للأمة، والفكر الحامل للعقيدة والشخصيات المنافحة دون حقوق المجتمع وكرامة الأمة، والرافعة لواء الإسلام وراية القرآن.

إن هؤلاء الصرعى المنحورين على مذبح العز والإباء إنما هم الخلاصة التي أفرزتها الدنيا، وصفوة العالم صدقاً وإخلاصاً في مواقفهم ومبادئهم وعقيدتهم، كما إن هؤلاء المربقين بالحبال، والمحمولين على عجف الجمال إنهم جميعاً كواكب الأسرة التي نزل القرآن في آياتهم وانطلق الإسلام من ديارهم، وما هؤلاء المستترين بالإسلام تمويهاً على الجماهير المسلمة إلا حفنة من القتلة والجلادين وشذاذ الأمة الذين يحملون في رؤوسهم عقولاً متخلفة وأدمغة متعفة تريد عودة الجاهلية مرة أخرى إلى مسيرة الأمة الظافرة، واستعادة المجد الأموي المنهار بتنصيب هبل مرة أخرى على سطح الكعبة وهيئات ذلك.

ويتحدث التساريخ عن دخول الأسرى على الطاغية في قصره الأخضر المنهوب من جلود البائسين، والمشيّد على جماجم الأبرياء والمنكوبين، وقد أذن إذناً عاماً لجماهير أهل الشام وازدحمت قاعات القصر بمختلف الطبقات الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وصعد خطيب البلاط على المنبر ونال من أهل البيت بعبارات الدجل والإرتزاق والضعفة. فقال له زين العابدين بأعلى صوته: أيها الخطيب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوء مقعدك من نار جهنم، ثم استأذن الطاغية في صعود المنبر فأبى عليه، فألح عليه جمهور الحضور بأن يسمح لهذا العليل الأسير وما عساه أن يتكلم؟ وماذا سيتحدث؟ ثم ماذا سيحسن وهو في قيد الأسر والمرضى؟! فقال يزيد إنه إذا رقى المنبر فلا ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان فإنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً. ولم يزالوا به حتى أذن له في صعود المنبر انصياعاً لإلحاحهم ونزولاً عند رغبتهم واصرارهم فخطب الإمام خطبة ساخنة جاء فيها:

أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا بسبع أعطينا العلم والحلم والسماحة
والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي
المختار ومنا الصديق ومنا الطيار ومنا أسد الله وأسود رسوله ومنا
سيدة نساء العالمين فاطمة البتول ومنا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب
أهل الجنة، فمن عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي
ونسبي أنا ابن مكة ومنى أنا ابن زمزم والصفاء أنا ابن حمل الزكاة
بأطراف الردا أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجَّ
ولبى، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا
ابن من دنى فتلى، فكان قاصب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى
بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد
المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق
حتى قالوا لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله
بسيقين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وصلى إلى
القبليتين، وقاتل بيدر وحنين وأبي السبطين الحسن والحسين ذاك جدي
علي بن أبي طالب، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا
ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

أنا ابن المزمّل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، ولم يزل يقول أنا أنا
حتى ضجع المجلس بالبكاء والنحيب، عندها خشي الطاغية وقوع
الفتنة فأوعز إلى المؤذن أن يؤذن ليقطع على الإمام خطابه فصاح
المؤذن الله أكبر فقال الإمام كبرت كبيراً لا يقاس ولا يدرك بالحواس
لا شيء أكبر من الله؛ فلما قال المؤذن أشهد ألا إله إلا الله قال زين
العابدين شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي وجميع جوارحي، قال
المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله التفت الإمام من فوق المنبر إلى يزيد
وقال محمد هذا جدك أم جدي يا يزيد فإن زعمت أنه جدك فقد

كذبت وكفرت وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته وسببت ذريته.

وبهذه الخطبة البليغة الهادفة، وبهذا المنطق الشائر كشف الإمام السجاد زيف الأسواق الأموية المضللة، ومزق أستار الدعاية الكاذبة بأن هؤلاء سبايا خوارج، وإنما هم من صميم بيت الوحي ومعدن الرسالة ومهبط النبوة، وأنه ابن محمد المصطفى وابن علي المرتضى وفاطمة الزهراء وأن ظلامتهم لا تعدلها أي ظلامه أخرى في التاريخ.

وهنا يتلخص لنا أن الإمام السجاد هو واضع اللبنة الأولى، والمؤسس الأول لمنهج الخطابة الحسينية، وهو أول خطيب رقى الأعواد بعد مصرع أبيه الحسين للإحتجاج وتسجيل الظلامة وكشف الحقائق، وبذلك يعتبر الإمام زين العابدين هو أول من افتتح مؤسسة المنبر الحسيني تاريخياً.

مؤسسة المنبر الحسيني:

في جولة الفحص والتنقيب عن النواة الأولى والحجر الأساسي الذي انطلقت منه مؤسسة المنبر الحسيني لا بد أن ننتهي إلى عهد الأئمة الأطهار عليهم السلام وسبقت الإشارة إلى أن الإمام زين العابدين سلام الله عليه هو الخطيب الأول الذي اعتلى المنبر بحضور الطاغية القاتل وحاشيته الجبناء، وبغض النظر عن إقامة مأتم الأسرة المفجوعة التي أفرزتها طبيعة المأساة المروعة سواء في ساحة كربلاء أم خلال مسيرة الأسر، والتي كانت فيها شقيقة الحسين اللسان المعبر عن جسامه الحدث وفداحة الخطب وعظم الخسارة بتلك الخطب الساخنة التي ألقته في قصور الجبابرة أو أمام الجماهير في الساحات

العامة والشوارع الهامة سواء في الكوفة عاصمة التشيع أو في دمشق عاصمة الحكم الأموي، فإذا ما تجاوزنا كل ذلك ونخطينا الخطب الصميمية والمأساة المباشرة نرى أن الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين كانوا على مشارف النكبة هم الذين رسموا المعالم الأساسية والخطوط العامة لإقامة الأعواد الحسينية ووضع اللبنة الأولى لمنابر سيد الشهداء عليه السلام.

فقد كانت تعقد المجالس الرسمية في بيوتهم ويستقبلون أكابر الشعراء وأعظم الأدباء بحرارة وحفاوة وتكريم واهتمام، سواء بمبادرة من الشعراء أنفسهم حباً وإخلاصاً وولاءاً وتفاعلاً مع أحداث كربلاء وتأثراً بمأساة أهل البيت عليهم السلام فينشدون قصائدهم وأشعارهم في تلك المجالس، أو بطلب وحث مباشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام أن ينظموا في واقعة الطف، وينشدوهم بالرقعة والرنين، فتفرح جفونهم وتسيل عبراتهم وتحترق قلوبهم تأثراً وانفعالاً، كمجالس الإمام الباقر عليه السلام التي كان شاعرها وخطيبها الكميث بن زيد الأسدي، ومجالس الإمام الصادق عليه السلام والتي يتولى رثاء الحسين فيها السيد الحميري، وجعفر بن عفان الطائي، والماتم الكبير الذي أقامه الإمام الرضا عليه السلام لشاعر العقيدة الجسور دعبل بن علي الخزاعي.

وهكذا نرى أئمة أهل البيت في حرصهم الشديد على رفع شعار الحزن وتجديد المأساة لتبقى ذكرى الحسين حية خالدة في النفوس ملتهبة في الضمائر مشتعلة في القلوب ليتحول الحسين عليه السلام إلى الرمز المبدئي، والزلال الذي يقض مضاجع الظلمة، والبركان الذي ينسف عروشهم الخاوية، والصرخة المدوية على ألسنة الأحرار

والشائرين في الدنيا التي تتحدى كل غدر وباطل وكل فساد ومنكر
وكل استبداد وطغيان على مدى الأحقاب والعصور.

وكان الأئمة عليهم السلام يربطون هذه الطاقات الأدبية العملاقة
بالعواطف الجياشة في صفوف الجماهير المسلمة لإثارة الرأي العام
وإحداث غضبة هادرة، وهزة عنيفة، ونقمة وسخط في وجه ظلمة
التاريخ، وقتلة الأحرار، وجلادي الشعوب.

وشقت خطابة المنبر الحسيني طريقها بهذا الاتجاه الهادف لتعميق
العواطف عقائدياً، وترسيخ العقيدة عاطفياً وفكرياً لتمتزج العقيدة
بالعاطفة، وتشكل الشعلة التوهجة في طريق الحق والعدالة.

وهذا ما أوضحته لنا تائية دعبل الذائعة الصيت الرائعة المعاني
حيث ازدحمت فيها قوة الاحتجاج العقائدي بغزارة اللهب العاطفي
وتسجيل الظلمة التاريخية لأهل البيت، ومن ثم ربطها فنياً بمأساة
الطف وذلك من خلال قوله:

وما سهلت تلك المذاهب فيهم على الناس إلا بيعة الفلتات

أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفرات

إذا وتروا مسدوا إلى وائريهم أكفأ عن الأحقاد منقبضات

ثم يستعرض شتى ظلامات أهل البيت حتى في تباعد قبورهم
ومراقدهم الموزعة في شرق الأرض وغربها بعد ذلك يختم قصيدته
معزياً الزهراء بمصرع الحسين فيقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذا للطمتم الخدَّ فاطم عنده وأجريت دمع العين بالوجنات

★ ★ ★ ★ ★

الأدوار التاريخية:

بعد ما مضى من البحث الإجمالي عن انبثاق مؤسسة المنبر الحسيني نستطيع تقسيم الأدوار التاريخية التي مرّت بها هذه المؤسسة الهامة إلى ثلاثة أدوار رئيسية:

الدور الأول: هو الإفراز الطبيعي لمأساة الطف من خلال ماتم الأسرة الهاشمية في كربلاء والكوفة ودمشق والمدينة وغيرها، وتأثر الجماهير العامة بتلك المآثم، وشخصيات خطباء الأسرى من أهل البيت عليهم السلام نساءً ورجالاً، واندفاعهم للمشاركة والرفض للظلم الأموي واستنكار أساليب التعتيم على الجريمة، وتلميع شخصيات مرتكبيها وإطرائهم والثناء عليهم، ثم النيل من رجال الحق والثورة، وانتقاص شخصيات الشهادة الكبرى على ألسنة خطباء الدولة، كما حصل في خطبة ابن زياد بقصر الإمارة عندما تبجح بالنصر الزائف، فقام إليه البطل البصير عبد الله بن عفيف الأزدي ليأخذ زمام الخطابة من يده ولتفنيذ مزاعمه الملفقة ومقارعة آراءه الباغية بقوله: إنَّ الكذاب أبن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه يا عدو الله أتقتلون أبناء النبيين وتجلسون على منابر المسلمين.. الخ!!؟

وطال الجدل واحتدم الأمر حتى أدّى إلى شهادة هذا العملاق المظفر.

ويتضح لنا من استقراء الأحداث والوقائع أن الدور الأول

للمؤسسة الحسينية يبدأ تاريخياً بعد معركة الطف مباشرة، وانتشار خبر الشهادة الكبرى في المجتمع، ولكن بالشكل المحدود والمختصر، والانبثاق العفوي والتلقائي للتعبير عن الألم والحزن كما حلّ برجال العقيدة ورموز المجتمع، ومن ثم الاستنكار والنقد والاستياء والسخط والرفض لتلك الممارسات الدموية من قبل السلطة الأموية الحاكمة.

ولا تفوتنا الإشارة إلى ما لاقت وحظيت به هذه المؤسسة من رعاية وتوجيه من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام بما يتاح لهم من وسائل الدعم والمساندة والتأسيس.

وربما يتجلى ذلك من خلال أسلوب البكاء السياسي الذي أصرّ عليه الإمام زين العابدين عليه السلام بشكل علني في الأسواق والطرقات والمحافل العامة والخاصة لتحريض العاطفي وإثارة الرأي العام لرفض النظام المنسلط الباغي، والتعاطف الحقيقي مع الظلامنة التي حلّت بسيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله الإمام الحسين عليه السلام وأسرته الكريمة وأصحابه الميامين.



الدور الثاني:

يتمثل هذا الدور بأدب الرثاء والفن القصصي، حيث كان الشعراء يتوافدون على أئمة أهل البيت بقصائدهم وأشعارهم، فيستقبلهم الأئمة أحر الاستقبال - كما مرت الإشارة - ويعقدون مأتم خاصة في بيوتهم لتلك المراثي تشارك فيها حتى النساء، ويبدأ الشاعر بتلاوة أشعاره وإنشاد قصائده، فتتعالى الأصوات بالتفاعل العاطفي وتسكب العبرات وتجري الدموع حزناً وأسفاً واستنكاراً.

وتخصصت بعض الشخصيات التاريخية بالقيام بمهمة إنشاد الشعر بما يشبه الأَطوار والتلاحين الحزينة المشجعة المألوفة عندنا اليوم، ويؤشر التاريخ إلى بعض أسماء هؤلاء الخطباء والمنشدين في عصر الإمام الصادق عليه السلام كأبي هرون المكفوف، وأبي عمارة المنشد وغيرهما فيما يلي من العصور كعلي بن أصدق الحائري، وأحمد بن المزدق، وأبو القاسم الشطرنجي وخطباء العصر الهويهي والفاطمي والحمداني والصفوي وغيرهم.

وقد اتخذت مؤسسة المنبر الحسيني شكلها الرسمي الموسع في عهد الإمامين الصادقين عليهما السلام على مستوى المحافل الشعبية ومجالس العزاء وخصوصاً في موسم عاشوراء وبصورة أخص عند قبر الحسين عليه السلام حيث يتدفق الزائرون فتمتزج مراسم الزيارة بمراسم العزاء، وإقامة المآتم الحسيني بتوجيه وإرشاد من الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وشارك في هذا الدور القصاصون وهم شريحة أدبية وجدت قبل تاريخ الطف كانت تتحدث في المساجد بأسلوب قصصي عن السيرة النبوية والحروب الإسلامية وبعض المواعظ والفضائل، وبرزت هذه الفئة في أيام الخلافة الثالثة ثم استخدمها معاوية بن أبي سفيان في الدعاية والإعلام، وأسس منها شبكات تحريبية تتمثل بشخصيات معروفة مجيدة للنسج المحبوك والتلفيق القصصي المحكم لتدوين التاريخ بما يتلائم مع مصالح الدولة الأموية، مقابل أجور مادية مغرية، فكان هؤلاء يجيدون حبك الأساطير واختراع الروايات وتحجيرها على عامة الناس بعلب ملونة مقبولة، وتقديمها جاهزة حسب ما تتطلبه المصلحة الأموية العليا.

وبعد واقعة الطف برز إلى جانب الشعراء والمنشدين القصاصون المتخصصون بعرض أحداث كربلاء وسيرة الحسين عليه السلام، مجارة لما هو مألوف عند الناس في المساجد من العروض القصصية والتأثر بهذه الشخصيات التي تجيد وتتقن الفن القصصي.

ويبدو أن هؤلاء القصاصين والشعراء والرائين والمنشدين المخلصين يشكلون الرعيل الأول والجيل المؤسس لخطابة المنبر الحسيني، وقد واصلوا نشاطهم وجهودهم سراً وإعلاناً بمختلف الظروف والأحوال السياسية التي مرت على الشيعة في العصرين الأموي والعباسي، فكانوا كلما داهمتهم نكبة أو أهدقت بهم محنة، أو ضيقت عليهم السلطات الحصار، وأحكمت القبضة، ولاحقتهم بأنواع الضغوط والإضطهاد، لم يزداهم ذلك إلا إصراراً ومثابرة على إقامة مراسم الذكرى الحسينية بمواعيدها المحددة وأساليبها المعهودة، مهما كان الثمن وكيف ما كانت العواقب.

وقد تبنى أئمة أهل البيت عليهم السلام أسلوب الحث والتشجيع على إقامة الشعائر الحسينية لأنها أصبحت أكبر من مفهوم مجلس عزائي مجرد، ومجلس حسيني بسيط، وإنما أصبحت تمثل معلماً من المعالم الهامة في الدفاع عن الخط الأصيل للإسلام، ومركزاً من مراكز الدفاع عن مؤسسة الإمامة التي هي ركن من أركان العقيدة، وفضح التآمر والخروج على عقيدة الأمة الذي حملت لواءه السلطة الأموية الغاشمة.

وقد أدركت الأجهزة الرسمية والكيانات السياسية الباغية الأهداف الثورية لمؤسسات الحسين عليه السلام الرافضة لكل أشكال الظلم والانحراف والباطل، لذا لم تتأمل تلك الأجهزة بما أوتيت من وسائل

القمع والإرهاب من ملاحقة هذه الشعائر، وتعقب القضايا الحسينية تعقباً مستميتاً أخذ في بعض الأحيان صوراً مروعة وحالات عنيفة من القتل أو السجن والحرمات والإضطهاد، وبالرغم من كل الوسائل الجهنمية المرعبة، وأساليب الانتقام والتسلط التي مارسها الجلادون والقتلة لم يزد هذه المؤسسة إلا رسوخاً وانتشاراً بين الأمم والشعوب العالمية فضلاً عن المجتمعات الإسلامية.

لقد أصبح الحسين نشيداً عالمياً بمختلف الألسن واللغات واللهجات في كل عواصم الدنيا وأقطار الأرض، أينما تواجدت الجاليات الإسلامية في كل بقعة من بقاع العالم بل وحتى غير الإسلامية من الأحرار والثائرين اتخذوا من الحسين معلماً وملهماً يتعلمون منه روح البطولة والصبر والثبات ويستلهمون من سيرته معاني العزة والكرامة والشمم.

لقد أصبح الحسين النغمة التي تفرع أوتار القلوب فتتهز لها إعجاباً والكعبة التي تهطع عندها ملوك الدنيا وتنحني رقابهم سجداً على أعتابها، والصرخة المجلجلة التي ترددها حناجر الثائرين لإقتلاع معقل الكفر والظلم، واجتياح قوى الشر والباطل مستمدة من الحسين روح العزيمة والإقدام والتضحية والفداء.

فدمٌ أُرقت كأنه من جدّة الآن يعطر بالشرى ويخضبُ

★ ★ ★ ★ ★

الدور الثالث:

هو دور التلخيص للنشاطات الحسينية المختلفة من شعر الرثاء والعروض القصصية لمصرع سيد الشهداء عليه السلام وأحداث واقعة

الطف، بالإضافة إلى ذكر المناقب والفضائل والمواعظ، كل ذلك اختصره الدور الثالث بصيغة واحدة في شخصية الخطيب الحسيني اسمها (المجلس الحسيني) فهو الذي يتشداً ويختتم بشعر الرثاء، ويستعرض أحداث كربلاء ويتحدث في ظلال القرآن والعترة الطاهرة.

وحفلت الساحة الحسينية بأجيال من الخطباء النوابغ والذاكرين الكرام لازالت شخصياتهم المنبرية موضع الإجلال والاحترام، ولازالوا يشكلون أساساً متيناً ورافداً هاماً للخطابة المعاصرة، والفن والإبداع المنبري.

ومن هذه النماذج الشيخ جعفر التستري وابن عياش والحاج عباس قوزي، والشيخ كاظم حنين السماوي، والشيخ علي الهمامي، والسيد هاشم الهنداوي، والشيخ محمد علي الجابري، والشيخ كاظم سبتي السهلاني، والسيد كاظم الخضري، والسيد حسن البغدادي، والسيد صالح البغدادي، والسيد سعيد العدناني، والشيخ خلف الشيباني، والسيد صالح الخلي، والملاّ خضير الحياوي، والشيخ محمد جواد المسيباوي، والملاّ محمد الشطري، والملاّ محمد الجلعادي، والشيخ محمد علي قسام، والشيخ حسن جلّو، والشيخ سلمان الأنباري، والملاّ أحمد بن رمل، والشيخ محمد علي اليعقوبي، والشيخ كاظم نوح، والسيد حسن الاسترابادي، والشيخ مسلم الجابري وغيرهم.

ثم يأتي العهد المعاصر المزدهر وقد برزت فيه كوكبة من لوامع الأساتذة وأرباب الفن الذين أدركنا بعضهم، واستفدنا من البعض الآخر منهم، كالخطيب السيد جواد شبر، والشيخ جواد قسام، والسيد مهدي السويج، والسيد حسن شبر، والشيخ أحمد الوائلي، والشيخ

مهدي البديري، والشيخ صالح الدجيلي، والشيخ وهاب الكاشي،
والسيد حبيب الأعرجي، والشيخ جعفر الهلالي، والسيد جابر أغاثي،
والسيد جابر أبو الريجة، والشيخ شاعر القرشي، والشيخ مجيد
الصيمري، والسيد طاهر الملحم، والسيد عبد الزهراء الحسيني
الخطيب، والشيخ هادي النويني، والسيد حسن الشخص، والشيخ
عبد الزهرة الكعبي، والشيخ هادي الخفاجي، والسيد مرتضى
القزويني، والسيد كاظم القزويني، والسيد حسين الشامي، بالإضافة
إلى الجيل الثالث من شباب الخطباء اللذين ترمقهم الأبصار بإعجاب
وتقدير والذين ملأوا المنبر الحسيني كفاءةً وعطاءً كالسيد عبد الرزاق
القاموسي والشيخ عبد الأمير أبو الطابوق والسيد عامر الحلو والشيخ
باقر المقدسي والشيخ فاضل المالكي والسيد مهدي الشيرازي والشيخ
عبد الحميد المهاجر والشيخ مرتضى الشاهرودي والشيخ علي حيدر
والسيد عبد الحسين القزويني والسيد باقر الفالي والسيد حسن
الكشميري وغيرهم من الطاقات الواعدة والشباب الناهض الذين لم
تحضرن أسماؤهم في هذه العجالة ولست بصدد الإحصاء والحصص في
هذا المورد.

هذا بالإضافة إلى الخطباء الخليجيين في الكويت والبحرين والمنطقة
الشرقية من الحجاز، وكذلك خطباء المنطقة العربية في إيران وغيرهم
الذين أسأل الله عز وجل أن يوفقني للإمام بسيرهم ودراسة
شخصياتهم تبعاً في الأجزاء المتسلسلة من هذا الكتاب.

وهكذا تطورت الخطابة الحسينية في الدور الثالث بالجهود المشكورة
التي بذلها هؤلاء الأساتذة وسواهم من خدّمة الحسين عليه السلام
حتى أخذت الصيغة النهائية المتداولة واستقرت على الأسلوب

المنهجي المؤلف في مجالسنا المعاصرة.

المنبر المحصري:

يمثل المنبر الحسيني جهازاً هاماً من الأجهزة الإعلامية، وأداة فاعلة من أدوات العمل الثقافي والتربوي، ووسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي، بالإضافة إلى وظيفته الأساسية وهي عرض ظلامة أهل البيت والربط الفني بين العاطفة والعقيدة، وتبقي الكفاءة الذاتية للخطيب وما يمتلك من مقومات ومؤهلات وخبرة وتخصص في مجال فنّه وعمله هي التي تؤجج المشاعر وتلهب العواطف في نفوس الجماهير الغفيرة التي تندفع تلقائياً إلى التجمهر في مدرسة الحسين عليه السلام، يسوقها حب الحسين وتحذوها مودة أهل البيت التي افترضها القرآن الكريم بقوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾^(١).

ولم يكن المنبر الحسيني مختبراً لفحص كريات الدم الحمراء والبيضاء ولم يؤسس ليمنح شهادة في علم الفلك، أو إجازة في الكيمياء والفيزياء، وليس المنبر معملاً تكنولوجياً للإختراعات والإكتشافات، وليست مدرسة الحسين مدرسة صناعية لتصميم الكمبيوتر واخترع الليزر، فهذا كله هراء وهوس وتطفل وفضول وإقحام وزج النفس وتوريطها بأشياء ليست من صميم العمل، ولا من هدف الرسالة المقدسة، إن المنبر الحسيني الناطق باسم الإسلام والقرآن وبلسان أهل البيت، إنما يستهدف تربية الإنسان على الخلق والهداية والتهذيب وربطه بعقيدته وتعريفه بشخصياته الأصيلة ورجال حضارته وصنّاع تاريخه المشرق.

(١) الشورى / ١٢٣ .

إن الهدف الأساسي للمنبر الحسيني بناء الإنسان داخلياً وغلغلة العقيدة الصحيحة في مشاعره وأعماقه ليعيش حياة الإستقرار والكرامة التي لا يسعد الإنسان ولا يعيش آمناً مطمئناً إلا باعتقاده الراسخ، وإيمانه الثابت، وبغير ذلك يعيش حياة القلق والإرتباك النفسي ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً﴾ (١).

ولا أتصور أن كروية الأرض، وثنائي أكسيد الكربون، ومسترجون وغيرها من الأسماء والمصطلحات الأجنبية تحقق للإنسان سعادته واستقراره، ولا تعفي الخطيب من مسؤوليته الرسالية، ولا هي دليل على ثقافته وسعة اطلاعه وتضلعه بعلوم الأولين والآخرين كما قد يخيل له!!.

لقد أقحم بعض الخطباء نفسه في فترات الإنحطاط واللاوعي وصار يستخدم هذه المصطلحات بلباقة فنية وكأنه من أساطين علم الفلك والذرة والسماوات والأرض، ووجد أرضية خصبة عند شريحة كبرى من السذج والبسطاء والأبرياء، فحوّل المنبر إلى بالونات منفوخة خالية من المضمون والمحتوى، سرعان ما انفجرت وانكشف زيفها، وأصبح مدعيها سخرية على ألسنة المثقفين والمتخصصين، وفي الواقع أن ذلك تيار امتطاه بعض الخطباء للوصول إلى الشهرة وإحاطة شخصيته بكيان من الضخامة والانبهار على حساب تربية المجتمع وفق هدى أهل البيت، وغرس روح الفضيلة والكرامة والإيمان الحقيقي في نفوس الجماهير بدل هدر الوقت والطاقات بالمتصاعدات والمتنازلات حتى انبرت كوكبة من طلائع المنبر الحسيني وثلة من الشباب الرسالي المثقف، فشمّرت عن ساعد الجد، وأعدت الأمور إلى

(١) طه / ١٢٤ .

نصائبها، وأعطت المنبر حقه الطبيعي، وسقت النفوس المتعطشة من منابع أهل البيت عليهم السلام كؤوساً مترعة بما لذ وطاب من البحار الزاخرة والمقالع الغنية والتاريخ الناصع لأمتنا وحضارتنا الإسلامية.

ويخطيء خطأ فادحاً من يتصور أن عصرنة المنبر الحديث يرتبط بالأحاديث الفلسفية والتكنولوجية وسواها من الهراء غير المناسب، وإنما يتمثل ذلك بمسايرة متطلبات العصر الحديث، وواقع الأمة المصيري المرتبط بعقيدتها وصناع حضارتها ورجال تاريخها الأفاضل، وتجليه سيرهم واقتباس العظات والعبر، واستلهام معاني البطولة والشرف من سجلات تاريخنا المشرق، ونباع عقيدتنا الصافية.

وإذا كان كذلك فلتكن هذه المعاني هي وثيقة العبور من منافذ هذا المدخل إلى دراسة هذه الجمهرة من أعلام الخطباء في المؤسسة الحسينية المباركة.





خطباء في
ذمة الخلو



السيد صالح الحلبي

السيد صالح الحلبي

١٢٨٩هـ - ١٣٥٩

oooooooooooooooooooo

oooooooooooo



◦ عمالقة الفن والإبداع هم الذين يخترقون الزمن عرضاً وطولاً وعمقاً ، وهم الذين يقتحمون التاريخ كأرقام ورموز تتملأها الأجيال وترمقها بعين الثقة والإكبار ، لأنهم العطاء المفتوح مدى الدهر ، والحضور الدائم ، والشواخص المتحركة في ضمائر الشعوب والمجتمعات العالمية .

◦ ومن تلکم الشخصيات التي انتزعت الإعجاب من فم التاريخ وأحدثت دوياً واصدء.عسامع الدنيا ، ونزلت إلى الحياة كمؤسسة كبيرة حافلة بأضخم العطاء زاخرة بمعاني الخير والإصلاح الاجتماعي مترعة بما يلذ من الإبداع والمفاخر ، وقد ولجت بوابة التاريخ العريضة لتطبع لها ذكراً ، وتحت لشخصيتها اسماً لامعاً بأحرف العز

والخلود هي شخصية الخطيب الرمز السيد صالح الحلبي رضوان الله عليه الذي تحول إلى مقياس لعظمة الخطيب الحسيني وكفائته العالية وطاقته المتفوقة وجرأته المنبرية وعدم رضوخه للهوان حتى قالوا عندما يقومون شخصية خطيب مبدع كأنه السيد صالح الحلبي . 11.

◊ ولو تصفحنا سجلات التاريخ ، وقلبنا ملفات التراجم لوجدناه عالماً جهيداً عملاقاً ، وخطيباً مفوهاً بارعاً ، وأديباً لودعياً لامعاً ، إليه تنتهي جوامع الكلم وفصاحة القول ، وعضوبة المنطق ، وسحر البيان ، وجرأة الحق ، وقوة الصدق .

ثم لو تخطينا صحائف العلم والأدب والخطابة ، واطلعنا على أبعاد أخرى من سجل حياته لوجدناه سياسياً مكنكاً جسوراً ، مجاهداً شجاعاً صبوراً .

◊ ولو تجولنا في أرشيف سيرته الخالدة جولة سريعة لرأيناه صرحاً شامخاً من صروح الجهاد ، ولواءً خافقاً من ألوية الخطابة ، وعملاقاً مدهشاً من عمالقة المنبر الحسيني الشريف ، وكفاه بذلك مجداً وعزاً وشرفاً ، إضافة إلى خصاله اللامعة الأخرى ، فهو أشهر خطيب حسيني من الأولين والآخرين على الإطلاق لم يشاركه أحد في هذه الشهرة ، ولم يضارعه خطيب في هذه المنزلة حتى يومنا هذا . ومن بعد هذا المدخل في مقدمة الحديث نتوغل في عرض

ودراسة حياة السيد الحلبي حسب المصادر والوثائق المعتمدة المتوفرة لدينا :

١ - نسبه وولادته :

لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى تسلسل نسب السيد المترجم ، وثرابط الحلقات التي توصله إلى نسبه الحسيني ، ولم أعثر في حدود تتبعي واستقراي لمن ترجم له إلا على اسم أبيه وجده فقط ، فهو السيد صالح بن السيد حسين بن السيد محمد وكأنه بذلك من قصار النسب وهذا ما تفخر به الحضارة العربية عندما تمجد شخصية هامة تقول عنها فلان قصير النسب ، وهذا دليل على أهمية الشخصية واشتهار صيتها والانتساب إليها ولا تنتسب هي إلى أحد من أعلام أسرتها لتعرف به ، بخلاف بعض الشخصيات المغمورة التي لا بد من ربطها بشخصية لامعة شهيرة لتعرف هويتها النسبية بتلك الشخصية . أما سيدنا المترجم فيكفي أن يقال السيد صالح الحلبي فله ينتسب وبه يعرف ولا يحتاج أن يعرفه أحد وكفى بذلك فخراً ونسباً .

٥ كني بأبي المهدي وتقولها عامة الناس بالتصغير فتدعوه (أبو مهيدي) حياً به واعتزازاً بشخصيته .

ولقب بالحلبي نسبة إلى الحلة الفيحاء المدينة التي ولد فيها في

عام ١٢٨٩ هـ ، ثم هاجر منها قبل أن يكمل العقد الثاني من عمره

إلى مركز الدراسات الدينية في النجف الأشرف ، وانخرط في صفوف
طلبة العلوم الإسلامية ، وانتسب للحوزة العلمية طالباً مجتهداً متفوقاً
وأشرف على تدريسه نخبة من اجلاء الأساتذة ، وفضلاء الحوزة فقد
أكمل دروس اللغة العربية والمعاني والبيان على يد الشيخ سعيد الحلبي
والشيخ عبد الحسين الجواهري ، وتلقى مبادئ الفقه الإسلامي
وأصوله عن العلامة السيد عدنان السيد شبر الغريفي الموسوي
والعلامة الشيخ جواد محي الدين ثم حضر المناهج المقررة في كتاب
الرسائل والمكاسب عند الشيخ علي بن الشيخ باقر الجواهري وبعدها
واصل دراساته العليا وحضر البحوث الخارجية لأكابر العلماء
كبحوث الشيخ محمد طه نجف وآغا رضا الهمداني وآغا نور
الاسترابادي والشيخ ملا كاظم الخراساني صاحب الكفاية ، وهكذا
تبدو أوليات السيد المترجم لاعلاقة لها بالخطابة ولاصلة لها بخدمة
المنبر الحسيني ، وإنما ابتدأ حياته متدرجاً في طلب العلم ، متسلقاً سلم
الفضيلة حتى نال قسطاً وافراً منها ، وقطع شوطاً كبيراً ومساحة
واسعة من التوغل في علوم آل محمد ثم اتجه إلى منبر الحسين عليه
السلام ليكون نايغة الخطباء ومفخرة المنابر الحسينية .

خطابته :

٥ الخطابة موهبة تنمى وفق الأسس العلمية والممارسة العملية فكيف إذا انبثقت من الأساس العلمي المتين ، وانطلقت من القواعد الثقافية الرصينة ، تعضدها الكفاءة والاستعداد ، وتسندها الجرأة وقوة الشخصية وتخالطها العبقرية والنبوغ ، إضافة إلى الصوت الهادر المجلجل ، والحنجرة المؤثرة النافذة إلى الأعماق ، فلا بد لهذه الشخصية أن تقفز بخطوات سريعة واثقة مراقي المجد والإبداع .

لقد انبثقت خطابة السيد الحلبي من منابع العلم والفضل ، وحلقت في سماء الكفاءة والافتدار ، لذلك قيل فيه إنه خطيب العلماء وعالم الخطباء .

٥ وفوق كل ذلك عناية الله وتوفيقه ورعايته وتسديده والنوايا المخلصة والمقاصد الشريفة ونزاهة السرائر وطهارة الضمائر من أهم العوامل الأساسية في نجاح الخطيب وتفوقه وتقدم مسيرته أو كما اشتهر عن السيد المترجم قوله : إن الخطيب يحتاج إلى ثلاث حاءات (الحس والحظ والحفظ) .

لذلك بعد أن نال حظه من العلم وحمه طاقته شطر الخطابة وتوجه تلقاء المنبر الحسيني ، بكل ثقله العلمي وإمكانياته الهائلة حفظاً وتركيزاً وإطلاعاً واعداداً ، فعكف أولاً على حفظ الخطب الغرر

والتقاط الجواهر والدرر من كتاب نهج البلاغة وراح يتفاعل مع خطب الخطيب الأول في الإسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من حسن حفظه أن أشرف على توجيهه وإرشاده العلامة القدير السيد باقر الهندي رضوان الله عليه الذي سعى بخبرته العلمية وسهر على بناء شخصيته الخطابية بما كان يرسم له من هياكل البحوث المنبرية ، وأصول الخطابة الحسينية ، حتى لمع نجمه وحلّق ، وبرع بفنّه وتفوّق .

٥ أما عن سبب تحوله من مسلك علماء الدين إلى سلك خطباء الحسين ففيه ثلاث روايات :

الرواية الأولى : رواية الأديب العراقي الكبير المرحوم جعفر الخليلي أن السيد المترجم حفظ القرآن ونهج البلاغة عن ظهر قلب ثم رقى المنبر في بيت صديق له بمناسبة محرم الحرام حين استبطأوا بحجّاء الخطيب ، فأنس في نفسه مقدرة ، وزاده إعجاب المستمعين إليه رغبة في الاستمرار على صعود المنابر فلم يلبث حتى امتهن الخطابة وصار أشهر خطباء المنابر الحسينية من غير قصد سابق . (١)

الرواية الثانية : رواية المرجعاني في خطباء المنبر الحسيني (٢) يعزو

(١) هكذا عرفتهم ١٠٨/١ .

(٢) خطباء المنبر الحسيني الطبعة القديمة ٦٧/١ .

الأمر إلى شظف العيش وشدة الحاجة والفقر المدقع مع كونه عائلاً لا يملك قوت يومه ، حتى كان موضع الاشفاق والعناية من قبل آية الله الشيخ جعفر الشيخ راضي قدس سره لما كان يتوسم فيه من إمارات النبوغ ، فاتخذ الخطابة مهنة ووسيلة للعيش الكريم وسد الحاجة في الخطوات الأولى حتى نثيت له وسادة المنبر وأصبح الخطيب الأول على الإطلاق .

الرواية الثالثة : ما حدثني به العلامة الأبى الشيخ خير الله البصري عن السيد هادي بن السيد كافي الحلبي الذي التقاه في منطقة المهناوية بالعراق عندما كان مندوباً دينياً فيها قال إن السيد المترجم قصد زيارة الحسين مشياً على الأقدام مع كوكبة من أهل العلم ، وبينما هم يجذون السير إذ أقبلت إليهم امرأة يبدو أنها من سكان ذلك الريف ومن نساء بعض شيوخ العشائر القاطنة هناك فسألت ذلك الموكب الديني الزائر هل فيكم أحد يقرأ على الحسين ؟ فأجابها السيد نعم أنا، ومضى إلى المجلس الحسيني المنعقد بذلك الحي وأقام عندهم أربعة أيام معزواً مكرماً ، وبعد انتهاء مهمته وعزمه على اللحاق برفاقه وتأدية مراسم الزيارة أكرموه بخمس روبيات العملة السائدة يومئذ وكان لابساً بقيمتها الفعلية وقوتها الشرائية ، فجاء إلى أصحابه مستبشراً ومداعباً فقال لهم : لقد خدمت عند الله ثلاثين عاماً فلم

يعطني روية واحدة ، وخدمت عند الحسين أربعة أيام فأعطاني خمس
رويات فسوف أنقل خدماتي إلى الحسين .
وبطبيعة الحال يقول ذلك مازحاً وملاطفاً ، وإلا فالعطاء كله من الله
ويبد الله عز وجل .

هذه الروايات الثلاثة هي ملخص ما ورد في كيفية انتساب
السيد الحلبي للخدمة الحسينية ، وتحوله وانتقاله من محراب العلم إلى
منبر الخطابة ، حتى أصبح من مشاهير الخطباء الكبار ، وعظماء المنابر
المرموقين .

وذكر المؤرخ الحسيني الخبير السيد جواد شبر كشف الله
كربته في موسوعة أدب الطف أن ليس في عصر السيد الحلبي من
الخطباء المحددين سوى الشيخ كاظم سبتي " فهو أظهر الخطباء
وأبرزهم فنبغ السيد صالح وأخذ يجاربه ويراحمه وكان من
المتعارف أن يجتمع خطيبان في محفل واحد بالتعاقب ، وصادف أن
دُعي الخطيبان : سبتي والحلي ولحداثة سن السيد صالح والأصول
المتبادلة في احترام الخطباء للأكبر سناً فقد رصي السيد صالح أن
يكون هو الأول كمقدمة للشيخ كاظم . أما المعروف بين الناس أن
الخطيب الثاني إنما تظهر براعته إذا تناول نفس الموضوع الذي طرقه
الخطيب الأول بإضافة شيء جديد وتمة للموضوع الأول ، فكان

حديث السيد صالح عن سيرة أبي الفضل العباس وهكذا تقدم الشيخ كاظم وتكلم فأجاد ، ولم يكن بحسبان شيخنا الخطيب أن السيد صالح قد أعد نفسه وهياً من المادّة الكافية للتحدث عن أبي الفضل العباس في الليالي العشر كلها ، وهذه براعة منبرية وقدرة تؤهله للتقدم والبروز وهكذا استمر في حياته بطلاً منبرياً (١) .

٥ وذكر الباحث العراقي الأستاذ جعفر الخليلي حديثاً عن المقدرة الخلاقة والحفاظة الخارقة للسيد المترجم فقال : ولقد بلغ من مقدرته أن التزم قراءة المأتم الحسيني لجمعية المكارين الذين يؤجرون حميرهم وبغالهم للمسافرين بين النجف والمدن المتصلة بها ، فقرأ لهم عشرة أيام ، بل على الأصح أنه حاضر لهم عشرة أيام لأن خطب السيد صالح كلها أشبه بالمحاضرات منها بأي شيء آخر _ والتعبير للخليلي فلم يخرج خلال هذه الأيام العشرة عن حديث الحمير والبغال والقوافل وأخبارها القديمة والحديثة وقصصها ، فكان الناس بمختلف طبقاتهم يعافون أشغالهم ويحضرون تلك المحاضرات التي ظلت مدة طويلة موضوع أحاديث الناس وتفكهم ومشار إعجابهم وغبطتهم على هذه الموهبة .

(١) أدب الطف ٢٠٥/٩

٥ ومن ميزات السيد صالح أنه كان سريع الحفظ وكانت بينه وبين الشيخ كاظم سبتي - وهو من مشاهير الخطباء المعاصرين له - غضاضة ، فلم يكذب يسمع الشيخ كاظم يقرأ لنفسه قصيدة في رثاء الحسين على المنبر حتى يحفظ الكثير من أبياتها لأول مرة وهناك يصعد المنبر في نفس اليوم ، أو اليوم الآخر ، ويقرأ شيئاً مما كان حفظ من قصيدة الشيخ كاظم السبتي ، ولربما أضاف إليها أبياتاً أخرى منه ، ثم يروح مندداً بالسبتي قائلاً : إن هذه القصيدة قديمة وهي لأحد الشعراء القدماء ، وذلك بدليل حفطي لها من أيام الصغر ولكن بعض المعاصرين - وهو يعني السبتي يستغلون جهل الناس فينسبون لها لأنفسهم (١).

٥ وكانت له مقدرة رهيبة في التفنن في توجيه النصوص حسب مايشاء ، واستخدام أنواع البديع ، والتلاعب بالألفاظ بما يمتلك من قابليات بلاغية ، وتخصص في الفصاحة والبيسان ، وطالما يوجه حتى بعض آيات القرآن الكريم للدعابة والنكتة اللاذعة الذكية ، ومن ذلك ماحدثني به ذات مرة العلامة المجاهد الشيخ محمد مهدي الأصفسي إن

(١) هكذا عرفتهم ١٠٨/١ .

عائلة المزيدي الكويتية وهي من العوائل العريقة التي تمتد جذورها الى
الحلة بلد المترجم له، وربما لهذا السبب دخل في دعوتهم السيد الحلبي
ليرقى المنبر خطيباً في احد مجالسهم، فما كان منه عند اعتلاءه الأعواد إلا
أن يفتتح مداعباً بالآية الكريمة: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول
هل من مزيد﴾^(١). قرأها بياء النسبة هل من مزيدي .. فضج المجلس
بالضحك والانبهار.

وحدثني العلامة المرحوم السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب إن السيد
الحلبي رقى المنبر ذات يوم بحضور الشيخ السبتي فقرأ الآية الكريمة ﴿أو
نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾^(٢)، وأيضاً قرأها بياء النسبة أصحاب
السبتي معرضاً بالشيخ السبتي.

كما سمعت من العلامة الدكتور الشيخ عيسى الخاقاني قال عندما
حصل خلاف السيد الحلبي مع السيد ابي الحسن الموسوي الاصفهاني على
اثر مسائل الشعائر الحسينية، كان السيد الحلبي إذا رأى السيد أبا الحسن
يرفع صوته بالآية الكريمة ﴿وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر
عليه﴾ ولا تخفى اللفتة البارة في التعبير حيث ان السيد أبا الحسن كان
يوزع الخبز على طلبة العلوم الدينية ويطلق على الخبز باللسان الفارسي
(نون)، فانتزع من الآية تعريضاً ظريفاً وذكياً، ان السيد ابا الحسن انها كثر
اعوانه وانصاره لانه يمدهم بالخبز ويغدق عليهم العطاء.
وهناك القصص الكثيرة والحكايات المثيرة التي يتناقلها الناس عن
براعة السيد الحلبي المنبرية والتي لا مجال لحصرها في هذه الترجمة.

شعره :

الخطابة والشعر توأمان وفرسا رهان فيآي آلاء ربكما تكذبان إن
أول خطوة يخطوها الخطيب الحسيني تبدأ من الشعر وأخر خطوة
تنتهي إليها نقطة الشعر.

(١) سورة ق/ ٣٠ .

(٢) النساء / ٤٧ .

فالشعر من أهم المواد والمقومات الأساسية لصناعة الخطابة الحسينية وصياغة الشخصية المنبرية .

وخطيبنا الأديب المترجم قرض الشعر بقسميه الفصيح والدارج منذ دور الصبا وعهد الفتوة ، وقد جمع له تلميذه المبرز الخطيب الشهير المرحوم السيد حسن الشخص شتات ديوانه الشعري المعنون بالباقيات الصالحات ، وقد نشرت له عدة قصائد في الجزء الأول من كتاب من لا يحضره الخطيب ، ونشر له الشاعر الحسيني الاستاذ الشيخ محمد باقر الايرواني النجفي باقة من أشعاره في أهل البيت عليهم السلام هذه مطالعها ونماذج منها :

١ - قال في رثاء سيد الخلق والخلق رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم قصيدة من اثنين وعشرين بيتاً مطلعها :

رزةً أطلّ فجلّ في الأرزاء زفرااته هبت على الغسبراء .

٢ - وله في مديح سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قصيدة من سبعة عشر بيتاً يستهلها بقوله :

أبا حسنٍ ليسَ كيفُ وحد يحدّدُ ذاتكُ إلا الأحسد

٣ - وفي رثائه عليه السلام قصيدة من ست وعشرين بيتاً يفتتحها :

خطبٌ أذابَ من البتولِ فوادها وأذابَ من عينِ الرسولِ فوادها
٤ - ومن قصائده الشهيرة مستهضاً صاحب الأمر وراثياً الزهراء
عليهما السلام قصيدته الغراء :

يامدرك الشار البدار البدار شن على حرب عداك المغسار
وهي من أروع قصائد الولاء الحماسية تضمنت أربع وأربعين
بيتاً منها البيتان الشهيران على السنة الخطباء :

قد ورثت من أمها زينب كل الذي جرى عليها وصار
وزادت البنيت على أمها من دارها تهدي إلى شردار
٥ - ورثي الزهراء والحسين بقصيدة واحدة من ثلاثة وثلاثين بيتاً
ابتدأها بقوله :

خليلي عوجا بي على الحي واحبسا
قلوصيكمما في رامية لاتغلسا
ومنها يقول :

خليلي ما وجدني لفقد أحبتي
ولكنمما وجدني لسيدة النساء
هي البضعة الزهرا سليمة أحمد
وخامسة الاشباح صاحبة الكسا
ثم ينعطف نحو الحسين عليه السلام فيقول :

سعى للردى في فتية ترهب العدى

وتفدي لحفظ الدين في الله أنفسا

سطو فسقوا اعدائهم جرع الردى

مضوا ففضوا حق الهدى حين أطمسا

٦ - ومن شعره في مصائب الزهراء والاشارة المحملة لرثاء أمير

المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام قصيدته العينية المؤلفة

من اثنين وعشرين بيتاً منها البيت الشهير الذي يستشهد به

الخطباء .

أما الكتاب فمزقته امية والعرة الها دون اضحوا صرعا

ومطلع القصيدة :

لمصائب الزهرا هجرت المضحعا

واذبت قلبي من حفوني أدمعا

٧ - وكذلك في رثاء الصديقة الطاهرة ثم يرثي الحسين في آخر

لاميته العصماء التي اتحد فيها الصدر والعجز بقافية واحدة في

واحد وثلاثين بيتاً أولها :

دع تفاصيلاً وسلنتي جملاً لم تطق تسمع ماقد فصلاً

وآخرها :

إنَّ صبري وسلّوي رحلاً وشجوني وسهادي نزلًا

٨ - ومن قصائده الحماسية ميمية رائعة من تسع وعشرين بيتاً يوشر

في مقدمتها إلى خروج الإمام المهدي ، ويستعرض اقضاء علي

عن قيادة الأمة وتطرق إلى محنة الزهراء وظلامتها فيبدأ :

ولا بد من يومٍ به نكشفُ الظلما

ونملقها عدلاً كما ملئت ظلما

ونوردها للخيل شقراً على العدى

ولكن بفيض النحر نصدرها دهما

ثم يختتم بأحداث كربلاء ويقفل قصيدته بالبيتين الآتين :

كريمٌ يحامي عن كرائمِ أحمدٍ

ويكشفُ عنهنَّ النوائبَ والغمسا

ولكن أراد الله سبي نسائه

إلى الشام حسرى تسمع السب والشتما

٩ - وقطعة أخرى من عشرة أبيات في الزهراء عليها السلام

مطلعها :

لو أن دمعي يطفئ نار اشجاني

اذلت دمعي من قلبي بأجفاني

١٠ - وله قصيدة من اثنين وأربعين بيتاً في الموعظة والتذكير بالموت

والتحذير من الدهر ثم استعراض ظلامه أهل البيت وختامها

في الحسين عليه السلام استهلها بقوله :

سرح بطرفك أيها الإنسان

في الزاهبين كأنهم ما كانوا

◊ وختمها بقوله :

أنساء آل الله تسبي حسراً

وبنات هند في القصور تصان

١١ - ومن قصيدة له يستنكر بها الظلم العباسي لأهل بيت النبوة

عليهم السلام ثم يمضي بها إلى كربلاء وتحتوي القصيدة تسع

وثلاثين بيتاً تفتتح بقوله :

وقد أصابت بنو العباس ما طلبت

واستأصلت كل قاص كان أو دان .

◊ وتختتم بقوله :

رؤوسهم رفعت فوق القنا وغدت

حسومهم حثماً من فوق كئيبان

١٢ - ومن حماسياته في استنهاض الهاشميين بأية عصماء من أربع

وثلاثين بيتاً يقول في مطلعها :

إلى مَ التواني يالويُّ عن الضسرب

لقد سممت يملك قائمة العضب

أهاشم هبوا إنَّ صدر عميدكم

لقد هشمت منه الضلوع بنو حرب

أهاشم هبوا وانظروا ماجرى على

نسانكم بالطف من فسادح الخطب

ضعي هاشم ثوب العلى وتقمصي

عن العار بين الناس بالستر والحجب

لقد ندبت فرسانها خفراتكم

وقد بحمت الأصوات من شدة الندب

إلى أن يصل في نهايتها يستنهض الإمام المهدي عجل الله فرجه

ويختمها بالبيت الآتي :

ويطعن عينيه وينكت ثغره

بمجلس أنس حفاً باللهو واللعب

١٣ - وفي نهضة الحسين ورثائه قصيدة رائعة من اثنين وثلاثين بيتاً

بدؤها :

يا غليلي اسعداني ونوحسسا

فبطوفان مدمعي صرت نوحا

وعتاماها :

كلما رمت ان أبوح بوجسدي

خفت من شسامت به ان ابوحا

١٤ - وكذلك قصيدة في الحسين عليه السلام مطلعها :

أفدي وحيداً دعاه الواحد الأحد

لم يشه عن لقاء الخوف والفند

والقصيدة من اثنين وثلاثين بيتاً آخرها :

لو آمنوباله العرش ماقتلـسوا

آل النبي ولكن ربهم جحدوا

١٥ - وفي رزايا الطف دالية من سبع وثلاثين بيتاً تستهل بقوله :

رمت من عين هاشم بالسسواد

ومن فهسر سويداء الفواد

٥ وتنتهي :

وحبلاً قيدوا فيه عليـسا

بسه السجاد أصبح في قياد

١٦ - وفي الحسين عليه السلام رائية شهيرة تضم اثنين وعشرين بيتاً هي :

عجباً لهذا الدهر كيف يسرور

ويعمُّ فيه العالمين سسرور

١٧ - وفي الحماسة ومخاطبة الهاشميين ورثاء الحسين مقطوعة من خمسة عشر بيتاً :

أهاشم هبي واشحذي البيض والسمرا

لكي تدركي من آل حرب لك الوقرا

١٨ - وفي بطولة الحسين ورثائه قصيدة من سبع وعشرين بيتاً :

أبدلت ذل الدين عززاً

مذقل منجسده وعزراً

١٩ - وقطعة في يوم الحسين عليه السلام من خمسة عشر بيتاً :

قد اقامت قواعد الظلم تيمم

ويزيد عسلاً عليها بناه

٢٠ - في الطفل الرضيع أربعة عشر بيتاً مطلعها :

لهفي عليه حاملاً طفلاً

يستسقي ماءً من عداه له

٢١ - إن جئت أرض الطف فأنزل فيها

واعقر نياق الصبر يا حاديها

رائحة عصماء من واحد وثلاثين بيتاً على وزن (ان كان عندك عبرة
تجربها) القصيدة المشهورة للمرحوم السيد رضا الهندي .

٢٢ - وقصيدة في أربع وثلاثين بيتاً في تاج رؤوس الهاشميين أبي
الفضل العباس قال فيها :

من هاشم سلبت أمة تاجها

وفرت بسيف ظلالها اوداجها

٢٣ - وفي مسلم بن عقيل قصيدة معروفة تقع في ثلاثة وأربعين بيتاً :

لو كان ينقع للعليل غليل

فاض الفرات بمدمعي والنيل

٢٤ - وقصيدة أخرى في سفير الحسين مسلم بن عقيل أيضاً تتألف
من أربع وعشرين بيتاً أولها :

لمسلم عين الهدى سححي دما

وياحشى الإسلام شبي ضرما

٢٥ - وفي علي الأكبر قصيدة من اثنين وعشرين بيتاً مطلعها :

يا نيراً فيه تجلى ظلمة الغسق

قد غاله الخسف حتى انقض من أفق

٢٦ - وقصيدته العامرة في القاسم بن الحسن من أشهر ما يردده الخطباء في هذه الذكرى وهي ثمانية وعشرين بيتاً ، ومطلع القصيدة :
يادوحة المجد من فهر ومن مضر

قد جفّ ماء الصبا من غصنك النضر
٢٧ - وله في حمأة الإسلام وانصار العقيدة بائية عصماء يخص فيها حبيب بن مظاهر الاسدي في دفاعه ومواقفه المشرفة ثم رثائه وهي في سبع وعشرين بيتاً مطلعها :
كلمــــــــــــا تعذلان زدتُ نحيبا

يساخليلي إن ذكرت حبيبــــــــــــا
٢٨ - قصيدة من اثنين وثلاثين بيتاً في رثاء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ويبدو أنها أطول من ذلك ولكن فقدت بعض أبياتها :
لهف نفسي على ابن جعفر موسى

عاش في دهره يقاسي الحبوسا
وبعد هذا العرض الإجمالي لاضمامة عابقة بأريج البيت الطاهر ومشاعر ملتاعة لما حل بهم من المحن والخطوب ، ليس بمستكثر على خطيبنا المترجم هذا الأدب الجزل بعد أن عاش بأحضان اسرة ولدت في قلب الأدب والشعر وبيئة تتنفس الشعر وتتغذى بالأدب.

فوليدهم في المهدي يَألف شعرهم

فكأنه والشعر قد ولسدا معا

ولا يخفى أن الحلة الفيحاء - بلد المترجم - كانت معقل الحضارة العراقية ثم أصبحت مركز الدراسات الدينية ، ومنطلق الحركة الثقافية ، ومحور النشاطات العلمية والأدبية عندما استوطنتها حوزة العلم والدين لثلاثة قرون ، وخرّجت فطاحل العلماء وأساطين الأدب العربي أمثال ابن ادريس وابن ثما والمحقق الحلبي والعلامة الحلبي ، وغيرهم من جهاينة العلم ، وأمثال شعراء الحلة كالسيد حيدر الحلبي والسيد جعفر الحلبي ، والسيد عبد المطلب الحلبي ، والشيخ صالح التميمي والشيخ صالح الكواز . والنحويين الشيخ أحمد وولده الشيخ محمد رضا وغير هؤلاء من عمالقة الأدباء وفرسان الشعراء .

فلا غرو ان كان سيدنا الحلبي علماً من أعلام الأدب ، وعمداً من أعمدة الشعر وقطباً من أقطاب المنبر والخطابة ، وركناً من أركان العلم والفضيلة .

تاريخه السياسي :

٥ لو تصفحنا القاموس السياسي للعراق عبر الأدوار التاريخية المختلفة ، منذ أن استوطنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الصدر الإسلامي الأول ، واتخذ الكوفة عاصمة للدولة

الإسلامية ومركزاً للاشعاع الديني ، ونقل أجهزة الإدارة والحكم وأنشطة الخلافة الإسلامية إلى هذا البلد ، لوجدنا كيف عصفت به الأعاصير الهوجاء والتقلبات السياسية ، وكيف أن هذا البلد عاش حالة من الغليان والصراع العنيف دينياً وسياسياً .

ولاشك أن الكوفة - عاصمة الدولة الإسلامية في حكم الإمام علي عليه السلام - والتي مصرت مبدئياً كمنطقة عسكرية هي مهد السواء والتشيع لاهل بيت النبوة ، ومنها انطلقت الحركات الثورية والتحررية التي زلزلت العروش ونكّست التيجان وكانت ساحاتها وأراضيها مسرحاً للكثير من الثورات المسلحة والمعارك الدامية كثورة الحسين عليه السلام وثورة التوابين وثورة المختار وثورة زيد بن علي وسلسلة الثورات الأخرى .

وللكوفة ينتمي الطراز المتميز من رجال العقيدة وصناع الحضارة الذين رفعوا لواء القرآن بيد من حديد ، وجعلوا راية الإسلام خفاقة بجهادهم وتضحياتهم ، وطرزوا تاريخهم المشرق بالدم والقداء والعز والإباء كالطلائع الثورية التي التفت حول الامام أمير المؤمنين عليه السلام أمثال مالك الأشتر وحجر بن عدي الكندي وعمر بن الحمق الخزاعي وهاشم المرقال والكتلة المجاهدة التي نصرت الحسين حتى آخر قطرة من دمانها كحبيب بن مظاهر الأسدي وابنيه علي بن

مظاهر الأسدي ، وزهير بن القين البجلي ، ونافع بن هلال الجملي ،
وبرير بن خضير الهمداني ، وعابس بن شبيب الشاكري ، وغير
هؤلاء من قوافل المجاهدين ورواد العدالة والتحرير ، تلمس أن الانتماء
الجغرافي والهوية الوطنية لهؤلاء الأبطال هي الكوفة .

وقد تضافرت مجموعة من العوامل الاستراتيجية لبث هذا الوعي
الثوري ، وبعث الروح الجهادية الواعية عند هذا المجتمع .

ولعل من أهم تلك العوامل المناخ المفتوح والتربية الحرة التي
غرسها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نفوسهم وضمائرهم ، وإن
قاسى الأمرين وكابد المعاناة من تلقاء رسم معالم الحرية المطلقة ، نظراً
لوجود بعض العناصر المشبوهة التي أساءت استغلال أحواء الحرية
وإبداء الرأي والمشاركة في القرار ، فراحت تثير المشاكل والشغب
والفتن والاضطرابات الداخلية مما أربكت المسيرة المظفرة بوضع
العقبات والعراقيل في طريق الخطط الإصلاحية والمناهج التربوية التي
تبناها الإمام عليه السلام لنشئة الأجيال المستقيمة وبناء الشخصيات
العقائدية وتأسيس المجتمع التماسك .

ومنذ ذلك التاريخ والافذاذ من رجالنا ، والعمالقة من
شخصياتنا يسجلون المواقف المشرفة موقفاً تلو الآخر بيد الصلابة
والإخلاص .

ولو تخطينا مراحل التاريخ وثوقنا عند تاريخنا السياسي المعاصر، لوجدنا مقارعة المستعمر ومكافحة الطغيان بكل صنوفه وأشكاله من المهام الشاقة التي اضطلع بها اجداننا ووقف لها رجالنا في الصفوف الأمامية والخطوط المتقدمة .

ولعل من أوليات التاريخ السياسي لحياة سيدنا المترجم عندما انقذت الشرارة الأولى للحرب العالمية ، وعاضت الدولة العثمانية غمارها إلى جانب حليفها ألمانيا ، وأحتل الانكليز ثغر البصرة عام ١٣٣٣ هـ ، وهب علماء الدين وزعماء المسلمين للذب عن بلد الرافدين والدفاع عن كرامة الشعب العراقي ومقارعة العدو المعتدي المحتل ، وقد تقدم الزعيم الديني السيد محمد سعيد الجبوبي زاحفاً بقبائل الفرات الأوسط ، والعشائر الجنوبية نحو البصرة ، ورابطوا في ساحات الوغى وميادين التصدي والتحرير .

وفي هذه الظروف السياسية الحامية كان سيدنا المترجم خطيباً في مجالس البصرة لإحياء الموسم السنوي لذكرى عاشوراء ولا يخفى تأزم الأمور وتوتر الأحداث لاسيما والبصرة مسرح الاحتلال ، فانبرى السيد الحلبي كالأسد الهصور والليث الغاضب بخطبه الحماسية في تعبئة المقاتلين وتحريض الجماهير على الالتحاق بجبهات القتال وميادين الشرف وتقرير المصير ، داعياً إلى النفير العام والزحف

المقدس ، باعثاً روح الحماس والاستبسال يشحذ الهمم ، ويوقظ
المشاعر بما أوتي من قوة جنان ورباطة جأش ، ومنطق بليغ ، وبقي
الخصم المناوئ العتيد والعدو المجالد اللدود للاستعمار طيلة حياته .
ولما انفجر بركان الغضب العراقي واندلعت ثورة العشرين ضد
الاحتلال الإنكليزي الغاشم عام ١٩٢٠ م طفق السيد السند يخوض
غمارها مجلجلاً هادراً ببيانه ، ثابتاً كالطود الأشم في محاربة المحتل
المعتدي وأذنايه ، يقول السرانولد ويلسن في كتابه الثورة العراقية :
وكان من العاملين على إضرام الثورة في جهات ديالى السيد صالح
الحلي والسيد محمد الصدر .

فكان يصول ويجول ويخطب ويحرض في بغداد وضواحيها
حتى وصل إلى مدينة بعقوبة وتوغل في أريافها وقراها المواصلة جهاده
المقدس ، ترصدت له عناصر الشر وألقت القبض عليه ، وانسبت
مخالبها فيه ، وأصبح في قبضة حكومة الاحتلال فحكمت بنفيه وابعاده
إلى الهند عن طريق البصرة والمحمرة ، وحيء به مخفوراً حتى مر على
قصر الشيخ خزعل خان بالفيلية فرفع صوته واخز علاه ولاخز عسل لي
اليوم ، فأغاثه وآواه وانقذه من مخالب السلطنة البريطانية .

ثم اكرم وفادته وأصبح نديمه الخاص مقيماً في بيته زهاء الثمانية شهور ، حتى همدت الثورة العراقية ، أطلق سراحه وعاد إلى العراق مظفراً سالماً ، واتخذ الكوفة موطناً ومسكناً وحط رحله فيها .

وفي عام ١٣٤٢ هـ انبرى يهاجم المدارس الحديثة ويعرض بأعضائها على المناير ويعلن أن مناهج التعليم استعمارية مخالفة لقواعد الدين الحنيف ، فألقت السلطة المذكورة القبض عليه في كربلاء أبعدهته إلى البصرة والسببية والفاو أكثر من خمسة أشهر ثم أعيد إلى الكوفة .

وفي عام ١٣٥٢ نفته الحكومة العراقية إلى البصرة على أثر مشكلة الانتخابات البرلمانية لأول مجلس نيابي تأسيسي للعراق الذي تروث العلماء في تأييده ، وانبرى الخطيب الحلبي يهتف بمقاطعته فأبعده أيضاً إلى البصرة ستة أشهر ثم عاد إلى النجف الأشرف .

وفي احداث الفتاوى المتعلقة بالديساتير البرلمانية الشهيرة التي عرفت بحركة المشروطة والمستبدة في إيران انقسم العلماء إلى فريقين مؤيد ومعارض ، وكان الفقيه الكبير السيد كاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى يؤيد المستبدين خلافاً لزعيم الأحرار العالم الأصولي المولى محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند صاحب الكفاية ، فقد كان يؤيد دعاة الدستور ويناهض المستبدين ، وحصل من جراء ذلك صراع عنيف ، وتوسعت دائرة التناحر والخلاف ، وكان السيد الحلبي

من مناصري الآخوند الخراساني ، فراح يشن حملات الطعن ،
وغارات النقد والتنديد ، وجابه حتى شخصية الإمام اليزدي بأقسى
المجابهات ، وراح يتحداه وينال منه في شعره وكنائاته وأقواله ومن
ذلك :

فوالله ما أدري غداً في جهنم

أيزديها أشقى الورى أم يزيدها

وقوله معرّضاً :

وفتساة تقول وهي تصبُ ال

مساء قلست كاظماً قلت صبي

ويقصدها بالصبي هنا الصابني باللهجة الدارجة وهناك تورية

أخرى غير صب الماء والصابني ، وهي أن كاظم صبي من رجال
السلاح المعروفين في النجف بالمشاهدة أو الشقاوات أو القبضايات
على حد تعبير المنطقة الشامية ، وليس لهذا الرجل أي شأن أو علاقة
بالعلم والدين لامن قريب ولا بعيد .

وبناء على هذه المواقف المتصلبة ، والتعابير الاستفزازية الجريئة ،
وبناء على صراعه المستمر مع اللادينيين المستترين بأقنعة وعناوين
مختلفة ، تضافرت جهود متعددة بعضها مشبوه ومريب يجمعها قاسم
مشترك موحد هو بغض السيد صالح وعداؤه فنسجت مؤامرة ماکرة

ووضعت الدسائس المحبوكة وقد كتب لها النجاح بعض الوقت
 وروجوا اشاعة خبيثة مضمونها أن السيد صالح يسب العلماء ، وليس
 القصد من وراء ذلك العلماء وإنما تحطيم شخصية السيد صالح الخصم
 العنيد والمنارىء الشديد ، وانطلى الأمر على الكثير من السذج
 والمغفلين وإلى يومنا هذا وتمكن التآمر الآثم أن يثير البلبلة بين صفوف
 العلماء فينقسمون إلى مناصر ومحارب (وتنتعش تلك الطفمة التي
 لا يطيب لها العيش إلا في الأرحال والقييل والقال) (١) ، وحتى
 الفتوى التي أصدرها الإمام السيد أبو الحسن الأصفهاني بتفسيره
 وتحريم الاستماع إلى قرائته والتي أرخها الشيخ علي البازي بقوله :
 أبو حسنٍ افْتَى بتفسيرِ صالحٍ قراءته أرختها (غير صالحة)
 أجل حتى هذه الفتوى لا تخلو من تأمل ، ولا يعلم من كان ورائها
 ومن الذي استصدرها من الإمام الاصفهاني ، ولأن تصور أنها خاضعة
 لضوابط دقيقة ، ومقاييس شرعية لم يخالطها الارتباب من الوسائط
 التي صورت للإمام المفتي انتهاك السيد صالح للمقدسات والمساس
 بكرامة علماء الدين .

يقول المرجاني في الطبعة الأولى من كتاب خطباء المنبر
 الحسيني المطبوع قبل نصف قرن تقريباً مانصه :

(١) أدب الطف ٢٠٦/٩ .

٥ وفي سنة ١٣٤٤ هـ نسبوا إليه من طعنه على علماء الدين حتى حرم آية الله المغفور له السيد أبو الحسن الأصفهاني استماع قرائته وذلك في الثالث عشر من جمادى الأولى من تلك السنة حيث شهد عنده اعداء المترجم وهجره الروحانيون ، وكانت التهم التي وجهت إليه كاذبة يذيعها عليه اعداء المهنة الذين سدت عليهم شهرته الطائفة طرق المعيشة - كما يزعمون - وأخيراً إذ تبينت برائته منها مال إليه السيد وعلماء الدين (١) .

ويتبلور للباحث من خلال استقراء الأحداث أن السيد المترجم كان شديد التمسك برأيه ، كثير الاعتداد بنفسه ، قوي الشكيلة متصلب الموقف شديد اللهجة ، قوي الحجج ، واثق الشخصية ، دائم التحدي والاستفزاز بحق وبغير حق ، ولانغفل الإشارة إلى أنه زميل السيد أبي الحسن في التلمذة والدراسة عند الشيخ الآخوند الخراساني. غير أن هذا اتجه للمرجعية وذاك اتجه للخطابة .

وربما نأوته فئات وشخصيات ذات نفوذ وصلاحيات في كيان المرجعية الدينية نفسها، يساندها الطابور الخامس ويحرضها بعض المشبهين والمغرضين، وتلتف حولها الأمعات والنفعيين، والمرتزقة، والفاشليين،

(١) خطباء المنبر ٧٨/١ .

وأرباب المصالح، وباعة الضيائر، وقليلي الورع، والسذج،
والهمج الرعاع الذين لا يخلو منهم أي عصر ودور، فافتعلوا هذه
الضجة وأشعلوا هذه الفتنة، وربما طوقوا أعناقهم بظلامه ساهم
الجميع فيها بقصد أو بدون قصد، واشتركوا فيها بحسن نية أو
بسوءها.

ومثلي من لا يتجرأ على مقام المرجعية المقدس، أو التشكيك في
نزاهتها وورعها بالذات، بل ولا حتى الأبرار والأتقياء من
الشخصيات الهامة الفاعلة في كيان المرجعية والعياذ بالله، وإنما نعني
تلك العناصر التي تقحم نفسها الرخيصة بمكر ودهاء فتختلق اجواء
التوتر والمواجهة الساخنة.

ولعل من أطرف ما ورد في سيرة السيد الحلي بهذا الصدد
حول توبته المزعومة وقد ورد فيها ثلاث روايات:

الأولى: يجب أن يرقى الأعواد في الصحن الشريف ويعلم ندمه
وتوبته على رؤوس الأشهاد ليسحب السيد ابوالحسن فتواه في تحريم
قرائته، فلما ارتقى المنبر ورأى الحشود المكتظة تحت منبره والمتلهفة لما
يقول أخذ الاعتداد بالنفس فلم يطرح ما كان مقررًا.

الثانية: انعقاد المجلس العام للتوبة في الجامع الهندي وعندما
ارتقى المنبر امام الجمهور الغفير تحدث عن مسألة فقهية تتعلق بطهارة
الكر وأسهب فيها وعلق عليها ان الكر يبقى على الطهارة غير ان

الخواشي تبقى نجسة!! معرضاً لحاشية السيد أبي الحسن

الثالثة: إن مجلس التوبة عقد في بيت السيد أبي الحسن نفسه وهذا ما حدثني به الدكتور السيد مصطفى جمال الدين وقال لقد كنت من الشاهدين في هذا المجلس ولا زلت أتذكر أنه عقد على سطح دار السيد أبي الحسن لأن الوقت كان في فصل الصيف وأعلن السيد صالح توبته وقبلها السيد أبو الحسن ورضي عنه.

ومما لاشك فيه أن شخصية المرجع الديني أو المصلح الاجتماعي أعلى وأرفع وأجل من الظلم والتعدي والمهاترات والتوتر الباطل، ولكن لا يسعنا التهرب ولا بد من الاعتراف بوجود بعض العناصر المحيطة بتلك الشخصيات من ذوي الأفق الضيق والإيمان المحدود والتصورات الرخيصة هي التي توجب الفتن، وتشعل الخصومات، وتطور النزاع، وقلما تحصل جلسات للمكاشفة، والحوار الهادئ والثفاهم الودّي، والحلول السلمية، فكل يتمسك برأيه، ويتشنج لموقفه، ويتعصب على خصمه، ويثار لكرامته، حتى يتفجر الموقف، وتتأزم الأمور، وتتعمد المشاكل، وتستعصي على الحلول، وإذا ما بحثت عن جذور المشكلة، لوجدت يداً خبيثة تصيد بالماء العكر، وأصابع مشبوهة تحترق الصف الواحد، وتزرع روح التباغص، وتؤجج الأحقاد في القلوب، فتستخدم الشخصية النافذة ثقلها الاجتماعي ونفسوذها وصلاحياتها لتحطيم الخصم وتدميره

واجتياحه بما أوتيت من قوة وبمختلف الوسائل المتاحة وغير المتاحة وبشتى الأساليب الممكنة والمستحيلة ، وتسخير العناوين الشرعية والدعائية بمناسبة وبغير مناسبة ضدها ، تشفيهاً ونكايه ، وانتقاماً وزرابة .

هذا إذا كان الخصم بحجم السيد صالح الحلبي وبضخامة شخصيته فما بالك إذا كان من سائر الناس ، فسوف تدوسه الأقدام وتسحقه الأرجل ، وتلوكه الألسن ، وتتحده السماسرة ، وتضفي على مواقفها أنواع الأقنعة والعناوين الشرعية والمقاييس الدينية دون أن يشعر بظلامته أحد ، ويبقى نازف الجرح مهدور الكرامة بلا حسيب ولا رقيب ولا سائل ولا مسؤول .

وهذا من أخطر الأمراض الفتاكة في أوساطنا الدينية ، ومجتمعاتنا المعهودة .

الجلي والشعائر الحسينية :

هـ في دراسة حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام وتسيط الأضواء على المهام والمسؤوليات التي اضطلعوا بها ، والوظائف التي مارسوها يتجلى لنا اختلاف العمل الوظيفي ، وتنوع الاداء والفعاليات العملية حسب مقتضيات الظروف التي عايشوها في عهود الأنظمة الغاصبة والسلطات الجائرة فهناك من استلم مقاليد السلطة ، ومارس الإدارة

والحكم ، وبإدراكه لوضع أسس التربية والإصلاح الاجتماعي ، وقام بدوره الرسالي في أحلك الظروف كما فعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

وهناك من اقتضت ظروف عمله وواجباته الشرعية أن يقوم بدور الإحباط للمخططات الجاهلية التي تستهدف النيل من الإسلام ، وإفشال تلك النوايا الشريرة المتربصة بالعقيدة سوءاً وشرأ ، بالصبر والحكمة والتنازل الظاهري عن الحكم ، ومصالحة العدو ، وتحميد المواجهة العسكرية المباشرة حتى تحين الفرصة المناسبة ، والوقت الملائم للصدام المسلح والعمل التمهيدي المحنك لتفجير الموقف ، وذلك مانفذه الإمام الحسن عليه السلام .

وهناك من سلك طريق المحراب التوعوي والعبادة الثقافية وممارسة النشاط الإسلامي غير المباشر كرحلات الحج الهادفة وفتح مدرسة الرقيق التربوية وزعامة الخوذة العلمية كما فعل الإمام زين العابدين عليه السلام الذي عاصر شدة البطش الأموي ، وذروة القمع والارهاب الذي مارسه الحكام الأمويون ضد أهل البيت ، وتبناه الحجاج بن يوسف الثقفي ضد شيعتهم وأتباعهم .

بينما نهج أعلام آخرون من أئمة الهدى افتتاح معاهد العلم ، ومؤسسات الثقافة ، وتنوير المجتمع ، وتوعية الجماهير ، ونشر

المبادئ الأصيلة ، وفق أنظمة القرآن وتعاليم الإسلام ، ومفاهيم مدرسة النبوة ، كما برز بذلك الإمام الباقر وولده الإمام جعفر الصادق وسواهما من الأئمة الذين أتت لهم الفرص المناسبة لنشر العلوم الإسلامية .

وهكذا ترى تنوع الأدوار ، وتعدد المسؤوليات وتوزيع المهام الرسالية بين ممارسة الحكم ، وتجميد العمل الشوري ، والسلوك العبادي الهادف ، ونشر العلم والمعرفة كل ذلك ضمن إطار موحد في الهدف والمسؤولية .

أما الإمام الحسين عليه السلام فقد تزعم الجناح الشوري في الإسلام وفجر الموقف التضحيوي والفدائي ، ودك حصون الجاهلية واقتلع معاقل الكفر وقلاع النفاق ، بأسلوبه الشائر بوجه الطفيلان والتخلف الأموي ، فقد اقتحم ميادين الشرف والبطولة والاباء ، وسقى شجرة التحرر والعدالة بدمه الزكي الطاهر الذي زلزل الأرض تحت أقدام الطواغيت عبر العصور وألقى بثيجانهم في مزبلة التاريخ .

وبذلك يعتبر الحسين الرائد الأول والمؤسس الحقيقي للمدرسة الثورية في الإسلام ، ولهذا أصبح الحسين رمزاً للكرامة ، ومثلاً تتملاه قوافل الأحرار ، ونشيداً تردده حناجر الشائرين ، وقبساً ينير الدرب

للأجيال المضطهدة ، لاستعادة كرامتها المهذورة ومجدها الصريح على أيدي الجهاديين والفاشيين والسامسة ، وسيبقى سيفاً مصلتاً وحساماً مرهفاً يشير للظالمين بأن الظلم لا يدوم وإن الحق هو المنتصر ، ونبراساً مضيئاً يحدد معالم الطريق بأن الأمة المسحوقة والشعب المضطهد إذا أراد أن يختصر الطريق نحو المجد والشرف والكرامة والاباء والرفعة فلا بد أن يتكلم بمنطق الدم ، ويتحدث بلغة الفداء والتضحية .

ولذلك لم يكن الحسين المحتفى به كل عام ، والمخلد مدى الدهر جسداً ودماً ولحماً ، بمقدار ما هو قرآناً ومبدئياً وفكراً وحركة ثورية ورمزاً ومثلاً أعلى تهبط لعظمته الدنيا ، وتنحني على أعتابه تيجان الملوك وجباه العظماء .

وإذا أمعنا النظر في الشعائر الحسينية نجدها الامتداد الثوري لمدرسة الحسين، والتحدي المبدئي لرسالته المقدسة ، فما إقامة هذه المحافل والمهرجانات والمواكب والمسيرات الكبرى إلا تظاهرة جماهيرية صاخبة ، ومسيرة عالمية منتظمة، صبغت التاريخ بالدمع والدم، وملأت الدنيا بالاحتجاج والرفض وهزت الضمائر الحية لكل شرفاء العالم، عارضة الحق المهذور والظلام المنكرة لأهل البيت عليهم السلام، ثم هي التحدي العملي لبطش الجبابرة وطغيان الفراغنة، والرفض لكل أساليب القمع والاضطهاد التي أنزلت بشيعة آل محمد

طيلة التاريخ وكذلك فهي الوسيلة الإعلامية الكبرى، والدعاية العقائدية المؤثرة لنشر الحق، وترويح المبادئ، وطرح القيم والمثل والأخلاق والتراث العظيم وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ثم هي التعبير الناطق عن الحيف والأجحاف والحرمان والتعدي الذي لحقهم على مر العصور.

٥ وقد تبرعت مؤسسة الشعائر الحسينية من عمق مأساة الطف، وولدت بعد مصرع الحسين ورسم لها أئمة الدين، ورجال العقيدة، المناهج الهادفة، والضوابط المتينة، ورفدوها بالدعم العقائدي، ودعموها بالزخم العاطفي، ورسموا القواعد العامة، ووضعوا التعاليم المطلقة لممارسة هذه التقاليد، وتعظيم هذه الشعائر، وإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام على سبيل الأجمال والاطلاق، ودون تدخل بالجزئيات، ووسائل التعبير، وقنوات الممارسة، بل تركت هذه الأمور إلى الاجتهاد والأبداع، وتغيير الظروف والأزمنة.

وقد عبرت الجماهير بكل طبقاتها ومستوياتها العلمية والثقافية بتعبير مختلفة منذ القدم، ومارسوها بقنوات متنوعة، فلكل شريحة تعبير عن إقامة الشعائر بصيغة معينة حسب فهمها، وماتراه ملائماً ومنسجماً مع قواعد التعبير، بشرط ألا يتجاوز الضوابط المحددة، والمقاييس الشرعية العامة.

فهناك من عبر بلغة السيف والدم كمسيرات التطبير ، وهناك من تبنى أسلوب الاستعراض في الشوارع والساحات العامة كالمواكب الحسينية المعروفة بجناحيها ، لطم الصدور ، وضرب السلاسل ، وهناك من تكلم بمنطق العاطفة المتمثل بمجلس عزاء نائح ، وطائفة عبرت عن ولائها وتعظيمها بمحاضرة مبدئية واعية ، وأخرى بعروض مسرحية أو تمثيلية لاحداث الطف وهناك شريحة عبرت بحرارة الشعر والأدب ، هكذا ترى تعداد الصيغ والقنوات والتعابير المعربة عن مفهوم واحد ، والمنتھية لمصدر واحد وهو ولاء أهل البيت عليهم السلام .

ولو تفحصنا المناشئ التاريخية لانطلاق هذه المؤسسة العملاقة الهامة ، لوجدنا أنها انبعثت من بيوت أهل البيت التي فتحت أبوابها تستقبل الشعراء والمعزين ، وتقيم المآتم وتعقد المجالس التي تمتزج بها العقيدة بالعاطفة ، والفكر بالدمع ، كما فعل الإمام الباقر مع الكميت الأسدي ، والإمام الصادق مع السيد الحميري ، والإمام الرضا مع شاعر العقيدة الجريء دعبيل بن علي الخزاعي .

ولو تفحصنا قصيدة دعبيل الثائية كنموذج ثوري وعاطفي في أن واحد ، لوجدناها ثورة لاهبة تفيض باللوعة والاحتجاج لظلامه أهل البيت ، واغتصاب حقوقهم كقوله :

وما سهلت تلك المذاهب فيهم

على الناس إلا بيعة الفلوات

أرى فيهم في غيرهم متقسماً

وأيديهم من فيهم صفرات

ثم لا يغفل الجانب العاطفي عندما يقول :

أفاطم لو خلت الحسين بجدلاً

وقد مات عطشاً بشط فرات

إذا للظمت الخد فاطم عنده

وأجريت دمع العين بالوجنات

* * *

وقد لاقت هذه الممارسات والتقاليد من السلبيات والنقد

والتجريح ما تجاوز الحدود المنطقية إلى الاستخفاف والتطرف والتكبير

، بينما أصرت الجماهير على مواصلتها بكل تصميم وتحدي مهما

كلفها الأمر من عناء ودفع ثمن باهظ قد يصل إلى الموت أحياناً سواء

في الحقب التاريخية الغابرة ، أو التفتن في الملاحقة والتضييق والضغط

في الظروف المعاصرة ولا أتصور أن المسألة تتعلق بذرف الدموع ، أو

إشعال الحزن، أو مظاهر العزاء الأخرى على ثامر قتل ظلماً وعدواناً

قبل أكثر من أربعة عشر قرناً حتى تتجرع الجماهير صنوف الأذى

وأنواع التنكيل بصبر وتضحية ، وإنما أصبحت هذه المظاهر نوعاً من التحدي العقائدي ، وأثبتات وجود شرعي ، وتثبيت لحقائق دينية يكاد يمسحها الباطل ، وتحاول قوى الردة الجاهلية طمسها وأخفاء معالمها ، وإلا فبأي شيء تفسر دفع وتشجيع وحث الأئمة الطاهرين لأتباعهم وشيعتهم لممارسة الشعائر مع احتمال الاعتقال والقتل المتوقع من العدو المتربص بهم الدوائر ؟

وقد أتفقت الكلمة على إحياء الذكرى ، وتعظيم الشعائر عن طريق مؤسسة المآتم الحسيني، وأختلفت اختلافاً أخذ صور العنف والتطرف في حالات كثيرة، في الوسائل الأخرى للشعائر الحسينية وخصوصاً الأعمال الاستعراضية التي تقوم بها مواكب اللطم والتطبير والسلاسل بين مؤيد ومعارض .

وقد بادر لقيف من علمائنا في ظروف مختلفة لطرح مقترحات، أو وضع بدائل ، أو على الأقل عمليات تهذيب وتنظيم وحذف الزوائد ، فحجوبها بسيل من الرفض الجمناهيرى الغاضب ، المدعوم بالعواطف الجياشة ، والمستند إلى غطاء شرعي من المؤيدين ، بالإضافة إلى الشعور المتأجج بالحيف والظلم الذي لحق بأهل البيت عليهم السلام واتباعهم من قبل قوى الشر ، وعناصر الطغيان .

وقد انحرفت حتى بعض الطلائع الواعية من العلماء والمثقفين إلى تأييد التطرف في محاربة الشعائر بذريعة أن بعضها مخالف للشرع ، أو مثير للإحراج ، وسوء السمعة من قبل الأجانب !!

وليت شعري كم من الاستعراضات المماثلة والمناورات المشابهة في العروض العسكرية والرياضية والفنية وسائر الأنشطة الاجتماعية في المناسبات القومية والوطنية ، وكم نرى حلقات الذكر الراقص عند المتصوفة في أماكن العبادة ، وحلقات العرضة في التقاليد العربية عند سكان البوادي ، بل وحتى بعض الممارسات المخزية في المراقص والمحافل الخليعة التي تعرض الأجساد المكشوفة بحالة من العري الكامل أو تكاد ! ، وتقليد الصرعات الأوربية بمختلف أشكالها وجزئياتها ومفرداتها إلى غير ذلك من الممارسات العامة والتقاليد المنتشرة ، ترى لماذا ترمى هذه الأعمال بعين الانبهار والاعجاب والتقدم ، وتضفى عليها عناوين الفن والابداع والفلكلور الشعبي ، ولا تجد أحداً يهزء بصدور بارزة ، أو يسخر بافخاذ وأرداف عارية ، في الوقت الذي يحشد كل عبقرياته وآرائه التقدمية وينظر بعين التخلف والرجعية والاشمئزاز لبعض الطقوس والشعائر التي تمارسها طائفة كبرى من طوائف المسلمين ، يدفعها السواء ويسوقها الحب ، ويحدوها التعلق المطلق بأهل البيت عليهم السلام .

إن هذا الرصيد الجماهيري الهائل للعقيدة لا يصنعه إلا الحسين، وهذا الزخم الشعبي المتدفق لا يلتقي إلا بمدرسة كربلاء، ولا يتكهرب إلا بقيم عاشوراء، فكل ما عندنا هو من عاشوراء وكربلاء، وكل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء ارتفع شعاراً مجلجلاً في كل أقطار الدنيا، ونبراساً مضيئاً في عقول الأحرار وضمائر الشرفاء.

إن العمل الحسيني اخترق الحدود المصطنعة وعم الكرة الأرضية شرقاً وغرباً، فأصبحت شعائر الحسين ومواكب عزاءه تطوف العواصم العالمية، في شوارع لندن وساحاتها، وفي مساجد أميركا وحسينياتها، وفي أماكن تواجد الجاليات الإسلامية في برلين وباريس، وفي القارة الهندية والأسترالية والأفريقية، بل حتى في كوريا والفلبين ودول شرق آسيا، وأين ما اتجهت وقصدت في دول العالم وأقطار الدنيا فسوف ترى علم الحسين مرفوعاً مرفرفاً خفياً.

* * *

وبعد هذه الجولة السريعة، وهذه الصورة الإجمالية عن مؤسسة الشعائر الحسينية نعرض لمشكلة دونها التاريخ حدثت بين سيدنا المترجم وبين الإمام المصلح السيد محسن الأمين العاملي، وملخص المشكلة أن فتنة كبرى اشتعلت في العالم الشيعي، وشطرته إلى شطرين متعادين متكارهين، فنحلت في كل نفس حقداً لم يزل

اثره باقياً إلى هذا اليوم ، فلقد قام عدد من علماء الشيعة يعلن استنكاره لما جرت العادة عليه في شهر محرم من الضرب بالسيوف والسلاسل واللطم على الصدور ودق الطبول والصنوج وماشاكل (١) بينما أعلن عدد آخر من العلماء رفضهم لذلك الاستنكار واستنكارهم للفتاوى الصادرة بتحريم الشعائر ، وكانت الشرارة الأولى لهذه المعركة الحامية ، قدحها السيد الأمين في الفتوى بجرمة التمثيل واللطم والتطبير ونشر رسالة (التنزيه لأعمال الشبية) وكان ذلك بمثابة الاصطدام بتيار جماهيري عارم يتزعمه الخطيب اللسن المفوه السيد صالح الحلبي ، وقد استند كلا الفريقين إلى فتاوى شرعية، وتأييد من شخصيات لها ثقلها الديني والاجتماعي ، وتجدد الإشارة إلى أن سماحة المجتهد الأكبر الإمام المصلح السيد محسن الأمين العاملي رضوان الله عليه وإن كان عالماً مجتهداً ، الا انه ليس من مراجع التقليد العليا ، ولم تثني له وسادة الزعامة الدينية العامة ، ولم ترجع إليه الناس في أخذ الفتاوى الشرعية ، وإنما كانت الزعامة المطلقة والمنصب المتقدم للسيد أبي الحسن الأصفهاني ، ولذلك أعتمد السيد الأمين على فتواه ، واستند على دعمه الشرعي في تحريم بعض الأنشطة في الشعائر الحسينية .

(١) هكذا عرفتهم للتحليلي ٢٠/٢ .

وهنا وقف السيد صالح يقارع على جبهتين :

جبهة المرجع الأعلى ، وجبهة المجتهد الأكبر ، وأنى لخطيب

حسيني ان يرد على هذين العلمين والراد عليهما راد على الله ومن

يطلق أن يستمع النقد والتجريح لفتاوى شرعية صدرت من إمام

المسلمين ، ومرجع التقليد مثلها كمثل المرسوم الجمهوري أو الملكي

بإضافة القداسة الدينية والمسؤولية الشرعية ، وهل هناك وجه للمقارنة

بين خطبة منبرية وفتوى دينية ؟

فالخطبة المنبرية مهما بلغت من الجد والوعي واللباقة والحماس

فلا تتعدى أن تكون كلام (روزخون) ، أنى له أن يتحدى فتوى

شرعية ثابتة ، يعتبر الجمهور العام نفسه مسؤولاً أمام الله عن الالتزام

بها وتنفيذ أحكامها وعدم مخالفتها ، وليس الأمر كذلك عند خطيب

المنبر الحسيني ، مهما كان له من رصيد في النفوس فيبقى رصيده غير

رصيد المرجع الديني ، لأن ارتباط الجمهور بالمرجع ارتباط روحي ،

بينما ارتباطه بالخطيب ارتباط عاطفي ، وتعبير آخر : لو أمر المرجع

بشيء والخطيب بخلافه فلمن تكون الطاعة والاستجابة ؟ لاشك أنها

للمرجع دون الخطيب .

وهنا تكونت جبهتان متحاربتان الأولى : رفع لواءها السيد

الأمين ، والثانية لواءها بيد السيد الخلي ولكل منهما رواد وانصار

وأعوان ، فقد أصدر السيد أبو الحسن فتواه لصالح السيد الأمين ، وقابله المرجع الأعلى يومئذ الميرزا النائيني بفتوى مماثلة وتبعه آل كاشف الغطاء بفتاواهم لدعم ومساندة السيد الحلبي ، واحتدم النزاع واشتد الصراع ، وحمي وطيس المعركة ، وتطأير شررها لأغلب المناطق الشيعية ، فانقسمت الشيعة إلى فريقين : أمويون وعلويين ، ففي النجف آل كاشف الغطاء والميرزا النائيني والشيخ مرتض آل يس والشيخ عبد الحسين الحلبي وكبار العلماء ، وفي البصرة آل المظفر كالشيخ عبد المهدي والشيخ محمد حسن والشيخ محمد رضا المظفر ، وكل أولئك من الشخصيات اللامعة الهامة ، ثم في لبنان السيد عبد الحسين شرف الدين بصور والشيخ عبد الحسين صادق في النبطية ، وهؤلاء كلهم ضد السيد محسن الأمين في آرائه .

وكذلك وقف إلى جانب السيد الأمين قوم آخرون على رأسهم الإمام السيد أبو الحسن الأصفهاني بفتاويه ودافعت عنه بعض الشخصيات الأخرى كالشيخ عبد الكريم الجزائري ، والشيخ علي القمي والشيخ جعفر البديري (١) في النجف ، وفي خارج النجف كالבصرة مثلاً السيد مهدي القزويني ، وفي بغداد السيد هبة الدين الشهرستاني .

(١) الخليلي هكذا عرفتهم ٢٠٩/١ .

وقد تجاوز الصراع الحدود المألوفة إلى الخصومات العنيفة ،
والمهاترات والضرب والاعتداء والاهانة ، وكان السيد الحلبي يرفع
عقيرته منادياً :

ياراكباً أما مررت بجلسسق

فأبصق بوجه أمينها المتزندق

ويأتي السيد رضا الهندي فينادي :

ذرية الزهراء ان عسددت

يوماً لتحصي الناس فيها الشا

فلا تعسداوا محسناً منهم

لأنها قد اسقطت محسنا (١)

ويصبح آخر :

ومامعول النجدي أدهى مصيبة

من القلم الجاري بمنع المآثم

وكان لواء المعركة بيد الخطيب الحلبي وكان يهزه بعنف بوجه

خصومه .

ويبدو للمتبع والمسائر للأحداث أن عناصر شريفة كانت

توجه نار الفتنة ، وتضرم أتون المعركة لما رب في أنفسها ، بينما تقف

(١) ديوان السيد رضا / ١٥٣ .

عناصر أخرى مكتوفة الأيدي موقف الحياد والتفريج وعدم التدخل لوضع حد للمأساة ، وتطوير الموقف المتفجر بين شخصيتين عملاقتين من شخصيات العلم والاصلاح وإذا ما استعرضنا شريط التاريخ نجد النفس الكبيرة والتعبير المهذب وشرف الخصومة والتقويم المنصف لشخصية السيد صالح على لسان السيد الأمين مما يدل على عدم وجود الغل والحق في قلوب هذه الشخصيات العظيمة ، فقد نقل الخليلي في حديثه عن السيد الأمين أنه قال خلال حديثه عن حركته الإصلاحية : إن السيد صالح الحلبي هو أحسن خطيب عرفته المنابر الحسينية ، وأنا أود أن نعد الخطباء على غراره ، إذا ما أردنا أن ننبه الناس ونوقظهم ، ونوجههم توجيهاً صحيحاً ، ثم أضاف قائلاً :
 أما موقفه ضد الحركة الإصلاحية ، وضدي أنا بالذات فله تفاسير خاصة لا يجوز أن تصدني عن قول الحقيقة (١) .

ثم إذا تبعنا الظروف المحيطة بفتوى السيد ابي الحسن في تحريم بعض الأنشطة الحسينية دعماً للسيد الأمين وفريقه نقف موقف الارتياب والتشكيك إذا علمنا أن أحد انسابه وهو السيد مير علي (٢) كانت له اليد الطولى في استصدارها لدعم رفاقه الشباب المناوئين للحلبي .

(١) هكذا عرفتهم ٢١٤/١ .

(٢) شعراء الغري للحاقاني ٢٩٩/٤ .

وهناك ملاحظة أخرى ذكرها الخليلي هذا نصها : وكان السبب الأكبر في كل ذلك هو العامليون أعني أهل جبل عامل الذين كانوا يسكنون النجف طلباً للعلم وكان معظمهم من مخالفي السيد محسن (١) .

وبرر العلامة السيد جواد المير سجادي سبط الامام السيد أبي الحسن بحديث له ذكره الأستاذ نور الدين الشاهرودي في كتابه الحسين والحسينيون هذا نصه : ان المرحوم الأصفهاني كان يهدف من وراء فتواه هذه حماية العالم الروحي الكبير في بلاد الشام السيد محسن العاملي ، وجعله في مأمن من اذى الناس الساعطين عليه ، ولولا هذه الفتوى لما كان قد سلم من نقمة وخطب الجماهير الغاضبة عليه ، خاصة وأنه أي السيد العاملي كان في طريقه من سوريا الى العراق وإيران في ذلك الوقت بالذات ، وقد نزل خلال زيارته لمدينة النجف الأشرف ضيفاً معزلاً محترماً على السيد الأصفهاني الذي كان المرجع الديني المطاع من قبل الجميع ، ومن هنا لم يجرأ أحد على الإساءة للسيد العاملي (٢) .

ومع ملاحظة البيئة التي كان السيد الأمين يعيش في أوساطها

(١) الخليلي هكذا عرفتهم ٢١٠/١

(٢) الحسين والحسينيون ٥٦

عندما أرسله الزعيم الديني الشيخ محمد طه نجف ممثلاً دينياً في دمشق،
لم تألف ولم تستسخ ولم تهضم هكذا لون من اقامة الشعائر
والطقوس الدينية الغربية على محيطها وأعرافها .

فمن يحمل هذه الملاحظات نقول رحم الله السيد الأمين
والسيد الأصفهاني ، فلربما كان لهما مايرر مواقفهما تجاه الشعائر ،
وربما كانت لهما أعذارهما الشرعية التي لم نهتد لمعرفة أسرارها ،
ولكن ذلك لا يقتضي النقمة التاريخية ، والتعصب والصخب والأحكام
الإرتجالية ، على رموز الإصلاح ، ورجال العقيدة .

ولا يغرب عن بالنا بعض الأحداث المماثلة ، واللقطات
المعاصرة ، وربط الحاضر بالماضي عندما أحاب سماحة الفقيه الكبير
العلامة السيد محمد حسين فضل الله على سؤال وجه إليه حول بعض
الروايات المتعلقة بتاريخ الزهراء عليها السلام ، بأنه لم يحقق فيها وربما
لا تصمد تلك الروايات أمام التحقيق العلمي ، وأنا أقف منها
موقف المتحفظ ، ولا اتفاعل معها رأينا كيف أن موجة من السخط
والنقد والتطاول عمت الأوساط الدينية خاصة ونشطت حركة توزيع
المنشورات والكتيبات والكاسيتات وكلها ضد السيد فضل الله ،
وكان الزهراء قد أسقطت الحسين كما أسقطت المحسن من قبل ..

ولولا حنكة السيد الحسيني ومعالجته للأمر بحكمة وروية
لأصبح أميناً ثانياً ومحسناً آخراً ، تلوكه الألسن وتهجوه القصاصد ،
فيثأر منه كل موتور ، وينتقم كل ذي مآرب بحجة الدفاع عن ظلامه
الزهراء عليها السلام .

وهذا كله نتيجة الفوضى والتسيب والاختراق وعدم التورع
والالتزام بشرف الخصومة وآدابها .

وقبل اقفال هذه الترجمة ، واغلاق ملف السيد الحلبي ، وأنا
على مشارف نهاية الحديث أودّ أن أشير إلى أن الخطابة الحسينية
رسالة مقدسة والخطيب الحسيني بلا مواقف مبدئية ، خطيب تجاري
لم يلتزم بشرف المهنة ، وقدسية العمل ولم يدفع الضريبة الشرعية
للجاء العريض ، والتكريم الكبير ، والحصانة الدينية التي يتمتع بها
تلقاء انتسابه لهذه الخدمة المقدسة .

إن الخطيب الرسالي هو رجل المبادئ ، وهو اللسان التناطق
باسم عقيدته ، والمنبر المعبر عن آلام أمته والوقوف إلى جانبها في
الشدائد والمحن بما يمتلك من طاقة وقوة ووجاهة ونفوذ وإمكانيات
مادية واجتماعية في سبيل عزتها ورفعتهآ وكرامتهآ ، وإلا سيكون
مصدّقاً لقول ذلك العبد المملوك الذي خاطب الحسين عندما أذن له
بالانصراف ليلة عاشوراء قال :

سيدي أنا بالرخاء الحس قصاعكم وبالشدّة أخذلكم ...

لقد تفتحت الجماهير ، واستيقظت من سباتها وانتبهت من غفلتها ، وأصبحت تتعامل بفهم ووعي وتقوّم بعدل وحق ، وتحدد شخصية الخطيب العبقري الأول الجدير بتكريم الأمة وتقدير التاريخ هو الذي يشاطر شعبه وبجتمعه وأبناء جلدته في السراء والضراء والشدّة والرخاء ، فما كانت الأمة يوماً بحاجة إلى عناوين عريضة جوفاء ، وشخصيات متخاذلة مثبّطة لعزائم الشرفاء المخلصين ، حفاظاً على أنانياتها ومصالحها الرخيصة .

ليس خطيباً رسالياً مسؤولاً جديراً باحترام الناس وتقديرهم من يلوذ بالصمت عند النكبة ، وبالفرار عند الوثبة ، وبالهروب عند الشدة ، ويترك أمته تنزف المأ ومحنة وإذلالاً ، فيتفرج على آلامها ، ويرقص على جراحها ، متعللاً بأعذار هي أوهى من بيت العنكبوت ، ومتشداً بتبريرات الجبن والخيانة للرسالة المقدسة التي يحملها في عنقه ، والمضطنّع بأعبائها ومسؤوليتها الخطيرة .

إن هذه الطبول المهزومة ، والبالونات المتخاذلة التي تسلقت إلى راية الدين فحملتها بكف وهزتها بأخرى بوجه الدين نفسه ، سوف تلفظهم الأمة وينبذهم التاريخ ويحاسبهم حساباً عسيراً .

لقد مرت على أمتنا الإسلامية ، وشعبنا العراقي خاصة أعتى الظروف ، وأشد الأزمات ، وأعظم التكبّات سواء أكانت ظروف الحرب ، أو تدمير الشعب الكامل إذلالاً وجوعاً ومهانة ، أو في ظروف الهجرة ومعاناة الغربة خارج الوطن المنحور ، لم نسمع لأولئك العباقرة وذوي الأصوات المسموعة صوتاً واحداً ، أو خطبة واحدة لها وقعها وأثرها في الصبر والمقاومة والثبات وتطبيب الخواطر المنكسرة والأمل بنصر الله والفرج القريب .

ولم نلمس من هذه الأرقام المذهبة أي رعاية عملية حقيقية للباطسين والمسحوقين لحفظ كرامتهم وماء وجوههم ، كل ذلك تمسكاً بالحياة وحرصاً على الدنيا ورعاية للمنافع والممتلكات الزائلة .

لقد كان فيلسوف الخطباء الإيرانيين عملاق المنبر الحسيني الشيخ الفيلسفي ، في قلب الجماهير الإيرانية الزاحفة على عرش الطاووس يوم محنتها وانتصارها ، لم يتخلف عنهم ولم ينجح عليهم بكل ما يمتلك من طاقة وقوة ، يشدّ على أيديهم ، ويضمّد جراحهم ، ويشجّد همهم بصدق وإخلاص .

لقد وقف إخوتنا وزملائنا وأساتذتنا الخطباء العراقيون وقفة الأسود في خطبهم النارية ، إبان الانتفاضة على الطاغوت وهذا ماتشهد به المجالس الجماهيرية في الخليج وغير الخليج ، والإذاعات

العربية في إيران وغيرها كالخطب المدوية لأعلام الخطباء كالشيخ المهاجر ، والشيخ المالكي ، والشيخ الشاهرودي ، والأستاذ الهالبي ، والشيخ الصيمري والشيخ المقدسي ، والشيخ الكندي ، والسيد الأغائي ، والسيد القزويني ، والسيد الفالي ، والشيخ الفقيه ، وغير هؤلاء ممن لم يحضرنني أسماؤهم الآن ، وهناك صنف من الخطباء تعاملوا مع شعبهم ميدانياً وقيادة في التحدي والمواجهة ثم خلفوا كل غال ونفيس وهاجروا بعقيدتهم ، وفروا بدينهم وأرواحهم كالشيخ الصمياني والسيد أبوشامة والخويلدي والنصراوي وإضراهم، ومنهم من لم يزل يعاني ظلمات السجون وإرهاب الجلادين كالأستاذ المجاهد السيد جواد شبر، والخطيب اللامع المأسوف على شبابه الزميل السيد عبدالرزاق القاموسي وغيرها فرج الله عنهم. فأين الواجهات العظام والعناوين الضخام والمتاجرين بمحتتنا ونكبتنا.

ولنا في حياة السيد الحلبي إمام الخطابة صورة حيّة للجرأة والجهاد والمواقف المبدئية المقدسة كلما تعرض للنفي والإبعاد ، والصلابة والثقة المطلقة والمضي قدماً أمام الحملات المسعورة التي تحاول يائسة النيل من شخصيته وكرامته .

وهكذا كانت سيرته وتاريخ حياته سلسلة من المواقف
والمفاخر حتى زفّ إلى الفردوس الأعلى مخلداً فيها بجوار أبي الضيف
وسيد الأحرار الحسين بن علي عليهما السلام .

وفاته ومراقده ونأبينه :

ه بعد رحلة العمر التي استغرقت سبعين عاماً ، أسس فيها السيد
الصالح مجدداً شامخاً ، وشيّد تاريخاً باذخاً ، وسجل صفحة في سجل
الخلود ، ثم رحل إلى رضوان الله ووقد في روضة خالدة ، بعد صراع
مع المرض ألزمه الفراش عشرة شهور في داره بجسر الكوفة ، فحمل
جثمانه على الرؤوس إجلالاً وتعظيماً في آخر شهر شوال من عام
١٣٥٩ هـ إلى مثواه الأخير في مقام المهدي بوادي السلام في النجف
الأشرف تنفيذاً لوصيته .

وانطوت بموته صفحة من صفحات العلم والفصاحة والجهاد،
وسكت لسانه الهادر وتوقف جنانه النابض ، وبقي منبره خالياً ،
ومكانه موحشاً .

وقام العلامة الكبير الشيخ عبد المهدي مطر ينعاها بأسف
وحرقة في مجلس تأبينه :

نعتك الخطابة والمنهر

وناح لك الطرس والمزبر

وهزّ نعيك قلب الحطيم

فأعولك الركسن والمشعر

وفيسك انطوت صفحة للبيان

بغير لسانك لا تنشر

ومات بموتك جـم غفير

وفيك انطوى عالم أكبر

فما روضة الفضل في زهوة

ومنها ذوى غصنها المثمر

ولاغاية الأسد في نجوة

وفيهما ترى ليثها القصور

فكنت كمدرسة في الوجود

تغذي النفوس بما يهر

إلى أن يقول :

ويوم استساغ هبات العراق

وساومها الذل مستعمر

فهذه المشاعر منك الأبياء

وتيسه العروبة والمفخر

فرحست تكشف ما عباوا

من الغسدر سيفاً وما أضمرُوا

وكنت على رغمهم ثابِتاً

وإن أبعدوك وإن سـفـرُوا

قعدت ولم تخش مكر الزمسان

عليك وما قدر ما يمكن

تذب عن الوطن المستظمام

كما ذب عن غابرة قسور

وقلت اخشوا إن تهيجوا العراق

يهيج بكم يومه الأحر

ثم يقول :

وأم الكيائـر ما لفقـوا

عليك افترأ وما صوروا

وأنت نزيه نقي الضمير

كمساء السحابة إن يطر

وقاستك في مثلها أعين

لديها استوى الفحيم والجوهسر

ثم تسابق الخطباء والشعراء إلى المنصة في محافل تأيينه ومحاسن

فاتحته ، وخصوصاً في المآتم المهيبة الذي عقدته جمعية الخطباء وفاءً

وعرفاناً لفقد عميدها ورحيل سيدها فأبته الخطيب الكبير الشيخ حواد

قسام بقصيدة عامرة قال في مطلعها:

باتت لفقدك تندب الأعواد

وأصيب فيك الوعظ والإرشاد

قد كنت نوراً للشريعة ساطعاً

كيف اعتراه من الردى إلهاد

أوقفت نفسك للمصالح مجاهداً

وكذا حياة المصلحين جهاد

ثم ارتحل أبو الشهداء العلامة الخطيب السيد حسن التتالجي كلمة

منعمة باللوعة والأسف ، أعقبه الخطيب المرحوم الشيخ مسلم الجابري

بكلمة قيمة نشرتها مجلة الغري ، وقام من بعده الخطيب الجريء المرحوم

السيد حسن الشخصص يوبن أستاذة بكلمة هادرة تفيض دمعاً وحرناً .

فإلى جنة الفردوس ، وفي ذمة الخلود ، ومع الحسين ورفاق

الحسين وحسن أولئك رفيقا .

OOOOOOOOOOOOOOOO

OOOOOOOO

مصادر الدراسة

- ١ - أدب الطف للسيد جواد شبر .
- ٢ - ديوان السيد حيدر الحلبي .
- ٣ - ديوان السيد جعفر الحلبي .
- ٤ - ديوان السيد رضا الهندي .
- ٥ - ثورة الحسين في الوجدان الشعبي لشمس الدين .
- ٦ - خطباء المنبر الحسيني للمرجاني .
- ٧ - الحسين والحسينيون للشاهرودي .
- ٨ - روح التشيع لعبد الله نعمة .
- ٩ - شعراء الغري لعلي الخاقاني .
- ١٠ - شعراء الحسين للايرواني .
- ١١ - هكذا عرفتهم للخليلي .
- ١٢ - موسوعة النجف الأشرف للدجيلي .
- ١٣ - ماضي النجف وحاضرها المحبوبة .
- ١٤ - مجلة رسالة الحسين .
- ١٥ - مجلة الموسم .
- ١٦ - من لا يحضره الخطيب للمؤلف .
- ١٧ - معجم رجال الفكر للأميني .



السيد كاظم الخضروج



السيد كاظم الفضري

○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○

○○○○○○○○

○ من اساطين المنبر الحسيني، وجهابذة الخطباء الكبار السيد كاظم بن السيد علي بن السيد حمود بن السيد نوح بن السيد ناصر الحسيني نسبة الفضري موطننا الخطيب مهنة وعملاً .

○ لم ادركه، ولم اعاصره، ولم استمع إلى مجالسه وتوجيهاته ولا حتى عن طريق التسجيل، حيث ندرة اجهزة التسجيل بذلك الوقت ان لم يكن انعدامها، وعدم اهتمام ذوي الشأن بالاحتفاظ بهذه المقامع الثرة ، والاعتناء بهذا التراث العظيم .

○ فبماكان الباحث أو الدارس في المجالات الاخرى ان يجد المزيد من الوثائق سواء منها المقروءة أو المسموعة أو حتى المرئية القديمة كالاشرطة المسجلة والمتلفزة وكالمجلات والدوريات المصورة التي ترسم صوراً واضحة عن شخصيات ونماذج قديمة ربما لايشكل بعضها شيئاً تجاه حملة الفكر ودعاة المبدأ، كالتسجيلات والوثائق القديمة لبعض أبطال الرياضة و الملاكمة ولاعبي كرة القدم والمطربين

والمثليين وغيرهم، ومع كامل الاحترام لهذه الأنشطة والممارسات الاجتماعية، إلا أننا نلقي باللائمة على من لم يلتفت عبر العصور المختلفة إلى الإحتفاظ بثروات هائلة على صعيد أساطين الفقهاء في بحوثهم العلمية وجهابذة العلماء في مقرراتهم ومحاضراتهم، وأساتذة الخطباء في مجالسهم وتوجيهاتهم، وعمالقة الادباء في أشعارهم وافتاحاتهم الأدبية.

هـ ولا يخفى ما بذلك من سلبية وتحجيم لعطاء هؤلاء العمالقة واقتصاره على مجتمعهم وتقييده بحدود العصر الذي يعيشون فيه وبذلك حرمان الأجيال المتلاحقة من الاستفادة من هذه الخبرات، والتزود من هذه المنابع الغنية والطاقت العالية .

هـ فلو استقرأنا كل الأراشيف في حوزاتنا، والخزانات في مكباتنا لما وجدنا شريطاً سينمائياً أو تسجيلاً صوتياً واحداً لا كابر العلماء وأعاضم الخطباء حتى المتأخرين الذين عاصرناهم في زمن وفرة الاجهزة الكترونية بكل أشكالها فمن المستحيل ان نجد شريطاً مسجلاً لبحث من بحوث المرجع الأكبر السيد أبو الحسن الاصفهاني، أو المرجع الراحل السيد محسن الحكيم بل وحتى المرجع الشهيد الصدر ، ثم من المتعذر والمستحيل أيضاً أن نجد تسجيلاً صوتياً أو مرئياً لسيد

الخطباء السيد صالح الحلبي ، أو لشيخ الخطباء الشيخ محمد علي
اليعقوبي أو غيرهما من الجيل الذي تقدمناه

وَمَا يَذْكَرُ فِي هَذَا الصَّدَدِ مَا حَرَّرَهُ السَّيِّدُ عَبْدِ الزَّهْرَاءِ الْحُسَيْنِيِّ
الْخَطِيبِ فِي مَذَكْرَاتِهِ عَنْ أَسْتَاذِهِ الْأَكْبَرِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ حَسَنِ كَاشِفِ
الْغَطَاءِ وَمَا كَتَبَهُ لِسَيَادَةِ الدُّكْتُورِ الْأَسْتَاذِ حَسَنِ عَلِيِّ عَبَّاسٍ لِرَفْدِهِ
وَتَرْوِيدِهِ بِمَعْلُومَاتِهِ وَذِكْرِيَاتِهِ عَنِ الْإِمَامِ كَاشِفِ الْغَطَاءِ بِاعْتِبَارِهِ تَلْمِيزَهُ
الْمُبْتَازِ لِيَسْتَعِينُ بِهَا فِي إِعْدَادِ رِسَالَةِ الدُّكْتُورِ الَّتِي خَصَّصَهَا فِي الْإِمَامِ
كَاشِفِ الْغَطَاءِ ، وَقَدْ رَاسَلَ الْأَسْتَاذَ حَسَنَ الْمَرْحُومِ السَّيِّدَ بِهَذَا
الْخُصُوصِ وَأَطَّلَعَنِي السَّيِّدُ فِي حِينِهَا عَلَى الرِّسَالَةِ وَبَعْضَ إِجَابَاتِهَا ثُمَّ
نَشَرْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فِي مَجَلَّةِ الْمَوْسَمِ .

فَمِنْ جَمَلَةِ اللَّقَطَاتِ الَّتِي أَلْمَحُ إِلَيْهَا سَيِّدُنَا الْفَقِيهُ هِيَ الْخُطْبَةُ
النَّارِيَّةُ الْغُرَاءُ الَّتِي خَطَبَهَا الْإِمَامُ كَاشِفِ الْغَطَاءِ فِي الْقُدْسِ الشَّرِيفِ
وَالَّتِي تَعْتَبَرُ مِنْ أَهَمِّ الْوُثَائِقِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وَقُوفِ عُلَمَاءِ الشِّيْعَةِ فِي
خَنْدَقِ وَاحِدٍ مَعَ أَشْقَائِهِمْ لِلدَّفَاعِ عَنْ حُقُوقِهِمُ الْمَغْتَصَبَةِ وَأَرْضِيهِمْ
السُّلْبِيَّةِ فِي فِلَسْطِينِ ، وَذَكَرَ السَّيِّدُ الْفَقِيهُ عَنِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ قَاسِمِ مَحْيِ
الَّذِينَ قَوْلُهُ :

لَمَّا دَعَى الشَّيْخُ لِلْمَشَارَكَةِ فِي الْمَوْتَمَرِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي عَقِدَ فِي
الْقُدْسِ ، عَارَضَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ زَعَمَاءِ

الشيعة لأن الشيخ هو الوحيد من علماء الإمامية الذي يحضر المؤتمر في مقابل المقامات من علماء المذاهب الأخرى من مختلف الأقطار ، ولعله لا يستطيع أن يقوم بما ينبغي ، وفي فشله فشل الطائفة بأسرها ، ولكن الشيخ أصرّ على السفر وحضور المؤتمر ، وارتجى تلك الخطبة الغراء حتى إن من كان دورهم بعده امتنعوا عن التقدم لمنصة الخطابة خشية الفشل لأن الشيخ في خطبته بدأ من تقدم قبله وخاف الإنكسار من تأخر عنه .

٥ وكان من المقرر أن يؤم المسلمين السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين يومئذ ، ولكن السيد الأمين أبى أن يتقدم على الشيخ في الصلاة ، فقدمه وصلى خلفه ما يناهز الخمسين ألف من علماء المذاهب الإسلامية الأخرى وغيرهم من سائر المسلمين .

٥ ويتحدث السيد بأسف بالغ عن عدم وجود هذه الخطبة حتى في مكتبة الشيخ نفسه في النجف الأشرف برغم أنها طبعت في كرّاس وقد بذل السيد رحمه الله جهوداً في العثور عليها في المكتبة الظاهرية بدمشق في الملفات الخاصة بالشؤون الفلسطينية فلم يظفر بشيء ، وبحث عنها في المجمع العلمي وغيره من المصانح الأخرى فلم يفلح في العثور عليها ، وكذلك يتحدث السيد عن خطبة أخرى ارتجلها الشيخ في مسجد الكوفة استمرت عدة ساعات ، وخطب مماثلة في النجف

والبصرة والناصرية والحلة ، ثم يبدي أسفه لعدم وجود الأهتمام بتسجيل هذه الخطب بأجهزة التسجيل المتوفرة يومذاك .

◦ وأذكر أنني في نهاية الستينات وفي بداية مجيء العفالقهِ إلى الحكم حضرت خطبة هامة ارتجلها العلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم في الصحن الحيدري الشريف ، وكان غاصباً بالأمواج المتلاطمة من البشر ، وقد هزَّ السيد الحكيم بذلك الخطاب الثوري كيان السلطة الحاكمة مطالباً أياها بحقوق الشعب المشروعة وحرية معتقداته ، وحماية العتبات المقدسة ، والكف عن ملاحقة الناس ، وممارسة الضغوط عليهم وخاصة في شعائرهم وقد بادرت يومئذ لتسجيل تلك الخطبة التاريخية على شريط كاسيت بجهاز تسجيل أقتنيته من الكويت عندما قرأت فيها بنفس العام ، وقد استعار مني ذلك الشريط المسجل سماحة الشيخ مهدي العطار حفظه الله ، وكان أستاذي في درس الفقه الإسلامي بكتاب شرائع الإسلام في مكتبة العلمين بمسجد الشيخ الطوسي ، ولأدري أين مصير الشريط اليوم ؟.

◦ ولو كان محفوظاً لكان من أهم الوثائق التي تتعلق بسيرة السيد الشهيد الحكيم وتاريخ جهاده ومواقفه الجريئة ، وأوليات الحركة الإسلامية في العراق .

٥ وفي عقيدتي أن عدم وجود هذا الجناح المهم في التوثيق وحفظ التراث لاعظم الشخصيات يعود لعدة عوامل :

الأول : يتعلق بالظروف السياسية الضاغطة التي تتعامل معنا تاريخياً بمنطق القمع والإرهاب .

الثاني : إنعدام المؤسسات الإستراتيجية التي تقوم بدور الأعلام وحفظ التراث من الضياع عبر القنوات المختلفة في دوائر المرجعية العليا .

الثالث : عدم وجود الانفتاح بين أجهزة الدولة الإعلامية وطاقاتها الكبيرة في الإذاعة والتلفزيون ، وبين الطاقات الضخمة لرجالنا وشخصياتنا العملاقة ، فترى التحقيقات والمقابلات والحوارات قائمة على قدم وساق مع الفنانين والمطربين والرياضيين نساءً ورجالاً ولحد الأشباع والتخمة ، بينما لا تجد لقاءً أو حواراً أو محاضرة بشكل منتظم لعالم من علمائنا أو خطيب من خطبائنا الا على سبيل الشذوذ والاستثناء .

ولعل من أبلغ الشواهد على ذلك ما ذكره الأستاذ علي أحمد البغلي وزير النفط الكويتي السابق وعضو مجلس الأمة في مقال له نشرته الصحافة الكويتية بتاريخ

١١/٩/١٩٩٢ تحت عنوان (عقريات إعلامية) على أثر وفاة الزعيم الإسلامي الكبير السيد الخوئي طاب ثراه ، وأنهم اتصلوا بالإذاعة وبوزارة الإعلام لإذاعة النبأ تأسياً بالإذاعات الأخرى ، فكان الرد : وهل أن الخوئي كويتي حتى نعلن نبأ وفاته ؟ فكانت الإجابة المسددة إذاً هل أن عبد الخليم حافظ كويتي حتى قطعتم البرامج المعتادة وتوقفتم عن البث وأعلنتم نبأ وفاته ؟؟!! (١) .

الرابع :

هناك عامل آخر وهو أن الكثير من شخصياتنا الدينية بعيدون كل البعد عن الأضواء والشهرة والتهالك على زخارف الدنيا فانهم يعيشون حياة بسيطة متواضعة برغم الملكات العالية ، وأما شريحة الخطباء فإلى وقت متأخر كنا نرى كيف أنهم يفضبون أشد الغضب إذا رأوا مسجلاً بيد أحد المستمعين ويمعنونه علناً عن التسجيل بمراى من الناس ومسمع ، وربما تتدخل

(١) مجلة الموسم عدد ١٧ لسنة ١٩٩٤ .

عوامل أخرى في هذا المنع غير الذي ذكرنا من رقابة التسجيل واحصاء الهفوات وقلّة البضاعة وتكرار المحاضرات ، إلى أن تغيرت الدنيا وانتشرت التقنيات الحديثة ، ودخلت التكنولوجيا في كل مجال ، أصبحت الأجنحة المستقلة في كل مؤسساتنا للتسجيلات بمختلف أشكالها ، وبإداراتها الكفوءة ، وأجهزتها العملاقة وانتشارها المنتظم مسائراً للحياة الحديثة المتطورة المعاصرة .

والخلاصة : إن سيدنا المترجم لانغلك لمحاضراته تسجيلاً يعطينا فكرة متكاملة عن قابلياته العلمية أو كفاءته الخطابية ، غير أنني سمعت الكثير عن شخصية السيد كاظم الحسيني منذ عهد الطفولة المبكرة ، فقد كان اسمه يتردد في أوساط بيتنا مقروناً بالهبة والإجلال والتقدير ، وكان ذكره لا يبرح السنة الجليل الذي سبقنا من أهلنا وشخصياتنا في مدينة الخضر ، وحتى أنني أدركت أحد الأخيار من الشبية وهو الشيخ علي صفر كان يجهر بصوت عال طالباً من الجميع قراءة سورة الفاتحة على روح السيد كاظم كلما عقد مجلس للحسين في أي مكان وزمان اعتزازاً وتقديراً ووفاءً .

٥ وأما تلميذه البار وقرّة عينه وابن عمه المرحوم الفقيه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب فلا تكاد تخلو أحاديثه وبجبالسه وشواهد من ذكر (السيد) حتى أصبح مصطلحاً إذا أطلق ولم يقيد فالمقصود به السيد كاظم كما أعتاد الفقهاء أن يطلقوا (الشيخ) على الشيخ الطوسي ، و(السيد) على السيد المرتضى .

٥ أجل كان يثني عليه غاية الثناء ، ويطري شخصيته بإكبار واعتزاز ويستشهد بأحاديثه ومشاهداته ووقائعه بتأثر بالغ نظراً للملازمة الطويلة والأنصهار في شخصيته ، وسمعته يقول :

حصل خلاف - ذات يوم - في مسألة لغوية بين المرحوم الشيخ أسد حيدر وجماعة من العلماء واحتدم النقاش ما بينهم فانبرى الشيخ أسد قائلاً سمعت ذلك من خالي السيد كاظم وهو لا يخطأ في ضبط الكلمات يقول ذلك بثقة وبصيرة وتحدي .

٥ لقد كان السيد المترجم قوي الحجّة واسع المعرفة دقيق الملاحظة كما كان من ناحية أخرى جسوراً جريئاً مهيب الطلعة عزيز النفس موفور الكرامة ، ومن شواهد هذا الباب ما ذكره السيد عبد الزهراء رحمه الله أنه قصد عائداً أحد المرضى من معارفه ، فلم يقم المريض احتفاءً به واستقبالاً له ، واكتفى بالسلام عليه وهو على فراشه ، فالتمس له السيد أسباب العذر باعتباره مريضاً لإطاقة له على

القيام والمجاملة وبينما السيد في زيارته وحديثه معه إذ دخل عليه أحد موظفي الدولة ، فانتفض المريض من فراشه مرحباً ومستقبلاً ، فما كان من السيد إلا أن وقف على قدميه ونحاطبه بلهجة غاضبة قائلاً تعساً لأملك عذرتك لمرضك ، أما أن تقوم لهذا فهل هو أشرف مني ١٩ وتركه وخرج .

◊ وكان قوي الحافظة متفتح الذهن ، متوقد الذكاء ، شديد التتبع ، ولما كفّ بصره في أيامه الأخيرة كان يستعين في مطالعته وقرآته بمجموعة من الشباب المثقف وخصوصاً الأستاذ دايم الثويني الذي يجيد أكثر من لغة كالإنكليزية والفرنسية بالإضافة إلى لغته العربية ، فإذا ما انتهى وقت المطالعة وحن الموعد الثاني لها يتذكر بكل نباهة ويقظة موضوع المطالعة ، ورقم الصفحة التي انتهوا عندها بل وحتى السطر الذي توقفوا عنده في قرائتهم السابقة .

◊ حدثني السيد جعفر الحسيني أن أخي السيد حبار سسأل المرحوم والده بمحضوره : لو أردنا أن نقسّم المقدرة الخطابية والإحاطة بفنون المنبر على مراحل ودرجات فأين نضع السيد كاظم من اليعقوبي المعروف بشيخ الخطباء بذلك الوقت ، فأجاب السيد إن السيد كاظم أرفع درجة وأعلى مكانة من اليعقوبي لولا أن الأخير

أنطلق من النجف وأشتهر باشتهار أسماها ، وبقي السيد محجماً في
الحضر بعيداً عن ، الأضواء والشهرة .

٥ تتلمذ على يديه ثلة من أعظم الخطباء وفي مقدمتهم سيدنا
الفقيه السعيد السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، والخطيب البارع
السيد طاهر السيد حسن ملحم .

٥ وحدثني والدي أنه كان يصطحب السيد المترجم في مجالسه
السنوية بمناسبة شهر محرم إلى الناصرية وقيم معه ، وقرأ مقدمة أمامه
وكان كثير التحدث عن مكارم أخلاقه ، وأنه كان يؤثره على نفسه
لاسيما وأن الزمن كان زمن قحط وجوع ، وما ذلك الا لسوء نفسه
وطيب معدنه وتفقدته لراحامه ، حيث تربطنا به قرابة قريبة مباشرة
عن طريق أمهات آبائنا فهو وأبي ولداً بحالة من أختين شقيقتين
بحاليتين ومن نفس هذا المصدر تنبثق قرابتنا مع السيد عبد الزهراء
والسيد طاهر والشيخ طالب حيدر والشيخ أسد حيدر ، وكذلك
الحاج مدلول والحاج فاخر وليد الطائي .

٥ وذكره الأرخ الفاضل السيد محمد الحسيني في الملف الخاص عن
السيرة الذاتية للسيد عبد الزهراء الذي نشرته مجلة الموسم في عددها
العشرين لسنة ١٩٩٤ ، وأكتفى بذكر نسبه وماترجمه له السيد عبد

الزهراء في مصادره ، والشيخ الأميني في معجمه ، فأما السيد في المصادر فعرفه بمايلي :

هو أستاذي وابن عم والدي ، ولد في سنة ١٣٠٦ هـ في ضاحية من ضواحي الناصرية حيث كان أبوه مزارعاً هناك ، ونشأ نشأة تلوح منها علائم النبوغ ، وأمارات العبقرية ، وتفرس فيه ذلك صهره العلامة الشيخ محمد حيدر رحمه الله فحثه على طلب العلم ، فهاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٢٠ هـ وحسّد في الطلب ، وثابر على التحصيل ، وامتنع الخطابة ، وبرع فيها حتى صار موضع إعجاب المستمعين على اختلاف أذواقهم لغزارة علمه ووفرة أطلاعه ، ومعرفته بحرمة المنبر ، وتحسسه بأدواء المجتمع ، ومشاكل الناس ، ومهارته في وصف الأدوية الناجعة ، ووضع الحلول النافعة ، بالإضافة إلى عذوبة منطقه ، وجمهوريته صوته ، ورخامته ، ووقاره المتناهي ، وأترانه المنقطع النغدير ، حتى قال في حقه الإمام الفقيه كاشف الغطاء ، وكانت بينهما مودة أكيدة :

(قلّما رأيت مثله في صلابة إيمانه ، وتأثير موعظته) .

٥ توفي رحمه الله في الخامس عشر من شعبان سنة ١٣٧٠ هـ
وكان من يومه مشهوداً ودفن في النجف الأشرف (١).
٥ وكذلك ذكره سيدنا الفقيه في تقديمه لكتاب من لا يحضره
الخطيب الجزء الثاني فقال :

ولا يمكنني - عرفاناً للجميل - إلا أن أذكر السيد كاظم
الحسيني الخطيب رحمه الله ذلك الرجل الذي صحبته أكثر من عشر
سنوات ، واستمعت إليه أكثر من عشرين سنة ومازلت أتذوق قرائته
وكان يعرف للمنبر قدسيته وللمجالس حرمتها ، ومارقي المنبر جنباً
طول حياته ، ومارقاه بلا وضوء قرابة الأربعين عاماً كما سمعته يذكر
ذلك لبعض تلامذته ، ولذا صار موضع إعجاب السامعين لغزارة علمه
... الخ .

٥ ولو أردت أن أذكر محاسنه وعبادته وأذكاره لطال بي المسير
ولكن أسجل واقعيتين شاهدتهما بنفسي والله شاهد علي ما أقول :
رأيت في ليلة عاشوراء جاء إلى أحد المجالس فلم يتخط عتبة
الباب حتى أجهش الناس بالبكاء ، وأرتج المجلس بالنجيب فوصل

(١) مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ٢١٧/١ .

المنبر وقد علت أصواتهم على صوته ، ولم يتمكن من اسماعهم لأنه لم تكن مكبرات للصوت يومئذ ولم يقرأ الا بيت واحد باللغة الدارجة ، ونزل عن المنبر واستمر الناس بالبكاء مدة من الزمن ليست بالقصيرة .

هـ ثم رأيت في أحد مجالسه في الناصرية ولا أنسى أنها كانت الليلة الحادية عشرة من المحرم ، وهكذا ماج المجلس وهاج حتى رأيت رجلاً أغمي عليه من البكاء ، فحملوه إلى خارج المجلس وما أدري ما حدث له بعد ذلك (١) .

هـ وقال عنه الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني في معجم رجال الفكر والأدب : خطيب عالم جليل متكلم فاضل ، مثال الورع والتقوى والصلاح ، كثير الدعاء والصلاة .

هـ تتلمذ على علماء عصره ، وكان شديد الاتصال بالشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، ووكيله في الخضر ، وكانت له معه مراسلات وقد احتفظ بكثير منها ابن عمه السيد عبد الزهراء الخطيب ، وعاد إلى بلدته (الخضر) وواصل التوجيه وكفّ بصره في السنين الأخيرة

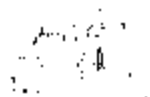
(١) من لائحته الخطيب ١٨/٢

ومات سنة ١٣٧٠ هـ وله : تبويب كشكول البهائي وبجاميع في
مختلف المواضيع ١ - ٦ (١) .

وتحدث المرجاني عند عرض ترجمته فقال :

أما أسلوبه الخطابي فهو أسلوب منقطع النظير ، يشير إعجاب
المستمع ويجوز استحسانه ، ويغلب لبه من أي الطبقات ، هو بلاغة في
القول ، وفصاحة في اللهجة ، وحفظ للنصوص ، وشرح للمتون ،
وضبط للأسماء ، وبيان للغريب ، وعناية بالوعظ والإرشاد ، فإذا
أحس من المستمع كلالاً ، جاء بالنادرة اللطيفة ، والنكتة المضحكة ،
مما يدخل في تلك الباب ويندرج تحتها ، حتى يعيد للمستمع نشاطه ،
أضف إلى ذلك صوته الرقيق فالترجم كان علماً من أعلام الخطابة ،
وبطلاً من أبطال المتابر ، ورجلاً من رجال الإصلاح ، فكان كثيراً
ما يرقى الأعواد في بلاده وناصرية المنتفك ، والبصرة والمعقل وسوق
الشيوخ وبعض المدن الإسلامية ، وكان كثير الإطلاع والمطالعة حتى
أثرت كثرة المطالعة في بصره فأخذ يتنازل تدريجياً حتى كفّ بصره
تماماً في سنة ١٣٦٦ هـ ، ولم يثن ذهاب بصره عن عزمه ولم يقصر

(١) معجم رجال الفكر (٢/٥١٦)



من خطوه ، وكان على غاية من الذكاء وسرعة الحفظ (١) .

وإذا أردنا أن نلخص حياته في سطور فنقول أنه :

ولد في قرية من ضواحي الناصرية تدعى (أبو غريب) حيث

كانت أسرته مقيمة هناك لظروف عملها ، وقد توفي أبوه بعد ولادته

بستة أشهر فرجع أهله إلى موطنهم الأصلي في مدينة الخضر فنشأ في

أحضان أحواله آل حيدر وأشرف على تربيته المرحوم الشيخ محمد

حيدر والد الشيخ طالب والشيخ أسد حيدر .

تلقى تحصيله العلمي في الفقه والأصول والنحو والمنطق والعلوم

الأخرى في النجف الأشرف ، وبعد إكمال الدراسة عاد إلى بلاده

وأقام فيها خطيباً مفوهاً مصلحاً .

وفاته :

في الخامس عشر من شهر شعبان من سنة ١٣٧٠ هجرية

وفد على ربه، وحمل إلى النجف الأشرف، وأوى إلى مشواه الأخير في

مقبرة وادي السلام، وقد زرت قبره فيما بعد وقرأت اللوحة التي

نحتت بإسمه وتاريخ وفاته، عندما دفنت والذي إلى جانب قبره سنة

١٩٧٠م.

(١) خطباء المنبر الحسيني الطبعة القديمة ج ٣ ص ٣٨ .

وبعد وفاته بثلاثة أشهر توفي ولده السيد علي الذي لم يعقب
ولداً ذكراً غيره ووري الثرى بقربه أيضاً وأرخ وفاته الأديب المعروف
الشيخ علي البازي رحمه الله :

متابر الحسين قد
بكت بدمع سماجم
فقد الخطيب البارع ال
تسذب أبسي المكارم
وسجلت تاريخه
برسم عيد الكسائم

هـ انحصرت ذريته في ولده المرحوم السيد علي الذي أنجب أربعة
من خيرة الشبان وهم :

السيد حسين وقد امتهن الخطابة أخيراً بالإضافة إلى عمله
الرسمي في دائرة البريد والبرق والهاتف ، والاستاذ السيد جابر
المدرس في وزارة التربية .

والأستاذ السيد نعمة الذي غدرت به يد الطغيان فأودعته
السجون الرهيبة ولا يعرف مصيره إلى اليوم ، وأصغرهسم السيد باقر
وهو قمة في التهذيب والأخلاق العالية .

رحم الله السيد الخطيب وفرج عن ذريته وأبنائه ، ووقفنا
لاقتناء أثره ، والافتداء بسيرته على خط أهل البيت الطيبين الطاهرين .

○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○
○○○○○○○○



السيد عبد الرحمن الحسني الحطاب



السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب

١٣٣٩ - ١٤١٤

في ترجمة السيد الحسيني، وفي عرض سيرته المباركة، ودراسة حياته الكريمة، أنحني أمام صرحه الشامخ هيبه وإجلالاً وتعظيماً وأسجل اعترافي بقصور القلم العاجز عن تدوين ما يختلج في النفس، وتصوير ما يدور في الفكر من مشاعر الاعتزاز والعرفان، وأقف متهيأ خاشعاً في محراب التاريخ لأخوض في غمار شخصية اختزلت ثقلها خطيراً في صناعة التاريخ وترقيم صفحاته وفهرسة مضامينه واستخراج مصادره، ثم تسنمت موقِعاً متميزاً في نفوس الجمهور وقلوب المجتمع، واحتلت مكانة هامة في الوجدان والضمائر الشريفة.

بيد أنني أستميح «العز»^(١) عذراً، وأستغفره سلفاً عن كل قصور أو تقصير قد بدر أو يبدر، وأستأذنه في قطف زهرة من حديقته الوارفة، واقتباس شعاع من سيرته الكريمة.

وفي مطلع الحديث لا يسعني إلا أن أجعل هذه الشخصية في

(١) مصطلح مختصر أول من أطلقه اختصاراً لاسم السيد عبد الزهراء هو الدكتور أسعد علي.

مصاف الشخصيات النادرة التي قلما يوجد بأمثالها الزمن، وأعتبرها نسخة مفردة في طهارة الضمير ومكارم الأخلاق وملتقى الفضائل لا تتكرر إلا قليلاً.

ولا بد لي من التدرج في سلم الأيام الطويلة والتاريخ العريق ومراحل الحياة التي عايشته فيها عملاقاً عطوفاً، وأريحياً شريفاً، ورمزاً وعميداً لعزتنا وهويتنا، وسنداً وملاذاً لعوادي الزمن، وطوارق الأيام حتى تجرّعنا مرارة فقدته، واكتوينا بجمرة رحيله عظمت النكبة وفدحت الخسارة وجلّت المصيبة.

ولعل لوعة الذكريات التي سكتها على صفحات مجلة الموسم في ملفها الخاص عقب الخسارة الجسيمة بوفاته هي التلخيص الناطق لانطباعاتي وذكرياتني خلال أربعة عقود من الزمن تقريباً، وإليك النص الكامل:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا سيد الخطباء، السلام عليك يا عزّ العلماء، السلام عليك يا فخر المحققين والباحثين، السلام عليك يا فقيه العلم والدين السلام عليك يا إمام المنبر والمحراب، السلام عليك يا سلالة السادة الأطياب قدس الله روحك، ونور الله ضريحك، طبت حياً وميتاً وطابت الأرض التي تضمنت جسدك وتشرفت بمركبك أما الحزن عليك فسرمد، والليل لمصابك مسهد أشهد أنك كنت نوراً في قلوبنا، وضياءً في عيوننا وخيمة لعزنا، وتاجاً فوق رؤوسنا، وبلسماً لجراحنا فانطلقت بموتك شمعة العز، وانطوت برحيلك صفحة المجد، وهذ ركن العقيدة، وزلزل كيان الإسلام سيطول ذكرنا لك وحزننا عليك وفجيعتنا بك، أصحح غمضت عين المروءة وأطبق جفن الأريحية

وتوقف القلب الرؤوف الرحيم وخبث بسمة الشجر المهذب وضمم قبرك
أيادي المعروف وأكف الندى، وأبلى التراب محياك الوقور وجبينك
الشامخ؟

يا مالكا نطقي عليّ بموته أطلق لساني في رثاك متمماً
ما كنت أرجو أن أكون مؤثماً بل كنت أرجو أن أكون مكرماً
يا دهر حسبك واختتم بمصابه فلقد أصبت به الكمي المعلما
إن العواطف والزفرات والدموع التي نثرناها لفقذك لهي إكليل
متواضع نصبه على ضريحك الغالي ومرقدك المقدس.

ففي ذمة الله أيها الفقيد العظيم، وبعين الله ما عانيت وكابدت
من ألم التشرد والغربة، وفي سبيل الله جهادك بقلمك ولسانك،
فإلى جنة الخلد مع الأولياء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وروح
وريحان يحقان مرقدك الطاهر، فقد كنت في هذه الحياة الفانية
سليم القلب عفيف اليد طاهر الضمير شريف النفس زكيّ
السيرة لقد كنت ملتقى الفضائل ومجمع المحامد، جواداً سخياً
وقلباً عامراً بالمروءة، وطوية ما انطوت إل على حب الخير وصنع
الجميل.

إيه يا سليل الزهراء ما نسيناك ولن ننسك وهذا مكانك باقي بيننا
ورسمك محفور في قلوبنا نحفظ لك طيب الحديث وجميل السيرة
وعطف الأبوّة.

لقد لَحَّ بنا الحزن وشرقنا بالدمع وبكيننا خلقتك العالي ونفسك
الطاهرة التي لم تلوثها المغريات ولم تبدلها الحفاوة ولم تغيرها
المكانة والمنزلة السامية والموقع الاجتماعي المميز، كلما ألحت عليك

الحزن لم تجد منك إلا عملاقاً بجلد وشموخ وكلما ازدحمت عليك الخطوب، وتكاثرت عليك النوائب لم تجد منك إلا الموضع الصلب الذي يزداد ثقة وبطولة، ولا يعرف اليأس أو الإحباط إلى نفسه سبيلاً.

وكلما تظافرت عليك الأحقاد فكالت لك من الإساءة والانتهاك ما لو كان على جبل لتدكدك كلما أعطيتهم دروساً بليغة بالخلق العالي والتواضع الجم والضمير النقي والقلب الكبير، لذا خلّف رحيلك جمره في قلوبنا وقرحة في عيوننا، لقد تجاوزت الأقطار عليك حزناً، وفاضت العيون عليك دمعاً، واحترقت القلوب عليك أسفاً.

لقد كان لك في الشام مأتم وفي الإمارات مأتم وفي البحرين مأتم وفي لندن مأتم وفي إيران مأتم وفي سائر الأقطار أقيمت مأتمك ومحافلك في أعماق القلوب، تمجد ذكراك وتكرم شخصك ويغمرها الأسى وتلدعها الحسرة وتستنزل الرحمات على روحك الطاهرة، وها أن الأيام تمر وذكراك وأصدائك لم تنقطع كأنما دفنت في تلك القلوب التي أحبتك من الصميم وأعجبت بشخصك من الأعماق، كنا نؤمل فيك طول العمر ونفع الناس ونحن نعاني من ألم الغربة ونصارع شدة المحنة، لأن الزمان لا يوجد بأمثالك دائماً إنه شحيح العطاء من طرازك وأمثالك يا سليل الحسين ويا عز الزهراء، لقد كنت مصدر عزنا ومنبع فخرنا ومحط آمالنا حتى اختطفتك المنية من بيننا واختارك الله إلى جنة الخلد وبقي محرابك خالياً مظلماً ومكانك موحشاً مكفهاً ومنبرك حزيناً باكياً تهدمت آمالنا وفدحت خسارتنا وجلّت مصيبتنا ولكن الموت المحتم الذي لا بد



من اليمين: السيد محمد حسين فضل الله، السيد المترجم، المؤلف، الشيخ السهلاني.



من اليمين: الحاج عبود الصائغ، الشيخ محمد علي زين الدين، السيد مضر الحلوي، السيد محمد عبدالحكيم الصافي، الحاج حسين الشاكري، الدكتور السيد مصطفى جمال الدين، السيد المترجم، السيد طاهر الملحم، الشيخ ليث السهلاني، الجالسون: الأستاذ الطريحي صاحب الموسم، المؤلف، السيد محمد الحسيني.

لكل إنسان أن يتجرع مرارته، والنتيجة المؤلمة التي لا بد لكل إنسان أن ينتهي إليها، والحقيقة الموجهة التي لا بد لكل إنسان أن يصطدم بها:

الموت لا والد يُقي ولا ولدا هذا الطريق إلى أن لا تجد أحدا
فلو كانت الدنيا بدون بقاؤها لكان رسول الله فيها مخلداً
إيه يا سليل الزهراء والحسين واحترق قلبي عليك وا لهف نفسي
لمصائبك وا أسفي وحزني لفقدك ورحيلك.

سيدي يا حبيب القلوب وأنا أعيش غمرة مصائبك وجمرة حزنك
تعود بي الذكريات إلى عهد الطفولة ودور الصبا المبكر يوم فتحت
عيني على الحياة تحت ظلك الوارف، يوم كنت في أوج عطائك وفي
قمة نشاطك وحيويتك، يوم كنا نتسابق لخدمتك ونعتر بحضرتك
ونلتف حولك وننتقل في مجالسك ومحافلك في مدينتنا (الخصر)
وخصوصاً في ليالي شهر رمضان المباركة، وإنني لا أنسى ضوء وجهك
وضياء يدك ييران لنا ظلمة الأزقة والطرقات المؤدية لتلك المجالس،
ولست أنسى مشهد النصف من شهر رمضان الكريم وأنت تعنلي
صهوة الخطابة ومنير المجد بولادة الإمام الحسن (ع) كريم أهل بيتك
فتفيض أريحياتك ومكارمك المستمدة من مكارم أجدادك لتسعف
المعوزين والمحتاجين دون من أو أذى، فتعلن أسماء المتبرعين اسماً اسماً
عبر مكبرات الصوت لتخلق بذلك جواً من التسابق والتشجيع للبذل
والعطاء والمعروف ثم تتسلسل مجالس الشهر الكريم وذكرياته
الإسلامية وأحداثه التاريخية وتبرز من بينها ذكرى شهادة الإمام أمير
المؤمنين (ع) فيرتدي مسجدك حلة الحزن ويتسربل لباس السواد وتبدو
الكتابة على محياك الطاهر، ويلفك الحزن والأسى بإبراده، ولا أنسى

استغاثتك الحزينة بصوتك المتهدج واعلياه فتضطرب حيطان المسجد
ويكاد الصراخ والعيول أن يخترق السقف إلى عنان السماء، ويضج
الجمع بالنحيب وتسيل العبرات أيما مسيل ثم يعتلي المنبر من بعدك
سيدي خادم الحسين الوالد المغفور له فينشد قصيدة في رثاء أمير
المؤمنين (ع) تتجاوب معها جموع المؤمنين بالحب والولاء ويتفاعلون
مع أبياتها ومقاطعها بالحزن وفداحة الخسارة بمصرع مفخرة الدنيا وقلعة
الزمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كل ذلك مائل أمام ذاكرتي،
كما يشع في مخيلتي شخصك المهيب، وطلعتك البهية، وقامتك
المباركة، وأنت مع كوكبة مؤمنة من أتراب الصبا ورفاق الإيمان كأبي
الباقر وأبي حسون وأبي عقيل وأبي صادق وغيرهم من صفوتك
وحواريك، ورواد مجالسك، وتلامذة مدرستك وأنت توسعهم نبلاً،
وتغمرهم لطفاً، وتلقنهم أسرار معاني الخلق الكريم، وتغرس في
نفوسهم أعمق مشاعر الإيمان والاستقامة والشرف، وتربي في
ضمايرهم وأحاسيسهم مسؤولية الذود عن العقيدة، والانصهار
والذوبان في حب أهل البيت الطاهر (ع).

وما وقفتك المشهودة التي سجلها لك التاريخ بأحرف من بطولة
وتقدير بوجه موجة الإحاد التي اجتاحت بلدنا أيام المد الأحمر
والصفوة المؤمنة والطلبة المجاهدة من ورائك إلا معلم بارز من معالم
تاريخك الناصع وسجل حياتك المشرق.

كما لا تغيب عن ذاكرتي الآن مجالسك العامرة في شهر صفر
الخير في بيوت أهلنا في الخضر كمجلس الحاج مطر ومجلس آل حاج
حسين ومجلس آل السيد جاسم، لست أنساك وأنت تصطحب معك
ملازمك وأوراقك وبحوثك وتحقيقاتك في مصادر نهج البلاغة مكباً

على تأليفه وتنسيقه وتبويبه ريثما تتكامل جماهير مجلسك ورواد محاضرتك، حتى صاغت عبقريتك فصوله وتصدى يراعك المشوق لإحباط كل المحاولات الخبيثة وإفشال النوايا الماكرة التي تحاول النيل من نهج البلاغة ومن جامعه السيد الشريف الرضي، وكنت بذلك الجناح الثاني الذي يحلّق به نهج البلاغة في سماء العظمة والإبداع والعبقرية فقد تصدى ابن أبي الحديد لشرحه وتسلط الأضواء التاريخية والفلسفية والأدبية على ما ورد في النهج من الخطب والكتب والحكم والرسائل وتصديت أنت لإرساء القواعد وتثبيت الجذور وترقيم الأصول والمصادر بما لا يدع مجالاً لهراء المستشرقين والحاقدين وأذئابهم ومحاولاتهم الفاشلة لتزييف نهج البلاغة.

فيا موسوعة التاريخ المتحرك ويا دائرة معارف النهج، ويا سيد المنبر والمحراب ويا شيخ المحققين والباحثين، ويا أيها المتضلع في علوم آل محمد نحساً الموت أن ينال من خلودك أو يحد لك عمراً قصيراً.

فإنك حي في علي مخلص لأن علياً لا يحد له عمر فإن قيل هذا قبره قلت أربعوا أهذا الكيان الضخم يجمعه قبر؟

واستعيد شريط الذكريات مرة أخرى إلى مجلس الخياطين في الخضر الذي كان يعقد في الشارع العام وكنت أنت بطل المنبر فيه وكان لي شرف القراءة أمامك للمرة الأولى في خدمتي المنبرية بذلك المجلس في ذكرى وفاة الإمام الحسن (ع)، ومن هذا التاريخ لقيت منك الرعاية والتشجيع، وتسلسلت الطافك وتوجيهاتك في كل خطوات المنبر الشريفة، لقد تعلمت منك حرمة المنبر وشرف المهنة ومسؤولية الخطابة وقدسيتها الخدمة ثم غادرتنا إلى «بلد» مرجعاً دينياً وموجهاً ومربياً بتكليف من سيد الطائفة الإمام الراحل السيد



من اليمين: المحامي علي العطية، الدكتور جمال الدين، السيد مهدي الحكيم،
السيد المترجم، السيد بحر العلوم، المؤلف.



السيد المترجم، السيد علي مكّي العاملي، الشيخ عبدالرحمن الخير، السيد عامر
الخلو، ماجد الدهان، الدكتور أبو نوبغ.

محسن الحكيم، فكنا نتطلع إلى ظهورك ونتوقع طلعتك وترقب إطلالتك ونثلهف لرؤيتك، وكنت بين الفترة والأخرى تطل علينا كهلال العيد فنتسابق للصلاة خلفك والائتمام بك وثلث بالاستماع إلى حديثك ونشتاق بحرارة للقاءك وتجديد العهد بك ثم تتالت الأيام ودارت عجلة الليالي وحالفني شرف التوفيق بالإنتساب لجامعة النجف الأشرف وحوزتها العلمية فكان دعمك المادي والمعنوي يلاحقني ولا ينقطع وعطفك الأبوي يغمرنني ولا يقف عند حد، فما أسعدني في خدمتك ومرافقتك عندما تزور النجف الأشرف، وما أسعد قلبي في اصطحابك والتنقل معك في بيوت العلماء ومجالس المؤمنين وزيارة الأصدقاء والمعارف، والكل يتصور أنني ولدك الصليبي، وطالما كنت تعبر عني عبر مخاطباتك ومراسلاتك التي أحتفظ بعدد غير قليل منها تستهلها وتستفتح مطلعها بتعبيرك العطوف ولدي، ذلك التعبير الذي أعتز به والذي يغمرنني بلمسة الحنان والعطف التي افتقدتها في مطلع الصبا بوفاة والذي رحمه الله.

وبعد أن حلت ظروف المحنة والغربة التي مسزقت شملنا وأذلت عزيزنا وفرقت جمعنا في مختلف الأقطار والأمصار فقدفتك سفينة الدهر إلى البحرين، وألقتني أمواجها إلى الكويت وكنا نتواصل وثلثني وخصوصاً في عشرة محرم حيث التزامي بالقراءة هناك فأجدك أمامي أو زائراً بعد وصولي إلى بيت السيد الماجد وإذا لم يطرق سمعك علم بوصولي أبادر فوراً بلهفة لزيارتك وألثم أناملك الكريمة، ودارت عجلة الزمن دورة أخرى ونحن في خضم المعاناة والغربة والتشريد فلذنا في كنف ابنة الزهراء وأونيا إلى ظلال بظلة

كربلاء ورحابها الطاهرة فكنت الأب الغيور والمشفق العطوف والكهف الحصين الذي نلتجىء إليه إذا جارت الأيام وادلهمت الخطوب. لقد مرت علينا هذه السنين المجيدة والليالي العجاف وسحابة جودك ومعروفك تغمر القريب والبعيد فلا فرق عندك بين أبناءك وأصدقائك ومعارفك بل وكل من يحتاج رفدك ولو لم يكن من معارفك وأخصائك فالجميع عندك سواسية تتعامل مع الجميع بمقياس الإيمان والحاجة وميزان الثقة وبراءة الذمة، هدفك الأجر والثواب ورائدك الشرف وحفظ الكرامة، فكم من ملهوف أغثته وكم مكروب نقتس كربتته وكم من طالب حاجة قضيت حاجته وكم من شريف متعفف أعنته سرا ولا يعلم بما صنعت معه إلا الله، لا تقصد من وراء ذلك جاهاً ولا تنتظر حمداً وتسييحاً، لم يخالطك غرور التفضل ولم يخالجك شعور الاستعلاء وكنت بعطائك كجدك أمير المؤمنين الذي يوزع بيت المال على مستحقه ثم يكنسه ويصلي ركعتين شكراً لله على توفيقه لأداء حقوق الناس. لقد كنت في الشام أباً لكل العراقيين وعماداً لعزهم وكرامتهم ومفزعاً للمحرومين والملهوفين.

حتى إذا وقع الاختيار عليك لتكون سيد المحراب بمسجد الإمام علي في دولة الإمارات العربية بدني فكنت الإمام الناصح والثقة المطلق لمراجع الدين العليا فقامت بدورك ومسؤوليتك خير قيام ترشد الناس إلى طريق الحق وتهديهم إلى سبيل الهدى والرشاد وترد على أسئلتهم واستفساراتهم بجدارة ودراية وتحتضن الخطباء وتفيض عليهم من نعيم علومك وبحر معارفك وإلى جانب مسؤولياتك لن تبارح قلمك وتحقيقك وبحوثك حتى وأنت على فراش المرض،

وهناك هجمت عليك العلة وازدحمت عليك الأمراض فألزمتك الفراش.

وهنا أتذكر لقطعة عندما زرته عائداً في مشفى دبي ولما رمقني خلع خاتماً من يده الكريمة وقال ضعه بيدك ذكرى مني ولم يزل ذلك الخاتم أئمن ذكرى وأغلى هدية.

كان رحمه الله في هداياه وهباته لا يعرف معنى الشح أو البخل بل كان يجود بما عنده بثغر باسم ومحيا طلق ونفس كريمة تألف المعروف وتأنس بالخير والعطاء حتى صار مصداقاً لقول الشاعر:

من قاسَ جدواكَ يوماً بالسحب أخطأ مدحك
فالسحبُ تعطي وتبكي وأنت تعطي وتضحك

ولا زلت أتصور تلك النظرات الوداعة وأشعر بتلك الكلمات التي امتزح جدها بهزلها البعيدة عن الجفوة والقسوة التي تركت في نفوسنا أعمق أثر كريم لذلك العطف الأبوي الذي أفاضه علينا، وكم كنا نأنس بذلك المرح والمزاح المقعم باللطف والعطف فيغرس في قلوبنا أسباب الحب والاحترام والإجلال.

لقد كان سيدنا الفقيه الراحل حتى في أواخر أيامه وهو على فراش المرض لا تفارق البسمة ثغره ولا الدعابة لسانه الدافئ، وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى، وكأنه يدفع عادية الزمن بهذا المرح المهذب وداهية الأيام بذلك المزح الذي كان يغمره غمراً فقد كان حلواً للنكتة رطب الحديث يمزج الجد بالهزل رغم قساوة الدهر ومرارة الغربة.

كان رضوان الله عليه يوقر الصغير والكبير ويحترم كرامات الناس جميعاً وكان معقلاً من معاقل الصدق والوفاء ومقلعاً من مقالع المروءة

والإباء ومكارم الأخلاق، وكان زكي النفس حسن العشرة صادقاً في قوله وعمله متودداً محبباً إلى كل من يتصل به، وكان صاحب أخبار ونوادير ومعرفة بأحوال الناس، لم يقدم غيره على نفسه في النفع والمصالح، وكل من أنس بصحبته اعترف بفضله ودماثة طبعه ومرونة تفكيره ولين عريكته، وهو إلى ذلك قوي الإرادة ذكي الفؤاد مرهف الحس واسع الثقافة فصيح اللسان حلو الحديث يحب الضبط في الأفكار والأخبار وكلام العرب، لا يحدث إلا عما ترغب فيه النفس، ويستمتع به الخاطر، يحدثك عنه باتزان وهدوء وتأني وصبر ودعة، وإذا حدثك عن الناس لم يذكر من أخبارهم إلا ما فيه مثل وعبرة، ولا يميل إلى النقد والذم ولا يلد له الحديث إلا إذا كان منزهاً عن الإيذاء أو التجني، لذلك أحبه الناس وقدروا فضله لعلمهم أنه مجبول على الخير محب للبر والمعروف وكان أسفهم لفقده عظيماً وحزنهم لمصابه شديداً وتجمهرهم لتشيعه وتأيينه ما لم يحصل حتى لبعض مراجع الدين الكبار وقد استمرت مجالس تأيينه عشرين ليلة كانت الأولى كالأخيرة من حيث الحشود والتجمهر والحرارة والأسف وإلقاء الكلمات والقصائد والإطعام على روحه الطاهرة وما ذلك إلا لمكانته المتميزة في النفوس وأثره المحبب في القلوب والضمائر.

ولئن أساء له البعض في حياته فقد كان معهم كالنخلة العراقية التي إذا قذفت بحجر تساقطت رطباً جنياً وهكذا كان فقيدنا العظيم كلما أوسعوه إساءة أوسعهم عفواً وغفراناً وكلما ألحوا عليه بالأذى ألح عليهم بالصفح والتسامح، وكأئنا كانوا يختبرون عظمة شخصيته وكنز مروءته ومعقل صبره وحلمه وكظمه للغيظ.

حتى إذا حل العاشر من رجب الشهر الذي استشهد فيه جده كاظم

الغيظ الإمام موسى بن جعفر أسلم الروح إلى بارئها بعد صراع طويل مع المرض، فقد كانت صحته في أيامه الأخيرة بين مد وجزر تتحسن يوماً وتتكسر يوماً آخر كان بين الفترة والأخرى يرقد بأحد مستشفيات الإمارات ودمشق للفحوص والعناية، حتى كانت رحلته الأخيرة من دبي إلى دمشق وكان لي شرف خدمته ورعايته وهو محمول على كرسي متحرك لا طاقة له على القيام مستقلاً ولا قابلية له على الحركة دون الاستعانة بأحد، حتى إذا حل بدمشق وتحسنت صحته وتفاءلنا خيراً وأنه سيعود إلى منبره ومحرابه إذ تدهورت صحته وهاجمه مرض الموت وأحاطت به الأسقام وأنهكته العلل وأثقل حاله، وأدخل المشفى الشامي بدمشق مرتين، وفي المرة الأخيرة توقف قلبه الكبير ولحقت روحه بالرقيق الأعلى وفتحت أبواب الجنان لاستقباله ضيفاً على سيد شبابها فسرى نعيه في الأقطار والأمصار وجزع الصحب وهلعت قلوب الأحبة ومشى الحزن في الصدور، وطوى الموت بفقده مزايا نادرة، وصفات باهرة في الخلق والمرورة والأريحية والتسامح، وانطوى علم كان مرفوعاً خفاقاً من أعلام العقيدة وانهدم صرح من صروح المجد وسقط تاج من تيجان العز وانطفأت شمعة من شموع العلم والتحقيق وأغلق سجل حافل بالمفاخر والمآثر (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً).

فطبت حياً وميتاً وسلام على روحك الطيب وجسدك الطاهر
وشأبيب من رحمة الله على مرقدك المنور وضريحك المطهر وصلاة
وتسليماً من الله عليك ورحمة وبركات.

أقول ونعشه يخال نيهاً تحيط به المهابة والجلال
خليلي أحسرا دمعي قليلاً لأنظر كيف سيرت الجبال

وستبقى ذكرياتك لوعة في قلوبنا وجمرة في أحشائنا ودمعة ساخنة في عيوننا، وستبقى تجاربك وكلماتك مدرسة لنا، وشواهدك وحكمياتك مثلاً وقدوة في مسيرة حياتنا، وإلى أن نلتاقك تحت راية الحسين (ع) يوم نغد على الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

نسبه وأصوله:

نسب كَأَنَّ عَلَيْهِ من شمس الضحى نورٌ ومن فلق الصباح عموداً^(١) يلتقي نسب السيد المترجم بعميد أسرته الخطيب الكبير السيد كاظم الخضري الحسيني بالجد الثالث السيد حمود^(٢) بينما يجتمع ذلك النسب مع ابن عمه الخطيب البارع السيد طاهر الملاحم بالجد الخامس السيد نوح^(٣).

وبهذا النوح يجتمع الأعلام الثلاثة من الخطباء السيد كاظم، والسيد عبد الزهراء، والسيد طاهر. فهو السيد عبد الزهراء بن السيد حسين بن السيد جبر بن خفي بن حمود بن نوح بن ناصر بن شلال بن محمود بن محمد بن شوكة بن عبدالله بن علي بن أحمد بن أبي عبدالله بن أبي الهيجاء بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

نسب كمثل الشمس أشرق نوره فأضاءت الأقطار بالنور الجلي من حيث جدتهم النبي محمد وأبوهم الكرار حيدرة علي

(١) لأبي تمام الطائي.

(٢) تراجع ترجمة السيد كاظم في حقل خطباء في ذمة الخلود.

(٣) انظر سلسلة النسب في ترجمة السيد الطاهر.

وهكذا رأينا كيف تمتد أعرافه لتتصل بزيد الشهيد فهو إذن حسيني من أسرة حسينية اشتهرت في الجنوب العراقي بأخوة سمية، ولهذا الفرع الحسيني ثلاث فصائل شهيرة تتحد بأجدادها الكرام وهم آل ياسر وآل فياض وأخوة سميّة^(١).

موطنه ومولده:

أحبُّ بلادِ اللهِ ما بينَ منعجٍ إليَّ وسلمى أنْ تصوبَ سحابها
بلادٌ بها نيطتْ عليَّ تمائمِي وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي ترابها^(٢)

لا شك أن الأرض التي يستقبل الإنسان الحياة على ترابها، والموطن الأول الذي يحتضن الإنسان وليداً ويافعاً، والبلد الذي يضمه بدفء وحنان عند مجيئه إلى الدنيا، يتحول إلى جزء من كيانه ووجوده، وتطبع بصمات الحب والحنين لتلك الأرض في أوردته وشرابينه، وتبقى ألواح الذكريات عالقة ومثبتة في شاشة تفكيره في كل أدوار الحياة ومراحلها المختلفة. لأنها الأرض الأولى التي تنفس الهواء على سطحها، ورأى النور فوق ترابها، وامتزج دمه بذراتها وعناصرها، وعاش ونشأ وترعرع في أجوائها. وتفاعل مع مجتمعها بسرائه وضرائه، وشاركه بأفراحه وأتراحه، فهي مسقط رأسه، ومرتع صباه، ومنبت طفولته، ومركز ذكرياته،

(١) يراجع تحقيق هام في نسب هذه الأسرة، وتعريف بعض شخصياتها بقلم الباحث المسدد السيد محمد الحسيني في كتابة السيرة الذاتية للسيد المترجم بمجلة الموسم العدد العشرون سنة ١٩٩٥ م.

(٢) بلاغات النساء / ٢٢٠ .

وعليها تتكون شبكة علائقه الاجتماعية، وعليها تتأسس ملامح حياته الحضارية والثقافية.

وقد سجل الأدب العربي هذه الظاهرة بيئين من أروع ما قيل في هذا الباب.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزلي في الأرض يألّفه الفتى وحنينته أبدأ لأول منزل
ولذا أصبح هجر الوطن والابتعاد عنه بمنزلة الموت، وخروج الإنسان من أرضه، كمخروج روحه عن بدنه، كما عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى بقوله: (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه)^(١).

ومن الظواهر البارزة في سيرة سيدنا المترجم أنك لا تكاد تجتمع به بقاء أو حديث بجلسة عامة أو خاصة دون أن يتحدث عن ذكرياته الأولى أو يطعم كلامه بحكاية أو نادرة عن الخضر وأهالي الخضر وشخصياته الفلكلورية، فما هي يا ترى قصة الخضر؟.

الخضر بليدة تقع على ضفتي الفرات، بينها وبين مدينة السماوة ما يقارب الثلاثين كيلو متراً من الجنوب، يقابلها عن شمال السماوة وبنفس المسافة تقريباً مدينة الرميثة الباسلة.

ثم توسعت هذه البليدة حتى امتدت بيوتها ومبانيها إلى بعض القرى المجاورة، ونشطت حركة العمران والتوسع حتى أصبحت بلدة عامرة بسكانها وبيوتها وأسواقها وسائر مرافقها الأخرى.

ويخترق البلدة نهر الفرات فيقسمها إلى شطرين أو كما يصطلحون

(١) النساء/ ٦٦ .

محلياً بالصوب الكبير والصوب الصغير اللذين يربط بينهما جسر من أضخم جسور العراق. وقد وقعت عليه مجزرة بشرية عندما قصفت قوات التحالف الدولية العراق إبان حرب تحرير الكويت سنة ١٩٩١م. كما تعرضت البلدة للإحراق من قبل القوات البريطانية إبان غزوها العراق في عام ١٣٣٣ هـ، وتصدى الأهالي لمقارعتهم، بقيادة العلامة المجاهد الشيخ علي حيدر الذي أسهم في قيادة حركة الجهاد ضد المستعمر الإنكليزي الغاشم. فأحرق البريطانيون هذه المنطقة، وارتكبوا مذبحه (العين) فلاذ الناس بالفرار خشية البطش والمذابح وهذا ما اشتهر على السنة الرعيل الأول من أبناء المنطقة بسنة (الهجة) التي تعرضوا فيها للنهب والإحراق.

وهذه (العين) أشبه شيء بالمنطقة الحدودية لمدينة الخضر تقع في الطريق الخارجي المؤدي إلى محطة القطار، وهي عبارة عن حي صغير في الجانب الثاني من مقام الخضر اشتهرت بمعامل الطابوق. ثم إنها منطقة جميلة تحفها المزارع والبساتين، وفي مدخلها بستان وارف اشتهر بين الناس ببستان الحساوية وربما تنزهنا في طفولتنا بهذا البستان، وشاهدنا دوالي الكروم وعروش العنب، وأشجار الرمان والحمضيات الأخرى، والنخيل الباسق المحمل بأنواع التمور العراقية كالإخلاص والبرحي والشكر والعمراني ومختلف الأصناف الأخرى، كما اشتهرت منطقة العين في أيامنا بملك سيارات التاجير وسائقها، فيكاد أن يكون معظمهم من أهالي هذه المنطقة وقد عرفت كذلك بالكثير من الأخيار والأجواد والأتقياء.

وما برحت تعقد فيها مجالس الحسين بمختلف المناسبات ومن أشهر خطباءها المقيمين فيها هو المرحوم الشيخ سلمان النياوي والشيخ ياسين

كالعباس آل عكوف. وحصل لي الشرف أن خطبت فيها في إحدى
السنين بمناسبة شهر رمضان المبارك.

وقبالة العين على الطرف الآخر من الفرات شاطئاً جميلاً كان
السيد المترجم يرتاده سامراً فيه بسهرة خفيفة مع ثلة من خيار القوم
الذين يقضون وطراً من الليل متحلقين حوله يستمتعون بمسامرته،
ويستلذون بأحاديثه، ويتهلون من نعيم علومه وتوجيهاته.

* * *

وعلى مقربة من مدينة الخضر تقع منطقة الوركاء المنطقة الأثرية
الموغلة في القدم، والتي يزعم صاحب تاج العروس وصاحب معجم
البلدان أن فيها مولد إبراهيم الخليل عليه السلام^(١). وطالما يقصدها
السواح الأجانب، وعلماء الجولوجيا من الأوربيين وغيرهم منقبين
وباحثين عن الآثار القديمة.

ومن ذكريات الطفولة أننا كنا نتجمع على سيارات هؤلاء الزائرين
الأجانب، بدهشة واستغراب بدافع التفرج والفضول، وتنطق عيوننا
متسائلة كيف إن نساء هؤلاء الأجانب يخرجن سافرات متبرجات؟
في محيط ألف الحشمة والمبالغة في الحجاب المفرط حتى أن المرأة لا
تكتفي بعباءة واحدة بل لا بد من عبائتين أحدهما تنزل من الكتف
لتلف الجسد بكامله والأخرى من قمة الرأس إلى أخمص القدمين.

ولا زال أهلنا يتذكرون هذه التقاليد بفخر واعتزاز، ويتحدثون عنها
بغيرة وحمية، ويعتبرونها من الأعراف الدالة على الشرف والأصالة.
ومن أشهر المعالم التاريخية في هذه المنطقة مقام الخضر وهو عبارة

(١) تاج العروس ٣٨٩/٢٧ ، معجم البلدان ٣٧٢/٥ .

عن قبة بيضاء سامقة ترفع على حرم يحيط به صحن كبير يقصده الزائرون بحاجاتهم ونذورهم من مختلف أنحاء العراق.

ومقام الخضر مركز ديني مقدس، ومحراب من محاريب العبادة والصلاة والدعاء والذكر والتوسل إلى الله يزعمون أن الخضر الذي التقى نبي الله موسى عليه السلام - كما ورد في القرآن - مر من هنا وتعبّد في هذا المكان، ولا أدري ما هو المستند أو الإثبات التاريخي لذلك. وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

ويشرف على سدانة المقام منذ القدم أحوالنا من بني طي المعروفون بالقوّم، فيستقبلون الزائرين ويستضيفونهم ويلتزمون بوجبات إطعامهم كل حسب نوبته وتسلسل دوره بالقيام في خدمات زوار المقام.

وتحول الخضر من ناحية إلى قضاء تابع إدارياً إلى محافظة المثنى منذ عام ١٩٦٩ م وهو بلد شيعي قح ليس فيه خليط من الأجناس الأخرى ولذلك تراه عريقاً في خدماته الحسينية المختلفة مثله كمثل سائر المدن الشيعية الأخرى في العراق من عقد المآتم وإقامة المجالس النسائية والرجالية، وكان لوالدة سيدنا المترجم مجلس نسائي رئيسي في شهر المحرم اشتهر باسمها وعرف بمجلس (الملاّ آية) وهي آية بنت الحاج خيون محمد علي الحسيناوي، وكانت امرأة فاضلة تقية تجيد القراءة والكتابة وتنظم الشعر الشعبي في مديح ورناء أهل البيت عليهم السلام.

وربما حصل تنافس بين مآتمها والمآتم المقابل التي تقيمه جدتي رحمها الله، والذي اشتهر هو الآخر باسمها فيقال مآتم (الملاّ زهرا) وهي الحاجة زهرا آل مطر الطائي وكانت هي الأخرى قارئة للقرآن، ويجري

الشعر الشعبي على لسانها مجرى السهل الممتنع، وكم كان السيد المترجم يتحدث عن طرائف ونوادر في المنافسة الشريفة بين القارئتين الحسينيتين والدته وجدتي رحم الله الجميع.

وأما ماتم الرجال فكانت الخضر غالباً ما تستورد خطباءها من النجف الأشرف، مع وجود عدد كبير من الخطباء المحليين، فقد حدث المرحوم السيد أن في أحد الأدوار التي مرّت على الخضر بلغت إحصائية الخطباء فيه أكثر من أربعين خطيباً، وقد أدركت بعضهم في الأيام الأخيرة كالمرحوم الشيخ محمد آل حالوب والمرحوم الشيخ راضي الحاج محمد والشيخ سلمان المياوي، والشيخ شيحان الحسيناوي، والوالد السيد حسن السيد داخل والشيخ كاظم عليوي أخ السيد المترجم لأمه والذين لم أدركهم كالشيخ حمد التويي والشيخ يحيى الشيخ حسن والشيخ طاهر وحتى الخطباء الجابريون الذين هاجروا من الخضر إلى النجف طلباً للعلم كالشيخ محمد علي الجابري والشيخ مسلم الجابري واسرتهم وغير هؤلاء الذي يؤسفني عدم تسجيل لأثمة بأسماءهم من السيد المترجم. إلا أن مغنية الحي لا تطرب كما هو معروف فكانت الخضر تدعو كبار الخطباء من النجف كالخطيب السيد حسن القباجي، والسيد مهدي السويج، والشيخ جعفر الأيرواني، والشيخ شاکر الوائلي، والشيخ جعفر الهلالي، والشيخ مجيد الصيمري، والشيخ عبد الأمير الجمري من البحرين، والسيد جابر أبو الريحه، والسيد مرتضى الكشميري، والشيخ مندیل التميمي وغيرهم.

أما عن المواكب الحسينية ففيها موكبان رئيسيان الشرقي والغربي، يباشران نشاطاتهما الحسينية على التعاقب بعد انتهاء الخطيب من قراءته

في المأتمين الشهيرين مأتم الحاج عبد الصاحب ومأتم آل جوهر فنفرع
طبول الموكب الغربي استعداداً للعزاء، وايداناً بخروج المسيرة.

وكان يصدح بقصائده وأشعاره بذلك الموكب المرحوم الحاج جبار
علي الساجت، وهو رادود حسيني محلي. ثم يعقبه الموكب الشرقي
معزياً إلى وقت متأخر من الليل، وكان هذا الموكب يدعو قراءه من
النجف و كربلاء، ولا زلت أتذكر منهم المرحوم الأستاذ عبد الأمير
الترجمان، والسيد نزار أبو الريحه، والأستاذ جاسم شيروزة، وسمعت
منذ القدم أن المرحوم الوالد والرادود جشوم يتوليان القراءة لتلك
المواكب.

وهكذا بقية الأنشطة الحسينية الأخرى كموكب التطبير الذي كان
ينطلق من بيت السيد هاشم السيد محسن، أو من بيت الحاج مسلم
آل مطلق الطائي، أو كمراسم الشبيبة التي كانت موضع اهتمام
وإشراف المرحوم خادم الحسين عبد مناف الحاج ياسر. والرحوم خادم
الحسين عمران آل مزعل، وموكب الزنجيل الذي كان يعدّه ويتولى
شؤونه المرحوم خضير آل حمود.

وكان مقام الخضر مركز التجمع لموكب (الزنجيل) الذي التزم
الوالد رحمه الله بالقراءة فيه طيلة حياته وأتذكر أنه كان رحمه الله
ينظم القصيدة لذلك الموكب صباحاً بمحل عمله ويقراها عصباً عند
خروج الموكب، وهذه عاداته في كل يوم من أيام المحرم وفي كل عام
يقدم شعراً جديداً طازجاً ساخناً ولم يستعد شيئاً مما يقرأ في الأيام
السالفة. وطالما كنت أقوم بدور المساعد له، وربما المقرئ المستقل
في السنين الأخيرة ثم انتقل الدور لأنجي الشاعر الأديب أبي لؤي
السيد جبار في مواصلة هذه الخدمة على قاعدة فرخ البط عوام فأمه

وأبوه وجدته وأخوه كلهم تشرفوا بهذه الخدمة وانتسبوا لهذا السلك المقدس.

وكم هي عزيزة على قلبي تلك الذكريات التي لا تنمحي عن ذاكرتي ولا تفارق مخيلتي، لم تزل ماثلة أمامي وشاخصة في خاطري تلك الصورة المتمثلة بطبل كبير يضعه شخص من سدنة مقام الخضر وقوامه الطائيين يدعى (نعمة آل والي) بعنقه ويعلقه برقبته، ثم يخطو قافزاً، ويقفز بخطوة متميزة بكل قرعة طبل بعصاة أعدت خصيصاً لهذه الغاية، وإلى جانبه طبل آخر يقرع على غراره، تحف بهما حَمَلَة الطوس والصنوج التي تقرع هي الأخرى لتعطي الطبول نغمة وهيبة وشجاءاً. وتقدم هذه الجوقة الشبيهة بالجوقات العسكرية الحزينة، ثم تنتظم من بعدها طلائع المعزّين يتقدمهم عليّة القوم ووجوه البلد، لم يمنعهم كبر السن، ودور المشيب عن المشاركة في عزاء الحسين، فتركوا الوقار، ولبس الجميع لباس الحزن، وارتدى جلاباب السواد، وقد وضعوا على رؤوسهم قنسوة سوداء مكتوب عليها (يا حسين).

ويخرج الموكب المهيب كعرض عسكري حزين بإيقاعه وانتظامه من مركز التجمع في مقام الخضر مخترقاً الأسواق المتفرعة عنه ثم يسبق طريقه في الشوارع والحارات، ويتجول في البلاد عرضاً وطولاً ثم يعود إلى ساحة كبرى اعتاد التفرق والانصراف منها بعد أن يتحمس فيها بعروضه وهتافاته يا حسين يا شهيد يا مظلوم يا غريب.

وبعد هذه الأمامة الموجزة عن بلدة الخضر - موطن المترجم - نرى من هو الخضر الذي انتسبت البلدة إليه وحملت اسمه عنواناً وتعريفاً لهويتها؟.

الخضر شخصية حقيقية أقرّها القرآن، وأكدها السنة النبوية الشريفة، وذكرتها كوكبة من الأحاديث والروايات في الحضارة الإسلامية، غير أن القرآن الكريم أحاطها بشيء من الغموض وعدم الكشف والتصريح باسمها بشكل واضح ومحدد، ولكنه أثنى عليها وأعطاه من النعوت والصفات الكريمة كإخلاص العبودية، وإعطاء الرحمة، وغزارة العلم عبر قوله تعالى: ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتينا رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾ (١).

وقد يستخدم القرآن الكريم أسلوب التكتّم على بعض الشخصيات في القصص القرآني للعتة والعبرة التي تستهدف المبادئ والمعنويات، ولا تعنى بذكر الأسماء، وإناطة العمل بشخصية معينة، ليبقى العمل مفتوحاً لجمهور المجتمع، أو لوجود الحكمة والمصلحة في التكتّم بالمنظور البعيد لحماية تلك الشخصيات أو تحقيق الأهداف المستقبلية والأغراض البعيدة المدى.

وبناء على عدم وجود النص القطعي الذي يحسم بوضوح مشكلة الخضر، لذا أصبحت مثار الجدل ومبعث التساؤل والحيرة، وإدخالها في خانة المغيبات والخوارق، بينما ترى وجود النص الحاسم في مشكلة عيسى عليه السلام مبعثاً للإيمان والإذعان والتسليم بحياته دون أدنى شك أو ريب.

وقد تناولت كثير من البحوث والدراسات القديمة والحديثة ملف شخصية الخضر وتسليط الأضواء على جوانبها المتعددة ولكن دون الوصول إلى نتيجة حاسمة.

(١) الكهف/٦٥ .

وفي الحقيقة إن مثل هذه الدراسات، وتحقيق هذه الجوانب تعتبر من ترف الثقافة العامة، وليست من مسائل العقيدة الهامة إذ لسنا مسؤولين عن الاعتقاد بنبو الخضر أو حياته كمسؤوليتنا عن الاعتقاد بوجود الإمام المنتظر الذي يمثل ركناً من أركان عقيدتنا الأمامية يناط به مستقبل الحياة العادلة ومصير الرسالة الإسلامية.

أما موقفنا الشرعي من قضية الخضر فلا يتجاوز موقف الحيطة والسكوت وعدم القطع بشيء ثابت عما يكتنف تاريخ هذه الشخصية من ملاسبات وهل أنه كان نبياً أم ولياً أم عبداً صالحاً، ثم هل هو حي أم ميت؟؟. وموقفنا مستمد من القرآن الكريم الذي اغفل هذه الأمور.

واحتلت قضية الخضر مساحة واسعة من كتب التفسير وموسوعات الحديث ومعاجم اللغة ودوائر المعارف. وألفت العديد من الكتب لإعلام المسلمين وكبار العلماء كما أن هناك دراسات حديثة وكتب معاصرة خصصت لمعالجة هذه المسألة المدهشة، ومناقشة النظريات الإسلامية حولها وما هو الموقف الديني تجاه الاعتقاد أو عدم الاعتقاد بها، إلا أن هذا الزخم الهائل من الأحاديث والروايات والأبحاث لم تستقر على نظرية موحدة، ولم تتفق على رأي واضح، بل يبقى التأرجح هو المسيطر على نتائج الأبحاث والنظريات المطروحة.

وإذا حاولنا تثبيت لائحة بأسماء المفسرين والمحدثين والمؤرخين الذين تناولوا مسألة الخضر في كتبهم وموسوعاتهم فذلك أمر متعذر في هذا الاستطراد نظراً للكثرة الهائلة والجمهرة الكبيرة التي طرحت هذا الموضوع فلا يمكن أن تستعرض أمهات التفاسير وموسوعات التاريخ

دون المرور بقضية الخضر عليه السلام بيد أننا إتماماً للفائدة نخترل بعض الأسماء كنماذج شهيرة ندرجها في الهامش (١) دون التدخل بتصحيح آرائهم أو عدم التصحيح، فهذا ما يحتاج إلى دراسة مستقلة شاملة وطرح علمي مجرد.

ولعل من أحدث الدراسات المعاصرة حول هذا الموضوع هو كتاب الخضر بين الواقع والتهويل للأستاذ محمد خير رمضان فقد تقصّى مسألة الخضر بدراسة تحليلية مقارنة على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ، وكتب الأستاذ عبد الحلیم قنيس بحثاً تحت عنوان الخضر بين الحقيقة والخيال طبعته دار الكتاب العربي بدمشق، وهناك كتابات أخرى وإن كان بعضها تجاوز المنطق العلمي إلى الشنشنة المعروفة من أنزم، والتي أصبحت بالية متهثرة وكشف المنطق العلمي زيفها وسوء نوايا المتمسكين بإثارته بمناسبة وبغير مناسبة، كما فعل أحمد بن عبد العزيز الحصين في كتيب أطلق عليه اسم الخضر وآثاره بين الحقيقة والخرافة فراح يتحدث عن زيارة القبور بتشنج تقليدي وغمز روتيني لا علاقة له بأصول البحث العلمي النزيه.

* * *

(١) تفسير الرازي، تفسير القرطبي، روح المعاني، روح البيان، في ظلال القرآن لسيد قطب، الكشاف للزمخشري، الكاشف لمغنية، تفسير الميزان للطباطبائي، من وحي القرآن للسيد فضل الله، تفسير سورتي الكهف ومريم للمودودي، البداية والنهاية لابن كثير، الإصابة لأبي حجر، تاريخ الطبري، قصص الأنبياء للنجار، الأنبياء للحسني، تاريخ ابن عساكر، صحيح مسلم والبخاري، تاج العروس، لسان العرب، وغيرها مما لا يحيط به الإحصاء.

ولعل من صميم البحث أن نتعرف على البطاقة التاريخية للخضر عليه السلام في سطور موجزة نظراً لتعدد الأقوال والروايات في ذلك ولكن نختصرها بما يلي:

- ١ - اسمه بلياً بن ملكان.
- ٢ - لقبه الخضر لأنه إذا صلى اخضر ما حوله^(١)، وقيل لإشراقه وحسنه^(٢).
- ٣ - كنيته: اتفقت المصادر على أن كنيته أبو العباس واشتهر عندنا محلياً بأبي محمد ولم أعثر على مستند تاريخي لهذه الكنية.
- ٤ - أمه وأبوه: قالوا أن أمه رومية وأباه فارسي وزعموا بل إن أمه فارسية واسمها المي. وذكروا اختلافاً كبيراً في تحديد أبيه فقالوا أنه الابن الصليبي لآدم، وقالوا بل هو ابن قاييل، وقيل إنه ابن سام بن نوح، وقيل ابن فرعون ملك مصر وغير ذلك من الأقوال التي لا جدوى وراء تحقيقها.
- ٥ - ونصت بعض المصادر أنه كان قائداً عسكرياً في جند الإسكندر والخضر والإسكندر أبناء حالة!!.
- ٦ - ومن الإشارات التاريخية لوجوده في العراق ما ورد أنه عاصر إبراهيم الخليل وأمن بدينه وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها^(٣).
- ٧ - اختلفوا في تحديد شخصيته هل أنه نبي أم ولي أم عبد صالح

(١) الخضر بين الواقع والتهويل لمحمد خير رمضان/٢٩ .

(٢) تاج العروس ١٨٤/١١ مادة خضر.

(٣) تاريخ الطبري ١/١٨٨ .

ولا مانع من الجمع بين هذه الصفات الثلاث.

* * *

أما إذا تحولنا إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام نجد الروايات وأجوبة المسائل لا تغفل هذه المسألة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: أن الخضر كان نبياً مرسلأ بعثه الله إلى قومه فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبياؤه ورساله وكتبه، وكانت آيته ألا يجلس على خشبة يابسة، ولا أرض بيضاء إلا زهرت خضراء وإنما سمي خضراً لذلك^(١).

وقد تذكر بعض الأحاديث أنه حي لم يميت بعد وليس هناك دليل قطعي يثبت ذلك، كما أنه ليس هناك دليل عقلي يمنع من ذلك، من خلال قدرة الله المطلقة على ذلك وعلى أكثر منه^(٢).

وقد ورد أن دعاء كميل الدعاء المعروف الذي علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي واشتهر باسمه إنما هو دعاء الخضر، ويفهم المحللون من تعبير الإمام علي عليه السلام أنه دعاء أخي الخضر كونه حياً.

وما ورد عن الرضا أن الخضر أدى مراسم التعزية لأهل البيت بوفاة جدهم رسول الله حيث وقف على باب البيت وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله خلفاً من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة... إلخ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هذا أخي الخضر جاء يعزيكم بنبيكم.

(١) تفسير الميزان ٣٥٢/١٦ .

(٢) من وحي القرآن ٣٨٥/١٤ .

وفي اليوم الذي توفي فيه أمير المؤمنين عليه السلام أبنه بكلمات حارة وهي الزيارة المعروفة التي يزار بها الإمام يوم وفاته: رحمك الله يا أبا الحسن كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله... إلخ^(١).

وهناك كوكبة من الأحاديث تنطق بأنه يخرج مع الإمام المهدي عجل الله فرجه ويكون من أنصاره وأعوانه.

وبعد هذه الجولة في رحاب الخضر عليه السلام نعود إلى ربط الموضوع بحياة سيدنا المترجم الذي احتضنته مدينة الخضر عند ولادته، واستقبل الحياة في رحابها وذلك سنة ١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م.

ثم تدرج في سلم الحياة وليداً وطفلاً، وشاباً وكهلاً، ونحاض غمار الدنيا، وتوغل في ساحة العلم وصفوف المجتمع من هذا المنبت الطيب، وانطلق من هذه الأرض الخضراء التي غذته البراءة ونقاء الضمير والبساطة وطيبة القلب، حتى اشتد عوده عملاقاً يتملاه المجتمع ويرمقه بعين الإكبار والتقدير.

طوال الله:

ابتدأ الخطوات الأولى في مسيرته العلمية من مسقط رأسه على يد العلامة الجليل المرحوم الشيخ طالب حيدر فقد أخذ عنه مقدمات الدروس العربية ومبادئ العلوم الإسلامية حتى إذا

(١) الأنبياء للحسني/ ٣٦١ .

انتصف العقد الثاني من عمره هاجر إلى النجف الأشرف في سنة ١٩٣٦ م لطلب العلم، وانتمى لمدرسة كاشف الغطاء وأولاده الإمام كاشف الغطاء عناية خاصة ورعاية متميزة حتى أصبح السيد فيما بعد أمين سره، ومحرر علومه.

ومن نماذج ذلك أن الإمام كاشف الغطاء أملى عليه تمام كتابه (تحرير المجلة) وهو عبارة عن تعليقات للشيخ كاشف الغطاء من وجهة نظر الفقه الشيعي علي (المجلة العدلية)^(١). ثم واصل دراسته مكباً على تحصيل العلم، مجدداً في انتهاز المعارف، مرتشفاً من تلك المناهل، حتى قطع أشواطه الدراسية، ومراحله العلمية بفترة وجيزة نسبياً، ولكي يتبلور هذا الجانب من دراسة سيرته لأبد لنا من الحديث المفصل عن اعلام اساتذته.

أساتذته:

١ - الإمام المصلح الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء طاب ثراه وهو ممن انتهت إليه الزعامة الدينية، وثبت له وسادة المرجعية العليا، وهو جهيد من جهابذة العلم والتحقيق والأدب والتأليف، كما كان صرحاً من صروح الجراة والشجاعة والمواقف المبدئية المشرفة.

وقد تأثر السيد المترجم بشخصه إلى أبعد الحدود، واستقى من معين علومه، وانتهل من نيمر معارفه، فهو المؤسس لهذه الشخصية، وهو المشرف على بنائها، والمتصدي لرعايتها وتوجيهها، وهو المتعهد لسقاية هذا البرعم حتى نمت وتفتح ولذا ما انفك يذكره بأجلال، وما يرحب يستشهد بأقواله بإعجاب، وما فتىء يلهج بتعظيمه والثناء عليه في

(١) الموسم العدد العشرون لسنة ١٩٩٤ .

مجالسه وتأليفه وأحاديثه العامة والخاصة طول أيام حياته ولا أغفل الإشارة إلى أن أغلب إنتاجه في حقل التأليف والتحقيق كان من مقترحات سماحة الشيخ كاشف الغطاء، حيث أنه الغارس لبذرتها، والراسم لهياكلها، والطراح لفكرتها، وكان يتمنى أن تتصدى الكفاءات العالية من تلامذته متابعة تلك الأبحاث وخوض تلك الغمار لكشف الحقائق ورد الشبهات والدفاع عن العقيدة.

وقد صرح السيد الخطيب في كلمة رصفها في ديباجة المصادر للإمام كاشف الغطاء تحت عنوان: اقرأ هذه الكلمة تعرف قيمة هذا الكتاب جاء فيها: وعسى أن يوفق الله لإفراد كتاب يجمع أسانيد نهج البلاغة من كتب الفريقين فإني أحس بشدة الحاجة إلى ذلك وقد اضطررنا هذا الوقت وأعوزنا إلى مثله، على أنني لا أجد لنفسي كفاءة القيام بمثل هذا العمل الجليل، فعسى أن يعنى له بعض الأفاضل فينهض بمثل هذا المشروع الشريف الذي فات السلف الصالح أن يقوم بمثله وكم ترك الأول للأخضر، وغير خفي على ذي لب أن من يقوم بهذه الصنيعة العظمى يكون قد سد فراغاً كبيراً في المعارف والعلوم، وأسدى إلى الحقيقة يداً بيضاء يقطع بها أسنة المعتدين، ويكعم بها أفواه المتجاسرين، وأقلام المتطاولين على هذا السفر العظيم، الذي لا ثاني له بعد كتاب الله العزيز، كما يعترف به كل منصف من العارفين، وعسى أن لا يخيب رجائنا ولا يفشل اقتراحنا من أفاضلنا إن شاء الله^(١).

فامتشق السيد يراعه، وشمر عن ساعد الجد والهمة العالية ونزل إلى ساحة التأليف وتحقيق الآمال فارساً جديراً ومحققاً خبيراً ومؤلفاً قديراً.

(١) المراجعات الريحانية ٢/٢١٢، مصادر نهج البلاغة ٧/١

فأتحف المكتبة العربية والاسلامية بمصادره، وسد فراغها بمعارفه وعلومه، وقطع ألسنة المعتدين، وكعم أفواه المتجاسرين، كما أراد أستاذه الامام الكبير، وقد قطع بهذا العمل الجبار الطريق بحواجز فولاذية على كل من تسول له نفسه النيل من حرمة نهج البلاغة، والتشكيك المشبوه في نزاهة الشريف الرضي، وانبرى لتثبيت الوثائق التاريخية وترقيم المصادر، وفهرسة المستندات بأحرف بارزة وأرقام معتمدة بما لا يدع مجالاً للشك والنهراء والتطاول.

وبذلك حقق الحلم والأمنية التي كانت تراود أستاذه الامام، وما ذلك إلا جانباً من جوانب بره بأستاذه، وكان كثير البر له دائم الشناء عليه، ولسان حاله يقول:

أفضل أستاذي علي فضلٍ والدي وإن نالني من والدي الفضلُ والشرف
فذاك مربي الروح والروح جوهراً وهذا مربي الجسم والجسم من صدف^(١)

٢. العلامة الجليل الشيخ طالب حيدر رحمه الله. وهو من أجلاء الأساتذة، وفضلاء علماء الدين، عرف بالورع والتقوى والتخرج في الدين، وكان عفاً اليد واللسان، كثير المروءة والاحسان، نموذجاً مشرفاً للشخصية العربية بما فيها من الوضوح والكرامة والاباء، جريء في الحق، صادق في القول جسور في المواجهة، صلب في العقيدة، ليس لناوياً فيه مغمز، ولا لسانياً فيه مهمز، بالاضافة إلى ذكائه ونبوغه.

وهو الأخ الأكبر للمؤرخ الكبير الشيخ أسد حيدر، تربطني به أواصر

(١) أدب الطف ١٠/١٩٤ ترجمة اليعنوبي، ونسب الأستاذ الطريحي في مجلة الموسم الغراء عدد ١٥ لسنة ١٩٩٣ صفحة ٤٠٦ البيتين المخطيب السيد حسن الكشميري وأشار إنه نظمها وعلتها على صورة أستاذه السيد جواد شبر، وذلك اشتباه محض.

رحم ووشائج قربي، فهو بالاضافة إلى الخؤولة النسائية المتشايكة، صهر أبي علي شقيقته وأم أكبر أولاده الخطيب الشيخ سعود حيدر المكنى به، فهو ابن عمتي وأنا ابن خاله.

ومن ميزات الشيخ طالب رحمه الله شدة ورعه في التصرف والانفاق من الحقوق الشرعية في تأمين حياته المعاشية كما يفعل غيره من المشائخ، بل كان يعيش من خالص ماله على القناعة والكفاف، متكللاً على الله، معتمداً على نفسه بما يرده من أجره بعض الممتلكات المتواضعة هنا وهناك.

ولصلابته وابعاه وعدم رضوخه للهوان حصلت بينه وبين أكابر العلماء في النجف خلافات حادة أدت إلى حجب الأضواء عن شخصيته لما يمتلكه الطرف الآخر من نفوذ واسع وشهرة عالمية وصلاحيات دينية كبيرة ذهب ضحيتها الشيخ طالب حتى لقي ربه عزيزاً ألياً ومضيقاً نقياً.

وكان هذا العالم الجليل من أوائل الأساتذة لسيدنا المترجم والذي يحتل منزلة متميزة في نفسه فظالما سمعت منه عبارات الاطراء والثناء والاعتزاز بهذه الشخصية الكريمة.

٣ . البحاثه المتتبع والمؤرخ الثبت الشيخ أسد حيدر تغمدته الله برحمته، وهو الشقيق الأصغر للشيخ طالب. والحقيقة أن علاقة المترجم بهذين العلمين ليست علاقة تلميذ بأستاذ من النوع المتعارف وإنما هي علاقة الرعاية المطلقة في كل شؤون الحياة.

والعلامة الأسد غني عن التعريف بعلمه ومواهبه وتأليفاته القيمة فهو خارق الذكاء، وافر الاطلاع، طويل الباع، موضع التبجيل والاحترام عند مختلف الطبقات الدينية والاجتماعية، ترجمه الدكتور الأميني في

رجال الفكر^(١)، والحقاقي في شعراء الغري^(٢)، وغالب الناهي في دراسات أدبية، ونشرت له عينته في الحسين مذيلة بترجمة مختصرة في كتاب من لا يحضره الخطيب^(٣)، كما طبعت بعض أشعاره الدارجة مقدماً لها بنشر صورته وترجمة حياته في كتاب أدب المنبر الحسيني^(٤).

ولد في الخضر سنة ١٣٢٧ هجري ونشأ وترعرع في أجواء أسرته العلمية محباً للعلم شغوفاً في طلبه، طموحاً في اكتسابه، كان هو وشقيقه الشيخ طالب، والخطيب المقدس السيد كاظم الخضري، والعلامة الجليل الشيخ محسن البزوني، والسيد المترجم محاور النشاط الديني في مدينتنا (الخضر)، ورواد المجالس الحسينية والمشرفين على إقامتها وتهذيبها وبث الوعي الحسيني، وغرس محبة أهل البيت في النفوس والضمائر.

وكان رحمه الله متولعاً بحب الحسين، وإذا كان يوم عاشوراء كان يوم حزنه ومصيبته، فلا يكتفي أن يستمع لخطيب نائح أو مقرئ حزين يستعرض سيرة الحسين ومأساته دون أن يشارك هو بنفسه في العزاء، ويتقدم فينشد الشعر في رثاء سيد الشهداء، وخصوصاً في مجلس آل الصراف الذي كان يقام بكربلاء في العاشر من المحرم^(٥)، وقد أعطاني رحمه الله شريطاً مسجلاً لذلك المجلس بصوته وقراءته،

(١) معجم رجال الفكر ١/٤٦٠

(٢) شعراء الغري ١/٣١٣

(٣) من لا يحضره الخطيب ١/٢٣٨

(٤) أدب المنبر الحسيني ٣٥/

(٥) أدب المنبر الحسيني ٣٥/

وبمشاركة بعض الخطباء والذاكرين، وكانت تعلو أصوات البكاء والنحيب على أصواتهم، وكان المجلس ضجة واحدة بجمهوره وخطبائه، يقول الخاقاني في ترجمته: (ولكني لم أسمع له مجلساً غير مرة في اليوم العاشر بكر بلا وهو يروي قسماً من شعر ابن نصار الدارج فرأيت في صوته شجاً يمتلك الاحساس ويوقف الشعور فيما إذا كان السامع يرى شخصه نظراً لتلفعه بقدسية وإيمان حاذين)^(١)

وكان شيخنا الأسد رحمه الله أديباً لامعاً في اللهجتين الفصيحة والدارجة وكان سريع البديهة في نظم الشعر وربما ارتجل قطعة الشعر بدون تكلف، ومن شواهد ذلك أنه مرض ذات يوم برمد في عينه ففاجأه الشيخ كاشف الغطاء زائراً وعائداً له في داره فارتجل الأسد والشيخ على عتبة الباب:

ما أسعد اليوم داري والأرض تشقى وتسعد
وطسأت منها تراباً فكان للعينين أئسد
لو جئتي قبل هذا ما كنت أحتاج أحمد

وأحمد هذا هو السيد أحمد ربيع الحسني الطيب المشهور المعالج لعينه، ونموذج آخر ذكره الأستاذ غالب الناهي في دراسات أدبية: أن شخصاً من أهالي الناصرية اسمه طالب كانت له صحبة وصداقة معه، فأرسل إليه مبلغاً من المال ليشتري له كتاب (الدمعة الساكبة)، ولما استلم المال توهم أنه صلة وهدية من صديقه كما هو المألوف، ولكن لم تقض إلا أيام حتى طالبه طالب بالكتاب، واتضح للشيخ حقيقة الأمر، فما كان منه إلا أن اشترى الكتاب ووضع المبلغ فيه وكتب عليه:

(١) شعراء الغري ١/٣١٤

جاءت دنانيرك عفواً لنا فقلت هذي صلة واجبه
ومذ بها طالبت ياطالب أرسلتها بالدمعة الساكبه
ومن ذلك مارواه السيد المترجم أن المرحوم الشيخ أسد لاطف
الشيخ كاشف الغطاء بالبيتين التاليين:

أباحلیم أنت عين الحياة واردها يحيى مع الدهر
وكلنا يبغى وصولاً لها ولم يفز منا سوى الخضري
يعني الشيخ عبد الغني الخضري وكان من حاشية الشيخ وأخصائه
والتورية غاية في اللطافة، إذ أن الروايات تنطق بأن الخضر عليه السلام
شرب من عين الحياة وبقي حياً مدى الدهر.

وذكر له الأستاذ علي الخاقاني في ترجمته بموسوعة شعراء الغري
قصيدة عامرة في رثاء السيد أبي الحسن الأصفهاني تقع في خمس
وعشرين بيتاً قال في مطلعها:

لرزئك وقع في الوری دونه الخشر وفقدك أبقي الحزن وارتفع الصبر
ومن أشهر مؤلفاته الموسوعة العملاقة الامام الصادق والمذاهب
الأربعة في ستة أجزاء، وأتذكر أنه أملى عليّ الجزء السابع وكتبت له
فصولاً كبيرة منه ولا أدري مصيره اليوم ولا بد أن يكون محفوظاً عند
أنجاله الكرام مع بقية مؤلفاته المخطوطة الأخرى.

وهذا الأسد العالم المؤرخ والخطيب الأديب من أبرز أساتذة السيد
المترجم، ومن أقرب الناس إليه والقائمين على توجيهه ودعم مسيرته،
وكان يجعله غاية الاجلال، ويوقره منتهى التوقير ويشهد بجزارة علمه
وسعة اطلاعه وحصافة رأيه يقول في مقدمة المصادر: ولا يفوتني بهذه
المناسبة أن أثني أحسن الثناء على (أسد آل حيد) سلمه الله، فكم

شجعني على مواصلة هذا العمل، وحثني على الجد في اتقانه وكم جعل في متناول يدي من أمهات المصادر، ومختلف البحوث المتعلقة بهذا الموضوع، ودلني بمعلوماته القيمة، وخبرته الواسعة على موضع الفائدة منها فجزاه الله عني خيراً مايجزي به الواصلين لأرحامهم^(١)

٤ . العلامة الورع التقى أبو الفرج الشيخ علي المرهون القطيفي . عالم جليل، وخطيب واعظ، وأديب شاعر، ومؤلف ماهر. ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٣٤ هـ . ١٩١٥ م

زرته في داره بطرف المشرق في النجف الأشرف زيارتين إحداهما بصحبة العلامة المقدس الشيخ محسن الشيخ حسن البزوني رحمه الله، وكانت بينهما صداقة حميمة، والأخرى مع السيد المترجم. فكان مصداقاً لقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

المرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه، أو القول الشهير الناس مخاير لامناظر، فلعمري لقد كان هذا العلم لم يعط بسطة في الجسم، ولكن الله وهبه بسطة في العلم وعوضه موهبة الفكر، وهذا هو الشرف والخلود، وما الجسم إلا الفناء والزوال.

لقد كان الأستاذ أبو الفرج القطيفي من أجلاء العلماء وفاضل الحوزة وأكابر المؤلفين، ولوامع الشعراء والأدباء وأساتذة خطباء المنبر الحسيني، إذا تحدث إليك ملأ عليك القلب إيماناً وسكينة وهدوءاً، وإذا أصغيت لحديثه لم يزدك إلا اقبالاً وبشاشة ولم تلق منه إلا لساناً مهذباً دافئاً.

وقد يتبادر إلى ذهنيات العامة أن الابدال والعظماء والمبدعين

(١) مصادر نهج البلاغة ١٧/١



السيد المترجم، الشيخ الاحقائي، الحاج حسن فردان.



من اليمين: الشيخ علي المرهون، السيد المترجم، الشيخ الاحقائي، الشيخ مرتضى الساعدي.

المتميزين من البشر لا بد أن يكونوا عمالقة الأجسام، ضخام الهياكل الجسدية، ويحضرني في هذا السياق ما حدثني به سماحة الأستاذ الباحث الكبير الشيخ باقر القرشي والابتسام طافحة على وجهه، أنه كان جالساً ذات يوم بمكتبة المعرفة لصاحبها الحاج عبد الحسين معرفة في مدخل سوق الحويش في النجف الأشرف إذ جاء رجل من أهالي البصرة يسأل بلهفة عن كتاب حياة الحسن للقرشي فقام صاحب المكتبة ليأتيه بالكتاب، فداعبه الشيخ القرشي مؤلف الكتاب قائلاً: مات فعل بهذا الكتاب؟! إن مؤلفه لا يفهم شيئاً!!

وكانت البسطة الجسدية لسماحة الشيخ لاتوحي بأنه صاحب هذه العبقريات والأججازات الضخمة. يقول الشيخ القرشي فما كان منه إلا أن غضب وانتفخت أوداجه وصرخ في وجهي بمصطلح محلي عراقي رديقه الفصيح إخرس. ولولا تدخل الحاج عبد الحسين واختباره بأني مؤلف الكتاب لوقع ما لا يحمد، فوقع الرجل على يدي يقبلها معتذراً عما بدر منه من جرأة وتناول!!

ومثل ذلك حدث للشيخ أسد حيدر رحمه الله في مكتبة التربية ببغداد عندما جاء رجل يسأل عن كتابه الامام الصادق والمذاهب الأربعة وإن كان الشيخ مهيب الطلعة، وقور الشخصية، غير أنه كان يعتمر الكوفية والعقال المتداول فمثله كمثله عامة الناس من حيث المظهر الخارجي، وأمثال ذلك كثير بأن مقاييس الجماهير العامة وتقويمهم للشخصيات المرموقة غالباً ما يتأثر ببسطة الجسم وصباحة الوجه وطول اللحية وهيبة المظهر ولكن قد فاتهم أنه:

ربّ شخصٍ كالثورٍ فهماً سوى أن على رأسه ترفُّ العمامه
وإذا ما بلوته عند خطب تبصرُ الجهل خلفه وأمامه

وقد تزدرى عامة الناس، وتنظر بعين الاحتقار لشخص لا يمتلك بنية جسدية، أو مظهرًا خلابًا، أو بريقًا خارجيًا، وما يدر بهم أن يكون ذلك من أولياء الله أو من العباقرة والأفذاذ.

وسماحة الشيخ المرهون من أهالي القطيف الكرام الذين هم كتلة من الدوبان في حب أهل البيت عليهم السلام، وأمثلة نموذجية للولاء الصادق المطلق، بيد أن الله عز وجل جعل الطابع العام لأشكالهم الخارجية خالياً من ضخامة الجسم ومفتقراً إلى بسطة الجسد وقد وصفهم شاعر ساخر من الخليج ببيت خبيث من الشعر قال فيه:

بنت وردان في زوايا الكنيف ذكرتني أشكال أهل القطيف
ونعود إلى القول أن السيد المترجم تلقى بعض علومه وانتهل بعض معارفة عن طريق التلمذة على يد هذا الأستاذ الجليل واستمر صديقاً حميماً له حتى آخر أيامه.

٥ . العلامة الفاضل السيد سعدون البعاج وهو من تلامذة الامام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد عبد الهادي الشيرازي وممن حضر أبحاثهم ودروسهم^(١) وكان من فرسان المنبر الحسيني، تمتاز مجالسه بالوعظ والارشاد وكانت مجالس البصرة والفاو وسوق الشيوخ وعبادان تستقبله بالحفاوة والاعتزاز ليعلو أعودها خطيباً موجهاً وعالماً متكلماً.

ولد السيد البعاج في كرمة بني سعيد في الناصرية عام ١٣٢٢ هـ، وتوفي رحمه الله عام ١٣٨٦ هـ عن عمر ناهز أربعاً وستين عاماً قضاه بخدمة العلم، وشرف الخدمة الحسينية. وأقيمت مأتم تأيينه في النجف الأشرف بعد أن دفن فيها بجوار أمير المؤمنين عليه السلام،

(١) خطباء المنبر للمرجاني ٣٠/٢ ط ٢

وتبارى الأدباء والخطباء، وتسابق الأساتذة والمتقنون لتأيينه في قصائدهم وكلماتهم، فقد ارتجل الأستاذ الخطيب السيد جواد شير كلمة في تكريمه وتعداد مآثره وأعقبه الأستاذ الشيخ جعفر الهلالي بقصيدة في رثائه: قال في مطلعها:

أرثيك والقلب المقرح موجع والشعر من بين الأضالع يقطع
ويكاد هول الخطب يخرس مقولي حزناً وخطبك للأحبة يفرع
وهي قصيدة طويلة تحتوي خمسا وستين بيتاً.

ثم ابنه الخطيب الكبير مهدي السويج بقصيدة افتتحها بقوله:

أسعدون أنت بما حويت سعيدُ لك في المنابر نُحُودُ الجهُودُ
للفقه والتفسير ترشد لاهياً غرته قومٌ للفتاة عبيدُ
كم قد صعدت على المنابر واعظاً وصدعت في أمر وأنت وحيدُ
فإذا المسامع سلمتك قيادها وإذا بمختلف القلوب جنود
يأسرة البعاج إن فقيدكم لن يفن فهو بفضله موجود
وتبعه الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الرحيم فرج الله بقصيدة عصماء
من تسع وخمسين بيتاً قال في أولها:

حقاً بفقْدك لو تفيض الأدمع فلقد خبا نجم واقفر مربع
ثم جاء دور الشيخ محمد جواد فرج الله فرثاه بقصيدة من سبعين
بيتاً قال في مطلعها:

جرت يادهرُ والخطوبُ تكيدُ ولباسُ الأسي عليّ جديدُ
ثم اشترك في تأيينه الشاعر توفيق مهدي، والأديب السيد يحيى
البعاج، وابنه الأستاذ أحمد عبد العزيز الدوري بكلمة ارتجالية، وألقى

من بعده الأستاذ محمد رضا عباس الكرمانى كلمة ارتجلها بالمناسبة. وهكذا كانت وفاته موضع الأسف والتكريم من قبل محبيه وعارفي فضله، الذين بادروا لمشاركة أسرته الكريمة في مصابه ومشاطرتهم في فقده ورحيله.

وقد أعقب سادة نجباء وأبناء بررة هم السيد عبد الستار والسيد محمود، والخطيب السيد محمد تقى، وكان من زملائنا في النجف الأشرف، وروى لي السيد المترجم نادرة حدثت معه في الكويت، وهو في قافلة متوجهة لحج بيت الله الحرام هو وإمامها ومرشدها، كما هي عادته في كل عام، فقد كان يقصد بيت الله في موسم الحج من كل سنة لأربعة عشر عاماً، وكنت ألتقيه هناك بعد هجرتي إلى الكويت عام ١٩٧٦م.

ففي إحدى السنوات وأثناء مرور حملتهم بالكويت نزلوا بإحدى الحسينيات للاستراحة، ولما حان وقت الصلاة تقدم السيد لأدائها جماعة، فأتم به الحاضرون إلا السيد محمد تقى وكان متواجداً هناك افترش عباءته واعتزل الناس وصلى فرادى، فما كان من السيد المترجم إلا أن قصد إليه وهمس في أذنه وهو يصلي بلطافته المعهودة قائلاً: ماذا يا... لاتصلي خلفي ولا تأتم بإمامتي أفلا تثق بعدالتي؟! فانفجر ضاحكاً وأكمل صلاته مأموماً بإمامة السيد المترجم.

وهذا الأسلوب من الظواهر البارزة في سلوك السيد رحمه الله إنه يعالج مثل هذه الأمور البسيطة بحكمة وأريحية، وبلا تشنج ووضغينة، فتتلطف الأجواء وتصفو القلوب وتعود الألفة لمجراها الطبيعي فيما إذا كان هناك شيء من الخلاف أو الإشكالات على قضية ما.

وأذكر عندما عزم بعض الشباب ومعهم بعض أئمة المساجد في

الامارات على إقامة صلاة الجمعة بناء على فتوى تخيرية لأحد العلماء، فنظر السيد بعيداً، وحاول مخلصاً تلافي الاحراجات والاشكالات المستقبلية، فقصدتهم بشيئته بكل رفق ولين، وقال أقسم عليكم بشيئتي لما اقلعتم عن هذه الفكرة، وكان يخشى الانشقاق والانقسام في صفوف المؤمنين، ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى توفي ذلك العالم المرجع الذي يرى جواز اقامتها تخييرياً فوق المحذور وتورطوا بتوجيه الأمر وهدأت فورة الشباب وربما ندم البعض على عدم الاصغاء والأخذ بالرأي الحصيف لسماحة السيد المترجم.

وفي الواقع هذا كله نتيجة عدم الانضباط والقوضى والتسيب الذي تعيشه بعض مجتمعاتنا في علاقتها بالعالم الديني فالبعض يريد أن يتدخل ويملي حتى الفتوى الدينية والحكم الشرعي على علماء الدين!! لاسيما وأنهم يجدون حفنة من أدعياء العلم والدين يباركون أعمالهم، ويسايرون أهوائهم خوفاً على كياناتهم من التصدع وعلى مركزهم من الانهيار وهنا مربط الفرس ومكمن العلة.

وهكذا رأينا السيد المترجم يبادر لمعالجة الأمور باستخدام وجهته الاجتماعية وتأثير كبر سنه بروح العطف والجد تارة وبروح المرح واللطافة تارة أخرى كما همس بأذن السيد البعاج ليلتحق بصلاة الجماعة، وهذه أيضاً من المشاكل الأخرى الشائعة في أوساطنا مع شدة الحرص في النصوص والروايات الواردة عن أهل البيت في إقامة صلاة الجماعة، إلا أننا نختلق في حالات كثيرة أسباب التملص، وطوي الصلاة فرادى بحجة عدم الاطمئنان، أو الدقة الشديدة في عدالة الامام والكل يتذكر كيف أن الخطباء بصورة خاصة كانوا يفترشون عباآتهم في الصحن الشريف ويصلون

فرادى مع وجود أئمة الدين وكبار المراجع في إمامة الصلاة!!
ومن أولى من الخطيب الحسيني في الحفاظ على حرمة المظاهر
الدينية ودعوة الناس إليها عملياً وسلوكياً، قبل دعوتهم نظرياً على
أعواد المتابر وكم من الخطباء من جمع بين الفضيلتين الامامة والخطابة،
ووفق بين فضيلة العلم وأصول المنبر كما كان سيدنا المترجم وأستاذه
العالم الخطيب السيد سعدون البعاج.

.....

ومن أساتذته الذين حضر أبحاثهم الخارجية عند تواجده في النجف
خصيصاً لهذا الهدف هو الشيخ محمد رضا آل ياسين، والسيد حسين
الحمامي، والشيخ عباس الرميثي.

هؤلاء أساتذته للمناهج المقررة، والعلوم الأساسية المعتمدة أما
الملكات الذاتية والثقافة الشخصية العامة، ومواصلة التتبع والتحقيق
والبحث والتنقيب فكان شغله الشاغل وشغفه المتواصل، فلقد كان
الكتاب سمير وحدته وأنيس وحشته، كما كان متنوع الثقافة، عصري
الأسلوب، متفتح التفكير، يتلقف الصحف، ويتابع المجلات، ويستمع
الأخبار العالمية، ويطلع على البرامج العامة، حتى أصبح موسوعة
متحركة في الثقافة، ومخضراً في العلوم القديمة والحديثة.

وساعد على تكوين شخصيته الثقافية مرابطته بين أحضان الكتب،
وأروقة المكتبات، وقاعات المطالعة، منذ نشأته الأولى. وكم كان
يتحدث باعتزاز عن تلك المجالس الدورية التي كانت تعقد في مطلع
شبابه في بيوت المؤمنين ببلدة الخضر وربما عقدت ثلاثة أوقات في
اليوم الواحد صباحاً وعصراً ومساءً متوزعة على البيوت والأماكن
الدينية العامة، وهي أشبه شيء بالمنتدى الثقافي أو المتلقى العلمي حيث

اجتماع أهل الفضل، والتقاء حملة العلم وأرباب المنابر وأعلام الخطباء فيحددون كتاباً معيناً يتفقون على قراءته، فيقرأ أحدهم ويشرح الآخر ويعلق الثالث، ويشكل الرابع وهكذا حتى تنتهي مطالعة الكتاب بتمامه يواصلون عملهم بكتاب آخر في ندواتهم المفتوحة وهكذا دواليك.

ومن ذكرياته رحمه الله عن تلك الحلقات المباركة يقول، عندما فرغنا من قراءة كتاب النصائح الكافية لابن عقيل، أشار علينا الأستاذ السيد كاظم الخطيب تجميد مطالعة أي كتاب آخر لمدة شهر لترسيخ فوائد الكتاب المذكور، واستحضار معانيه، والاستمتاع بلذة طعمه ودسومته!

ولاتقتصر هذه الندوات على شريحة العلماء والخطباء فحسب، وإنما يشاركها المثقفون والأساتذة أمثال الأستاذ عبد المنعم العكام، والأستاذ دايم الشويني، والأستاذ هاشم الصراف وغيرهم.

ومنذ بواكير شبابه رحمه الله في الخضر كانت مكتبة السيد كاظم الخضري تحت تصرفه وبين يديه تلك المكتبة التي رقدت واختبأت في الزوايا والكراتين في الأيام الأخيرة وقد أطلعني على قسم منها الأخ الفاضل السيد حسين السيد علي الحسيني قبل عشرين عاماً تقريباً.

وعند انتقال السيد المترجم إلى النجف الأشرف احتضنته مكتبة الامام كاشف الغطاء الزاخرة بألاف الكتب والمصادر، والحافلة بالمخطوطات والنوادير.

ثم أسس مكتبة خاصة في داره لا تقل عن خمسة آلاف كتاب طفحت بأمهات المراجع العلمية، وأنواع المعارف الثقافية. وعند نزوله في الامارات رئيساً لمجلس الأوقاف الشرعي بدبي وإماماً في مسجد

الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، بادر لتأسيس مكتبة عامرة في مجمع الأوقاف واعتنى بصورة خاصة بالكتب التي يستفيد منها الخطباء خلال تواجدهم في المواسم الحسينية حيث محل إقامتهم ومكان استضافتهم في الأوقاف الجعفرية. وقد أوقف من ماله الخاص وهداياه الشخصية كل ماتضمنته تلك المكتبة من كتب قيمة.

ولأغفل الإشارة إلى مكتبة الوثائق في مدينة بلد بالعراق التي كان ممثلاً دينياً فيها من قبل الامام الراحل السيد محسن الحكيم فقد كان يرتاد تلك المكتبة ويستفيد مما تحتويه من الكتب والوثائق.

وبعد أن أناخ رحله وحط ركابه في دمشق الشام رابط في المكتبة الظاهرية وطالما صحبتته إليها ورأيت حفاوة الموظفين واهتمامهم بسماحته بدءاً من مدير المكتبة وانتهاءً بأصغر موظفيها لما كان يمتلك من التواضع والخلق الرفيع، ثم ينهمك بين الأسفار فيقلب بطون الكتب ويسود الصحائف، ثم يدفع بها لبعض الشباب من عشاق شخصيته لتبييض تلك المسودات لقاء أجر معين، وكنا نطلق على أحد الشباب الملتزمين في الكتابة للسيد ومن باب الدعابة بأن فلاناً (كاتب الوحي).

وكان يزور مكتبة المعهد الفرنسي، ومكتبة الأسد الوطنية وغيرها من المكتبات العامة والخاصة منقياً وباحثاً، ومجدداً ومجتهداً، ليظفر ببيغيته، وينال مراده، ويشبع نهمه العلمي والثقافي.

خطابته:

الخطابة فن قائم بذاته وعلم مستقل بنفسه، يركز على مقومات أساسية، وعناصر هامة يحقق توفرها النجاح والتقدم، كالإحاطة الشاملة، والخبرة الموسوعية، وتنوع المعلومات، وتعدد المواهب، والجرأة

والشجاعة، واللباقة، وطلاقة اللسان، ورنخامة الصوت، وقوة الحافظة، وتوقد الذكاء، وهيبة الخطيب، وشخصيته المؤثرة، ورصيده في النفوس وشعبيته في أوساط المجتمع.

وقد تحدثنا في فصول مضت عن الخطابة وأصولها وفنونها في أكثر من موقع من هذا الكتاب.

وتتميز خطابة المنبر الحسيني بشكل خاص بميزات خطيرة وهامة منها التجمهر الهائل والحشود المتدفقة التي تتوافد في مواسم عاشوراء وغيرها للتعلم من مدرسة الحسين دروس العز والإباء والشرف والكرامة، وبهذا تمثل مجالس الحسين الوسائل الاعلامية الضخمة، والمحطات التربوية المهادفة، والدورات العقائدية التي تنتمي إليها جماهير المؤمنين لتنتهل منها معاني الخير والاستقامة والخلق الكريم والتمسك بالمبادئ والقيم التي استشهد الحسين من أجلها. وبناء على هذا المفهوم ومن هذا المنطلق يجب أن يتصدى الأكفاء من رجال المسؤولية وأعلام الخطباء لإدارة هذه المجالس والمحافظة على حرمتها من الترهل والتسيب، وفتح الأبواب لمن هبّ ودبّ، بل يجب الوقوف بحزم دون تسلل بعض العناصر المشبوهة، أو أنصاف الخطباء الذين يخلقون لنا مشاكل نحن في غنى عنها، ويسببون لنا احراجات حقيقية ومعطبات مخجلة بما يطرحون من أفكار ويعرضون من قضايا استفزازية أو خرافية تعطي الصورة المشوهة عن هذه المؤسسة الدينية الهامة. فما كان المنبر يوماً ملاذاً للفاشلين في الحياة ولا للنفيعين والمرترقة وأنصاف الرجال، وإنما هو مسؤولية خطيرة كبرى ورسالة مقدسة عظمى، يجب أن تناط بشخصياتها القادرة وأساطينها الكفوءة..

ولا يعني ذلك أننا نفرط بطاقات شبابنا الواعد، وطلائع المستقبل،

ولكن يجب أن يكون لدينا مقاييس دقيقة تضع الانسان المناسب في
الموقع المناسب، ونعطي كل ذي حق حقه، ويعرف كل انسان حجمه
الطبيعي، بلا فرضي وفقدان الموازين العادلة واختلاط الحابل المابل،
وتجميد الطاقات الهامة الكفوءة، وحينئذ يتسلل إلى المواقع الأمامية
ونخطوط المواجهة من لا يملك المؤهلات اللازمة والامكانيات المطلوبة.
وإذا ماقلبنا السجل الخطابي لسيدنا المترجم نجده مصداق قول
الأديب العربي:

مجد الخطيب بأن يكون خطابه مثلاً به تستشهد الخطباء
فلمعري لقد استمعت لخطابته منذ أيام الصغر في أمهات المجالس،
فإذا رقى المنبر ملاءه هيبة وقداسة وإذا تناول بحثاً أشبعه تحقيقاً ودراسة،
كان ذرب اللسان، فصيح البيان، قوي الحججة، صادق اللهجة، متوقد
الذهن، سريع الخاطر، متعهد الصوت، شجي النبرات، لا يمل حديثه،
ولا يسأم مستمعه، ينتقل به من آية إلى حكمة، ومن حديث إلى عبرة
ثم لا يغفل تطعيم مجلسه بقصص التاريخ، ونوادر الأخبار وعميون
الأشعار، والشواهد الممتعة، فإذا ما أحس أنه أطال بخطابه فاجأ
المستمعين بنكتة لاذعة، أو حكاية بارعة ليعيد لهم النشاط، ويزيل
الملل، ويفتح صفحة جديدة بعدوبة منطقته، وجمال أسلوبه.

وكان رحمه الله يقدس تلك المجالس ويحبها لحد العشق والهيام
وسمعه مرة يقول أنني لأخشى ألا يكون في الجنة مأتم عزاء للمحسين
عليه السلام.

وقد كتب رحمه الله في مقدمة الجزء الثاني من كتاب من
لا يحضره الخطيب فصلاً ممتعاً عن تعلقه بتلك المجالس، وعميق حبه لها
وبعض ذكرياته وانطباعاته عن الخطابة والخطباء أقتبس منها مايلي:

والمجالس الحسينية مدرسة سيطرة استفاد منها كثير من الناس قديماً وحديثاً، مع اختلاف الأفهام وتباين الأذواق، ومنها أخذوا أصول العقائد، ومعالم الدين وأحكام الشرع، وهي التي غدّتهم العزّة والكرامة، والاستماتة في سبيل الحق، وهي التي علمتهم مكارم الأخلاق، ومحاسن الأداب، والابتعاد عن كل ما يمس بالكرامة، أو يدعو إلى المذلة والمهانة.

ومنها عرفوا التاريخ والسير، وأخبار الأوائل، وأحوال الرجال، وغرائب الآثار، وعجائب الأمصار، وهلم جراً.

ولذلك كانت هذه المجالس موضوع عناية الأئمة عليهم السلام، ومحل رعايتهم حتى قال الصادق عليه السلام: «إني أحب تلك المجالس» ولقد سلك العلماء سبيل الأئمة عليهم السلام في تأييد هذه المجالس وتشبيدها فرعوها حق الرعاية وأعطوها كل الاهتمام قولاً وفعلاً، لأنهم عرفوا أنها أساس العقيدة، وقاعدة الإيمان حتى قال الامام المصلح الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء طيب الله ثراه «أما والله لولا تعظيم هذه الشعائر، وقيام أعواد هذه المنابر، لأصبحت الشريعة الاسلامية أموية، والملة المحمدية يزيدية» ولذا نرى أنّ أعداء أهل البيت والمنحرفين عنهم بذلوا كل ما في وسعهم للقضاء عليها فلم يزدوا ذلك إلا ظهوراً وانتشاراً، فما ضعفت في بلد إلا وقويت في بلد آخر، وما اختفت في جهة إلا ظهرت في جهات أخرى من بلاد الله العريضة الطويلة واذكر لك نماذج من اهتمام العلماء بهذه المجالس:

لقد رأيت الإمام كاشف الغطاء عطر الله مرقده أيام ملازمتي له إذا جاء إلى مدرسته المعلومه في النجف الأشرف لا يتعدى بضع

خطوات من باب المدرسة إلى غرفته الخاصة، ولا يأتي الجهة المقابلة لها إلا إذا أقام أحد الطلاب مجلساً للعزاء وسمع القارئ ابتداءً بالقراءة فحينئذ يترك عمله، ويدع مافي يده فيأتي الغرفة المقام فيها العزاء، ويجلس عند الباب، وكان رحمه الله رقيق القلب، سريع الدمعة وكأني أنظر إلى قطرات عينه تنهمر على لحيته المباركة كأنهن خرزات نظم ينحدرن، مع أن القارئ . في أكثر الأحيان . من المبتدئين، ولا يتجاوز الحاضرون عدّ الأصابع.

كما أني رأيت المرحوم الشيخ محمد رضا آل ياسين، وهو من العلماء الربانيين، تذكرك بالله رؤيته، وتفصل من العالم المادي تماماً بمجرد النظر إلى طلعتة البهية، وشيئته المباركة، نعم رأيت في ليلة الجمعة في حرم أمير المؤمنين عليه السلام بعد فراغه من صلاة العشاء متوجهاً إلى القبلة، أخذاً في التعقيب، فجاء أحد المبتدئين، ووقف خلفه واندفع يذكر مصيبة الحسين عليه السلام فترك الشيخ الاستقبال وما هو عليه من التعقيب، وتوجه إليه منصتاً في غاية الخشوع.

وفي وصية الشيخ المامقاني أعلي الله مقامه لولده: وعليك بني بإقامة عزاء الحسين عليه السلام في كل ليلة فإن لم تتمكن فأجمع عيالك واتلو عليهم ماجرى على الحسين عليه السلام.

وسمعت ممن أثق به أن السيد عبد الهادي الشيرازي قدس سره كان يجمع عياله في أكثر الليالي ويذكر لهم طرفاً من مصيبة سيد الشهداء عليه السلام.

ذلك لأنهم عرفوا فضل المجالس، وعظيم فائدتها (ولا يعرف الفضل إلا ذووه).

وكان لي صديق لا يزال على قيد الحياة، وهو ذو ثقافة عالية،
واطلاع واسع، وأدب جم وكان كثير المطالعة والمراجعة ويتقن
الانكليزية والفرنسية مضافاً إلى لغته العربية يقول:

كم قرأت من الكتب باللغات الثلاث فلم تؤثر في نفسي أثر المجالس
الحسينية التي كنت أحضرها في مقتبل عمري، وأيام شبابي:

وأنا أقول: كم قرأت من الكتب فلم تترك في نفسي أثر تلك
المجالس التي كنت أحضرها في طفولتي وريعان شبابي، وكنت
ولأزال أرى أطيب أوقاتي، وأسعد أيام حياتي حضور تلك المآتم
خصوصاً إذا كان الذاكر يجيد هذه الصنعة، ويتقن هذا الفن،
وذلك مادعاني أن أتخذ من الخطابة مهنة فخدمت المنبر أكثر من
خمسین عاماً، وبلغ من حبي لها، وشغفي بها أنني لو خيرت بين
أعلى المراتب الدينية، وأسمى المناصب الدنيوية وبين أن أكون
خطيباً ناجحاً لما اخترت عليها غيرها، وما تركتها حتى تركتني،
وما رغبت عنها حتى رغبت عني بسبب كبر سني، وضعف بدني،
ونسيان أكثر محفوظاتي، فكنت كذلك الشاعر الذي قيل له: لم
تركت الشعر؟ فقال: ياباني جيده وأبى رديته، وأسأله سبحانه أن
يتقبل خدمتي، ويجعلها في ميزان عملي، ويحشرني في زمرة
خدام سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، كما أسأله عز شأنه
أن يعفو عن الهفوات التي زل بها اللسان أو سها عنها الجنان.

ومهنة الخطابة شاقة فالله تعالى يريد منا الصدق في القول،
والاخلاص في العمل، وأن نكون عاملين بما نأمر، وممتهين عما
ننهى.

وقد سمعت أن الشيخ جعفر التستري طيب الله ثراه جاءه عبد

مملوك لأحد المؤمنين الذي يحضرون مجلسه فقال: إن مولاي لا يسمع منك موعظة إلا وعمل بها واطلب منك أن تذكر فضل العتق وثوابه لعله إذا سمع ذلك اعتقني فوعده خيراً، وجعل ذلك العبد يتردد على مجلس الشيخ فلم يره تعرض للعتق ولا ذكره من قريب ولا بعيد، فظن أن الشيخ رحمه الله نسي ما وعده به، ومّر على القضية ما يقارب الستة أشهر فسمعه ذات يوم يذكر العتق وفضله وثوابه، فلما عاد سيده إلى منزله قال له: أنت حرّ لوجه الله تعالى، فذهب العتق إلى الشيخ وشكره على ما فعل، وسأله عن السبب في تأخره عن ذكر العتق هذه المدة فقال رحمه الله: لا يزال طلبك على بالي، ولم أنس وما وعدتك به، ولكنني كنت ألزمت نفسي أن لا أمر الناس بشيء إلا وسبقتهم إليه، ولانهيتهم عن شيء إلا وتناهيت قبلهم عنه، تأسيماً بأمر المؤمنين عليه السلام، وأنا منذ طلبت إليّ ذلك جعلت أقتطع من مؤنتي كل يوم شيئاً حتى اجتمع عندي من المال ما أستطيع أن أعتق به مملوكاً فاشتريته وأعتقته ثم تكلمت في العتق.

ومن شغفي بالمجالس وحببي لها أنني استمعت إلى كثير من الخطباء الذين أدركتهم أمثال الشيخ محمد علي جسام رحمه الله الذي كان يملك مؤهلات كثيرة يجعلك تنشد إليه ومن تلك المؤهلات أن يصور لك الوقائع والمشاهد التي يذكرها تصويراً فنياً حتى يخيل إليك أنه أحد مواقعها أو مشاهديها مضافاً إليّ مارزق من تهيج العواطف عند التعرّيج على المصيبة فلا تسمع إلا باكياً أو نادياً حتى أن الكثير من أهل المنابر العالية كالسيد صالح الحلبي مثلاً يغبطه على ذلك.

والشيخ محمد علي اليعقوبي وكان دائرة معارف يخرج للناس ببعض ما في «صندوقه»^(١) من المثالي التي تعجب النظائر، وتكاد تذهب بالأبصار^(٢).

والشيخ حسن جلو رحمه الله في محفوظاته التي هي من عجائب الأمور حتى سمعت أحدهم يقول: كان الشيخ حسن جلو يستمع إلى قارئ في كتاب، فقال له: بقي من هذه الصفحة كذا سطر ثم تغلبها وكان الأمر كما قال.

والشيخ كاظم نوح رحمه الله في محاججاته العقائدية ومحاكماته التاريخية، وقد قرأت في أحد كتب الأستاذ أحمد أمين صاحب كتاب فجر الاسلام غاب عني اسمه الآن لبعث العهد به ما حاصله قال: وفدت إلى العراق وكان بصحبتني جماعة من الأساتذة وكنا ضيوفاً على الملك فيصل الأول، وأحبينا أن نشاهد المجالس الحسينية فأخذونا إلى أحدها فدخلنا والخطيب على المنبر وهو الشيخ كاظم نوح فقطع كلامه والتفت إلينا فرحب بنا ترحيباً حاراً بحيث وجه أنظار الحضور إلينا، فلما استقر بنا المجلس عاد في كلامه فأخذ فقرة من أحد كتبي يظن أن بها طعناً على الشيعة، وأخذ يردددها، ويعتق عليها فرأينا الوجوه قد اكفهرت، والعيون قد اشربت، وبدت طلائع الشر لنا وخفننا أن يشب المستمعون إلينا، وينكلوا بنا فاضطربت جوانحننا، وارتعدت فرائصنا فأقبل

(١) إشارة إلى صندوق اليعقوبي المعروف وهو صندوق كان يرمي به أوراقاً وقصاصات قد دون فيها ما يعثر عليه من غرائب الآثار، وتحف الأشعار ولا يعرف مصير هذا الصندوق اليوم.

(٢) كناية عن جريان الدموع.

إلينا المراققون لنا فأخرجونا من الباب الخلفي في غاية السرعة،
وشكونا ذلك إلى الملك فوعدنا أن يعاقبه على ذلك ولكنه لم يفعل
شيئاً.

واستمعت إلى السيد حسن الاستريادي في كربلاء وغيرها فكان
يذكرني باستطراداته، وتنقله من فن إلى فن ومن باب إلى باب
بالجأحظ، وكان يبرز الجد بالهزل ليرفع السأم عن المستمعين، ويعيد
إليهم نشاطهم.

وعلى هذه الشاكلة من استمعت إليهم من أكابر الخطباء
كالسيد حسن البغدادي وأخيه السيد صالح، والسيد سعيد
العدناني والشيخ خلف الشيباني، والملا عطية الجمري، وأمثال
هؤلاء الذين هم مضرب المثل لكل ورد رائحة، ولكل فاكهة طعم
وقد أدركت جماعة من جهابذة الخطباء لم أوفق للاستماع إليهم
كالسيد صالح الحلبي والملا نخضير الحياوي، والشيخ محمد جواد
المسيباوي والملا محمد الشطري والملا محمد الجلعاوي، والشيخ
أحمد بن رمل، والشيخ سلمان الأنباري ولكن سمعت الشيء
الكثير عنهم.

وهناك جماعة انتقلوا إلى رحمة الله قبل مولدي ولكن ملأ
سمعي ذكرهم كابن عياش والحاج عباس قوزي والشيخ كاظم
حنين السماوي، والشيخ علي الحمامي، والسيد هاشم الهنداوي،
والشيخ محمد علي الجابري، والشيخ كاظم سبتي الذي كان
الشيخ محمد طه نجف قدس سره يرى أن من أسرار شهادة الحسين
عليه السلام كون الشيخ كاظم من الذاكرين له، هذا وهو فقيه
الأمة، والمرجع الأعظم في عصره ولا يمكن أن يصف انساناً محابة

أو مجازفة وأمثال هؤلاء كثير رحم الله الجميع، وأسكنهم المكان الرفيع.

ولا يمكنني . عرفاناً للجميل . إلا أن أذكر السيد كاظم الحسيني الخطيب رحمه الله ذلك الرجل الذي صحبته أكثر من عشر سنوات، واستمعت إليه أكثر من عشرين سنة ومازالت أتذوق قراءته، وكان يعرف للمنبر قدسيته وللمجالس حرمتها، مارقي المنبر جنباً طول حياته، ومارقاه بلا وضوء قرابة الأربعين عاماً كما وسمعتة يذكر ذلك لبعض تلامذته، ولذا صار موضع اعجاب السامعين لغزارة علمه، ووفرة اطلاعه، وتحسسه بأدواء المجتمع، ومشاكل الناس، ومهارته في وصف الأدوية الناجعة، ووضع الحلول النافعة بالإضافة إلى عذوبة منطقه، وجمهوريته صوته ورحامته، ووقاره المتناهي واتزانه المنقطع النظير حتى قال في حقه الإمام كاشف الغطاء أعلى الله مقامه، وكانت بينهما مودة أكيدة، وصحبة عتيدة: «مارأيت مثله في صلابة إيمانه، وتأثير موعظته» ولو أردت أن أذكر محاسنه، وعبادته واذكاره لطال بي المسير ولكن أسجل واقعتين شاهدتهما بنفسي، والله شاهد على ما أقول رأيت في ليلة عاشوراء جاء إلى أحد المجالس فلم يتخط عتبة الباب حتى أجهش الناس بالبكاء، وارتج المجلس بالنحيب فوصل المنبر وقد علت أصواتهم على صوته، ولم يتمكن من أسماعهم لأنه لم تكن مكبرات للصوت يومئذ ولم يقرأ إلا بيت واحد باللغة الدارجة، ونزل عن المنبر واستمر الناس بالبكاء مدة من الزمن ليس بالقصيرة، رأيت أيضاً في أحد مجالسه في الناصرية ولأنسى أنها كانت الليلة الحادية عشرة من الحرم، وهكذا ماج المجلس وهاج حتى رأيت

رجلاً أغمي عليه من البكاء فحملوه إلى خارج المجلس مأدري
ماحدث له بعد ذلك.

وقد قيل: لاينفع الوعظ إلا من المتعظ، ولايصح التعليم إلا من
العامل وما أخرى بمن يدعو إلى المثل العليا، والقيم الروحية أن
تكون متمكنة منه، ويكون متمكناً منها.

هذا وقد تطفل على المنبر أناس لايعرفون للمنبر قيمة، ولايقيمون
له وزناً، وإنما اتخذه بعضهم وسيلة للعيش، وسبباً لتحصيل المال،
حتى قال رجل من أهل المعرفة، وقد سمع بعض هؤلاء يخبط على
المنبر خبط عشواء: إن ظلمات الحسين كثيرة ومنها صعود أمثال
هذا على المنبر وأرى أن هذا مصدره التسيب في كثير من الأمور
عند هذه الطائفة، فلا رقيب ولاحسيب على كل مايقال ويفعل،
ويكتب وينشر، وعسى أن يقيض الله سبحانه لهذه الأمة من
يتحمل مسؤولية الاصلاح، فيصلح الفاسد، ويقوم المعوج، ويأخذ
على أيدي السفهاء، ويكم أفواه الجهلاء.

وتخصص السيد المترجم في الخطابة وفنونها على يد الخطيب
الكبير السيد كاظم الخضري وعنه تلقى وبه تأثر ومنه استفاد حتى
اصبح خطيباً مفوهاً، وعالماً متكلماً تهفو له القلوب، وتنصت له
الأسماع، وتشخص له الأبصار معبرة عما في أعماقها من تأثر
واستفادة وتقدير.

ورقى الأعواد واعتلى المنابر خطيباً مبدعاً مرموقاً في العراق
وخارجه كما تم البحرين ومجالس الكويت ومحافل لبنان ثم نزل
الامارات أخيراً سيد المنبر وأمام المحراب.

نيابة المرجعية العليا:

تمثل المرجعية الدينية العليا في الفكر الشيعي منصب النيابة العامة عن الإمام المعصوم، ويمنح المرجع الأعلى صفة الحاكم الشرعي، ولا يتم الوصول إلى هذا الموقع الخطير والمركز الحساس عبر انتخاب جماهيري، أو ترشيح برلماني، أو قرار وزاري، أو غير ذلك من الوسائل المألوفة في العزل والتعيين للوظائف والمناصب العامة، فقد أسبغ الفكر الإمامي على شخصية المرجع صفة القداسة، والتبرعم التلقائي والانبثاق من قاعدة: (الله أعلم حيث يجعل رسالته)^(١) وفق ضوابط ومقاييس شرعية تتعلق بالعلم والفقاهة والخبرة والعدالة.

وفي نظرة متأملة تتسم بالوعي والعمق لمؤسسة المرجعية الدينية عند الشيعة يتجلى لنا أنها الكيان المستقل والأيدولوجية الرائدة في زمن الغيبة، لربط المجتمع بالقيادة الشرعية عبادياً وعملياً، وقد أحال أئمة أهل البيت عليهم السلام، الجماهير العامة والقواعد الشعبية العريضة إلى الرجوع للممثلين والنواب عنهم عليهم السلام وهم الفقهاء العدول من المراجع الدينية العليا في إدارة شؤونهم العامة.

وتميزت هذه المؤسسة الدينية الكبرى باستقلالية القرار، وعدم الارتباط بأية مؤسسة سياسية، أو كيان رسمي كالمؤسسات والوزارات التي تشرف على الأوقاف والشؤون الإسلامية، فهي الوجود والكيان المستقل فكرياً وثقافياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وله كوادره وأجهزته وقنواته الخاصة المستقلة.

(١) الأنعام / ١٢٤

ومن الجدير بهكذا مؤسسة حيوية أن تشرف على ادارتها ونشاطها وسائر شؤونها لجان محورية متخصصة تمارس العمل المؤسساتي بروح الانفتاح والمسؤولية لتبقى التجارب والخبرات متواصلة للأجيال المتعاقبة، والافادة من المسيرة الطويلة في معترك الحياة وغمار المجتمع. وبغير ذلك سوف تتحجم المسؤولية العظمى لهذا الكيان الشريف وتخبط كل الجهود الشاقة، والخبرات الطويلة، ويتعين - حينئذ - على المرجع الجديد الآخر أن يبدأ نشاطه من نقطة الصفر، ويعود القهقري إلى تأسيس بناء جديد يحتاج إلى مزيد من العناء وسعة الوقت لتحقيق الأهداف الدينية والآمال والتطلعات الاجتماعية.

وقد أشار إلى هذا المعنى سماحة السيد فضل الله في كلمته التي القاها في تأييد السيد المترجم حيث قال مخاطباً الجمهور: أتعرفون ماهي مشكلة الكثير منا على مستوى المرجعيات، وعلى مستوى المصلحين، وعلى مستوى المثقفين، أن كل واحد منا يحاول أن يبدأ من نقطة الصفر، وهو يريد أن يبدأ، أما كيف بدأ الآخرون وكيف يكمل مابدأه الآخرون فهذا أمر لا نتعرف عليه، قولوا لي في كل مرجعياتنا، ونحن نعيش الآن فوضى المرجعيات، قولوا لي عندما توفي السيد أبو الحسن الأصفهاني أين تراثه؟ هل سلم للمرجع الثاني؟ أو أنه احتفظ به أولاده؟ أين رسائله؟ أين كل ماتحرك فيه؟ وهكذا السيد محسن الحكيم، والسيد الخوئي وكثير من مراجعنا، كل مرجع يأتي يبدأ من نقطة الصفر، لا يحاول أن يكمل في نفس الموضوع مابدأه، نحن نكرر كتبنا، نكررها تماماً كما تكرر الطبقات، لننتقل على أساس أن من سبقنا بذل جهداً كبيراً، واجتاز مرحلة فعلينا أما أن ننقد ذلك الجهد ثم ننتقل لتتابع جهدنا فيما نريد أن نجده أو نريد أن نحركه، هكذا حتى



السيد المترجم، السيد محمد حسين فضل الله، المؤلف.



السيد المترجم، السيد مضر الخلو، السيد عبدالله الغريفي.

تكون المسيرة مسيرة تستطيع أن تجعل كل الأجيال التي تمر بها أو تواكبها أو تعيشها أن تجعلها مراحل تعطي كل مرحلة ما عندها للمرحلة الأخرى لتتكامل المراحل، ولتنطلق لتتجمع أمام الهدف الكبير^(١).

واتخذ الهيكل العام لبناء كيان المرجعية العليا موقعاً مركزياً، ومقراً رئيسياً، غالباً ما يكون في الأماكن المقدسة، ومراكز الدراسات الدينية، يتفرع عنه نظام الوكلاء والمندوبين والممثلين الذين يتوزعون على الأقطار والأمصار، وتتفاوت درجات ومستويات هؤلاء الوكلاء علماء وثقافة وإدارة اجتماعية.

وكان لسماحة سيدنا المترجم تاريخ عريق في هذا الميدان فهو موضع الثقة المطلقة لأكابر العلماء، ومراجع التقليد والفتوى منذ زمن بعيد ابتداءً من الإمام كاشف الغطاء الذي تحدثنا على علاقته المتميزة به، ومروراً بالإمام الشيخ محمد رضا آل ياسين الذي عددناه من أساتذته وكان يحضر دراساته العليا المصطلح عليها بالبحوث الخارجية، ثم انتقالاً إلى الإمام الراحل السيد محسن الحكيم الذي بعثه ممثلاً رسمياً عنه إلى قضاء بلد في منطقة سامراء بجوار سبع الدجيل السيد محمد بن الإمام علي الهادي عليه السلام، على أثر خصومات وفتن اشتعلت بتلك المنطقة بين الأهالي ذهب ضحيتها عدد كبير من الفريقين المتصارعين وتدخلت المرجعية العليا لفض الخصومة، وانحماذ أوار تلك الفتنة، فأرسل السيد الحكيم نجله الشهيد المغفور له السيد مهدي الحكيم وهو ممن عرف بحصافة الرأي، وانفتاح التفكير وقوة الإدارة،

(١) مجلة الموسم - العدد العشرون لسنة ١٩٩٤ - صفحة ٢٦٠

ومع ذلك بقي الفتيل مشتعلًا ما يقرب من ثلاث سنوات، وأخيراً وقع اختيار المرجعية على السيد المترجم لما يمتلك من خبرة اجتماعية وأعراف عشائرية وشخصية مؤثرة، فتصدى لهذه المهمة، واستطاع بصدق النية وإخلاص الطوية، وتوفيق الله أن يحسم النزاع، ويطفأ النار، ويقتلع الغل من القلوب لتعود إلى صفائها وتعيش حالة المحبة والتعاون، وتنبذ الأحقاد والضغائن وراء ظهورها، وأصبح منذ عام ١٩٦٧م الوكيل الديني لمرجعية الامام الراحل السيد الحكيم طاب ثراه، فقام بأعباء ومسؤوليات وكالته خير قيام، وبادر لتنفيذ العديد من المشاريع والخدمات كبناء جامع المدينة وتشيد حسينيتها، وتأسيس مكتبة عامة، وبناء جامع وحسينية الزهراء في حي الزهراء على مقربة من سبع الدجيل، بالإضافة إلى إرشاده وتوجيهه وتعليمه للجماهير المؤمنة في المنطقة، ورجوعهم إليه في قضايا الأحوال الشخصية.

وبعد رحيل الامام الحكيم مثل الامام الخوئي، وقصده السيد الخوئي زائراً وحلّ ضيفاً كريماً عليه في بيته يئند عند زيارته لأئمة الهدى في سامراء عام ١٩٧٦م، وكانت بينهما علاقة ودية خالصة، وكان السيد يجله غاية الأجلال، كما كان موضع اعتماده وثقته.

ثم تبلورت علاقته بالسيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه عنى الصعيد العلمي والمسؤولية العامة وكانت بينهما بعض المذاكرات والهجوم المشتركة.

وبعد مرحلة الهجرة كان وكيلاً شرعياً لعدد من المراجع العظام كالسيد انگلبايگاني، والسيد السيزواري، وأما الإمام الحسيني قدس سره فكان في حسيه ووجدانه نبضاً حياً يكن له كل مشاعر المحبة والولاء.

يقول الشيخ الناصري في كلمته التأيينية: (كان أحد أهم وأكفأ وكلاء المرجعية الدينية، ولسانها المعبر خلال ربع قرن أو تزيد).

وهكذا استمر يواصل دوره ونشاطه، ويمارس خدماته في ظللال المرجعية العليا حتى أواخر أيامه منتدباً في دولة الإمارات العربية المتحدة.

أثاره الخالصة:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

١ - مصادر نهج البلاغة وأسايدہ:

من المتعارف أن تشتهر بعض الشخصيات وكثير من الأسم بأسماء بلدانهم وانتماءاتهم الجغرافية فيقال البغدادي والدمشقي والحجازي والبعلبكي والكربلاني والكوفي والبصري والجزائري والقزويني والكيلاني والقرطبي والأندلسي والطوسي وهكذا، وهناك من يلقب بالانتماء العشائري لقبيلة معينة كما يقال فلان التميمي والأسدي والكناني والخزرجي والحميري والخزاعي والقرشي وغير ذلك. بينما تشتهر طائفة أخرى بمهنتها وعملها كلقب الصانع والخياط والعطار والبناء والصابوني والباججي والحمامي وأبي الشمس وأبي اللبن وغيرها، ويأتي فريق آخر فيحصل لقب عاهة بلدية عن بعض أجداده كالأعرجي والأحوص والأقرع والأخوص والأعسم والأعشم، ومن الناس من يلقب باسم أحد أجداده كالحليلي وأل بشار وأل الشيخ راضي، وجمال الدين وشمس الدين وأل حيدر وأل الطويحي وهكذا.

ومن بين تلك الألقاب هناك شخصيات وأسر تنتسب لكتاب تلقب به سواء أكان من تأليفها شخصياً، أو من تأليف أحد آبائها وأجدادها مثل كتاب جواهر الكلام للشيخ محمد حسن صاحب الجواهر الذي امتزج باسمه كامتزاج الروح بالبدن. ومن ثم اشتهرت أسرة الجواهري وعرفت بآل صاحب الجواهر.

وكذلك آل كاشف الغطاء فهم ينتسبون إلى كتاب كشف الغطاء لجدهم الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء، واشتهر الأخواند الخراساني بلقب صاحب الكفاية، والملا صدرا صاحب الأسفار.

وهكذا اشتهر السيد المترجم في أوساط الباحثين والمثقفين ورجال العلم بصاحب المصادر، وبذلك يكون جمع بين الألقاب الثلاثة الحسيني نسبة لدوحته المباركة، والخطيب نسبة لمهنته الشريفة، وصاحب المصادر نسبة لكتابه الكريم (مصادر نهج البلاغة وأسانيده).

وفي دورة سريعة لعجلة الزمن أعود إلى مرحلة صباي الباكر على شاطئ الفرات الذي مرت الإشارة إليه في جلسة سامرة للسيد المترجم، تبادلت أطراف الحديث البريء مع النجل الثاني لصاحب المصادر وهو الأستاذ عبد الحسين الحسيني، وكنا أترباب صبا وزملاء دراسة فأخبرني باعتزاز إن أبي عاكف على تأليف كتاب يتعلق بنهج البلاغة، فسألته عن عنوانه فقال: (مصادر نهج البلاغة وأسانيده). هذه هي اللقطة الأولى في ذاكرتي عن المصادر ثم انتهت اللقطة الثانية إنني كنت أرى السيد المترجم حاملاً بين يديه ملفات الأوراق وملازم التأليف وهو منهلك في الكتابة في مجالسه التي يرقى الأعواد خصياً فيها، فهو لا يفرط في الوقت حيث يواصل نشاطه وعمه في الكتابة ريثما يتكامل المجلس ويحين موعد القراءة وصعود المنبر.

واللقطة الثالثة هي اللقطة التنفيذية وذلك حين نزول الكتاب إلى المطبعة في النجف الأشرف، وقد أشرف على تصحيحه ومتابعته الأستاذ محمد حسن عليوي الأخ الأصغر من الأم للسيد المترجم، وهو من أسرة التعليم في المدارس الرسمية، بيد أنه من الفضلاء في الدراسات الحوزوية ومن أساتذة المقدمات ومبادئ العلوم الإسلامية، وأتذكر أنني قرأت عنده شطراً من كتاب المنطق للشيخ المظفر، فكان سلس الأسلوب واضح العبارة نشرت له مجلة التضامن الإسلامي التي كان يصدرها سماحة الحجة المجاهد الشيخ محمد باقر الناصري حفظه الله كثيراً من المقالات والتحليلات كما صدر له كتاب بعنوان: هكذا تحدث أبو تراب، وعلمت أخيراً أنه يقيم صلاة الجمعة بمسجد الشيخ الناصري، فكان هذا الأستاذ الخليل مشرفاً على طباعة المصادر في طبعته الأولى في النجف الأشرف لكونه على مقربة من مطابع النجف والسيد المترجم يعيش خارجها مشغولاً في مهامه الدينية، وخرن الكتاب بعد الفراغ من طباعته في دار الشيخ كاظم عليوي بفضوة المشراق، ومن هناك تسلمت نسختي الأولى المهداة إلي من صاحب المصادر والترجمة وكانت بغلاف ملون عادي دون تجليد فني كما عليه الطبعات الأخيرة من أناقة الطبع وفن التجليد وجمال الأخراج.

وجدير بالإشارة إلى أن الشيخ كاظم عليوي رحمه الله كان ملازماً للسيد المترجم ملازمة الظل في الحل والترحال، وخصوصاً في مواسم عقد ماتم الحسين وإقامة عزاءه في عاشوراء وغيرها كان يصحبه في تقديم القراءة الحسينية، وكان يتفاني في حبه وخدمته ولا ننسى أنه الشقيق الأكبر للأستاذ محمد حسن عليوي السالف الذكر وكذلك هو الأخ الأصغر للسيد المترجم عن طريق الأم فقط، وسوف أفرد له

ترجمة مستقلة في الأجزاء القادمة إن شاء الله باعتباره من خطباء المنبر الحسيني.

أضواء على المصادر

في الدراسات المعاصرة يعتبر علم التوثيق وفن الفهرسة وتثبيت المصادر من العلوم والفنون الهامة، لقطع دابر الشبهات والشكوك التي قد تحوم حول بعض المؤلفات والوثائق التاريخية المهمة المصادر المعتمدة والمراجع المؤكدة.

ولقد امتدت يد التطاول على حرمة نهج البلاغة، وشككت في نسبته للإمام علي عليه السلام، وزعموا أن أحد علماء الشيعة وهو الشريف الرضي الذي اخترع هذا الكتاب ونسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فتصدى سيدنا المترجم لنسف هذا الهراء بأبوابه الأرقام التاريخية لمصادر نهج البلاغة من بطون الأسفار الموعلة في القدم قبل أن يخلق الشريف الرضي. ولا يخفى أن السبب الرئيسي من وراء هذه الهجمة الشرسة والتحامل عني شخصية الشريف الرضي والتطاول الوقح لابن خلكان ومن لفّ لفه ونسج على منواله كاليافعي والصفندي والذهبي وأضرابهم هو وجود الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة التي عبر الإمام عنها بأنها شقشقة هدرت ثم فرت والتي تتعلق بتقويم الهياكل السياسية وأيديولوجية الإدارة والحكم بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ووضع النقاط على الحروف للأحداث المروعة والردة الجاهلية، والمؤامرة المدبرة التي اجتاحت البيت الطاهر وأبعدت الإمام علي عن مسرح القيادة وأقصته عامدة عن موقع الخلافة والإدارة والحكم الإسلامي.

يقول السيد المترجم في تحقيقه لهذه الخطبة: (وتكاد أن تكون هذه

الخطبة هي الباعث الأول والسبب الأكبر لمحاولة تزييف نهج البلاغة بإثارة الشبهات الواهية حوله، وتوجيه الاتهامات الباطلة لجامعه حتى أدى ببعضهم الجهل أو التجاهل، وإن شئت فقل العناد والمكابرة إلى اتهامه بوضعها وما علموا أن هذه الخطبة بالخصوص مثبتة في مصنفات العلماء المشهورة وخطوطهم المعروفة قبل أن تلد الرضي أمه^(١).

وقال في تعليق آخر: (إن المعركة حول نهج البلاغة منذ أن نشبت إلى يوم الناس هذا وإن اضططعت بصيغة أدبية في ظاهرها، ولكنها مذهبية في باطنها، ونستطيع أن نقطع أن هذه الخطبة هي من أعظم الأسباب التي دعت لإثارة تلك الشكوك في نهج البلاغة^(٢)).

وتقدم السيد لزول ميدان هذه المعركة العقائدية والعلمية والأدبية بجدارة الخبير ومهارة البصير، فهو المولع منذ نعومة أظفاره بهذا السفر الخالد، وهو الذي يستظهر رصيلاً كبيراً من خطبه ونصوصه كما يستظهر فاتحة الكتاب، إضافة إلى بيئته وأساتذته المغرمين بنهج البلاغة، وقد سجل السيد تاريخ علاقته الوثيقة بالنهج في مقدمة مصادره فقال:

كنت مولعاً بكتاب نهج البلاغة منذ حداثة سنين، أجمعه مسير وحدثي، وأنيس وحشتي، أستظهر فصولاً من خطبه وأحفظ قطعاً من رسائله، وألتقط درراً من حكمه، وكان هذا الولع يتضاعف كلما إتسعت مداركي وتضاعفت معلوماتي ومن أجل ذلك أبحث عن كل ما يتعلق به، وما كتب حوله وبطبيعة الحال إطلعت على تلك الأوهام التي أحاطت به وفي مقدمتها (إن الذي جمعه هو الذي وضعه)

(١) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١ / ٣٠٩

(٢) المرجع السابق ١ / ٣٦٨

فصرت كلما عنَّ لي شيء من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الكتب المؤلفة قبل صدور النهج أو بعده ولكن مع القطع أنه لم يؤخذ عنه، أشير إليه بمجموعة خاصة، حتى اجتمع عندي بتيسير الله تعالى على طول الأيام ومر السنين ما يصح أن يجعل كمصادر لنهج البلاغة وما ثبت أن جامعها ليس له فيه سوى التجمع والاختيار والترتيب والتبويب، وسترى في هذا الكتاب - والمقصود المصادر - أن كل ما حواه النهج مروى عن أمير المؤمنين، مشهور النسبة إليه، وإن كل أولئك الذين تناولوا على نهج البلاغة أو تحاملوا على جامعها، إن هم إلا قوم دعاهم داعي الهوى فأجابوه، وقادهم التعصب الأعمى فاتبعوه ﴿يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾^{(١)(٢)}.

٢ - مصادر الخلاف:

يعتبر كتاب الخلاف للشيخ الطوسي من أهم الموسوعات التي ألقت في الفقه المقارن، فهو يستعرض الآراء الفقهية في المسألة الواحدة عن فقهاء المذاهب الإسلامية عموماً، مثبتاً الرأي الفقهي واستدلاله من الكتاب والسنة ولكن دون الإشارة إلى المصادر المعمول بها إسلامياً. وبلا شك أن عملاً بهذه الضخامة يتطلب شخصية موهوبة في إمكانياتها وطاقاتها الاستثنائية.

وانبرى السيد المترجم للقيام بهذه المهمة الشاقة وعرض الأمر على

(١) الأنعام / ١١٢

(٢) نفس المصدر / ١ / ١٥

الشهيد الصدر قدس الله نفسه الزاكية وجرت بينهما مذاكرات حول هذا العمل الضخم، وأطلعه على ما تمّ إنجازه من التوثيق والتحقيق، فبارك السيد الشهيد هذا الجهد الكبير ونال منه الإعجاب والتقدير.

يقول السيد المترجم في شرح الشرايع في معرض اشتراط الوضوء بالماء المطلق عند الفقهاء مانصه: هذا وسمعت من السيد الشهيد عطر الله مرقده، أثناء مذاكراتي معه في بعض المطالب في كتابي (مصادر الخلاف للشيخ الطوسي) قال - يعني السيد الشهيد - يمكن أن مراد الصدوق رحمه الله (ماء الورد) بكسر الواو وهي المياه الراكدة التي تردها السوام فيتغير لونها من كثرة الورد وماخالطها من الفضلات وغيرها^(١).

ولكن من المؤسف أن الكتاب بقي في مكتبته التي صوردت بعد هجرته إلى خارج العراق وتلك خسارة علمية كبرى.

٣ - مئة شاهد وشاهد:

في جداول الحضارة الاسلامية الشيعية تبرز أسماء مدوية وأرقام نافرة لعمالقة الشعر وفحول الشعراء وفرسان الأدب العربي.

وقد أفرزت ظروف النكبات المتلاحقة والقهر المتواصل والقمع والإبادة والحرمان في صفوف هذا الجناح الاسلامي الكبير كما هائلاً من أساطين الشعر والشعراء كآبي تمام الطائي، وآبي العلاء المعري، وآبي فراس الحمداني، وآبي الأسود الدؤلي وآبي نواس، ودعبل الخزاعي،

(١) شرح الشرائع ٣١/١

والكميت الأسدي، والسيد الحميري، وابن الرومي، والفرزدق، والمتنبي وغيرهم، وقديماً قيل:

وهل رأيت أديباً غير شيعي

وبطبيعة الحال ان النكبات والضغوط المتعسفة تلد الذين يعبرون عن محنة المجتمع، وتفرز الذين يعكسون آلامه وأحزانه، ويدافعون عن حقوقه المنهدورة وإذا ما أجرينا عملية مسح واستقراء للطلائع المتقدمة من الشعراء نجد أن معظمهم والنسبة الغالبة منهم ممن ينتسب لمدرسة أهل البيت، ويؤمنون بخطهم وإمامتهم، وإن كان البعض لم يعلن ذلك ولم يصرح خوفاً الموت وقطع الألسن كما أشار أمير الشعراء أحمد شوقي في قوله:

وأنت ما ذكرت الحسين تصاممت لاجاهلاً موضعه
أحب الحسين ولكسني لساني عليه وقلبي معه
حبست لساني عن مدحه حذار أمية أن تقطعه
وهو القائل أيضاً:

ما الذي نفرّ عني الظبيات العامرية
ألاني أنا شيعي وليلي أموية
واختلاف الرأي لا يفسد للمود قضية
وقد حاولت شبكات التخريب والعناصر المشبوهة التلاعب بالنصوص وحذف بعض الأشعار أو عدم الإشارة إليها في الشروح والتعليق والمذكرات بتأثير عوامل التاريخ السياسي، فلا يطرح للشاعر الفلاني إلا شعر التغزل بامرأة حسناء، أو مديح طاغوت متفرعن، أو وصف لحفلة ماجنة. أما عن الشعر المتعلق بالإشادة بحمئة المبادئ

ورواد الحق والعدل فمصيره الاغفال والتجاهل، وإلقائه في بوتقة النسيان والتنكر، وقد تبلغ الوقاحة أو التعصب أو المداهنة أو الارتزاق ببعضهم إلى حذف بعض القصائد أو المقاطع الشعرية ومحوها كلياً من داورين الشعراء لأنها تتأثر بفكر أهل البيت عليهم السلام وتتعلق بحبهم ومودتهم، ولعمري تلك خيانة من أقدر أنواع الخيانات للأمانة الأدبية والتاريخية، وليس هذا على مستوى الشعر فحسب، وإنما حتى على مستوى النصوص التاريخية الثابتة فهذا هو الكاتب المصري المعروف محمد حسين هيكل في كتاب حياة محمد بطبعته الأولى يثبت نصاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند اجتماعه بأهل بيته يقول: (وخلفتني من بعدي) من جملة ما أشار به إلى مواصفات الإمام علي عليه السلام، ثم يحذف هذا النص بالطبعات اللاحقة بناء على مساومة مفضوحة، وتجارة خاسرة بتاريخ الأمة وحضارتها العريقة.

ومثل هذا ما فعله هؤلاء الأمناء بديوان المتنبي، يقول العلامة الجليل الأستاذ السيد محمد عبد الحكيم الصافي في ذكرياته مع السيد المترجم - وكانت تربطهما أواصر صداقة حميمة - مانصبه: أذكر أنني كنت معه رضوان الله عليه في المكتبة المركزية في البصرة، وكانت تقسم أكثر من أربعة وعشرين ألف كتاب تقريباً، واستقبلنا أمين المكتبة محي الدين الرفاعي، وجرى الكلام عن الكتب والمكتبات والمخطوطات إلى أن وصل الكلام إلى أبي الطيب المتنبي، وظهر الاستياء على وجهه رضوان الله عليه وهو يتحدث عن المتنبي، وقال لأمين المكتبة، من المؤسف الخيانة الأدبية التي ارتكبتها بعض الكتاب بأقلامهم الظالمة، فأستغزته ثم قال لأن كل ذكر لعلي عليه السلام في ديوان المتنبي الطبقات الأخيرة حذف منها وهو بدءاً من:

وتركث مدحي للنوصيَّ تعمداً إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً
 وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً
 وكذلك هناك أنصاف آيات على وجه التمثيل والتشبيه كانت
 موجودة بكثرة، فأجاب محي الدين في مكتبتنا أقدم طبعة وأحدث
 طبعة وبإيماءة منه ولكثرة الموظفين في المكتبة جاؤوا بكل الطبوعات
 الموجودة وفعلاً كما قال رضوان الله عليه فبهت محي الدين وقال
 حقيقة إنها لجريمة نكراء جداً^(١).

وفي الواقع ليس كثيراً على المتنبي أن يطري علياً. ويشي عليه،
 ويفخر بذكره، ويعتز بإيمانه بوصيته، وهو الذي تأثر بفكره وحكمه
 وفلسفته حتى صار فيلسوف الشعراء وحكيم الأدباء بما اقتبس من باب
 مدينة علم النبوة، من حكم وتعاليم، والتنبي على ما هو عليه من المقام
 الرفيع والمكانة السامية ليس غمطاً لمكانته، ولا تجاهلاً لعظمته الشعرية
 عندما أثبت السيد المترجم أنه صاغ حكميات الامام علي شعراً واقتبس
 المعاني واستوحى الأفكار من تلكم الحكميات الخالدة فعلي هو منبع
 الحكمة ومصدرها، وللمتنبي الشرف كل الشرف أن يستقي من هذا
 المنهل العذب والمنبع الصافي والمقلع الشر.

* * *

ومرت الإشارة إلى أن كثيراً من مؤلفات السيد الحسيني هي من
 اقتراحات الشيخ كاشف الغطاء، وهنا كذلك كان هو رحمه الله أول
 من قدح فكرة هذا المشروع بذهنية سيدنا المترجم كما تحدث عن ذلك
 في هامش المصادر بقوله: تشرفت ذات يوم بمجلس الإمام الفقيد

(١) الموسم . العدد العشرون لسنة ١٩٩٤ . صفحة ٢٨٦

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء بكرهلاء فجرى ذكر أبي الطيب المتنبى، وأظهر أحد الحاضرين إعجابه بحكمياته، فقال الشيخ رحمه الله:

إن المتنبى كثيراً ما يصول على حكم الأئمة عليهم السلام، وخصوصاً حكم أمير المؤمنين عليه السلام فيأخذ معانيها ثم ينظمها في أقواله، ثم قال رحمه الله خذ مثلاً: المتنبى يقول:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعللة لا يظلم
قال: أخذ هذا من قول علي سلام الله عليه (الظلم من كوامن النفوس القوة تبديه والضعف يخفيه)^(١).

ثم قال في تقديمه لكتاب مائة شاهد وشاهد: وبقي رأي الشيخ عالماً بيالي، وكنت أتحين الفرص لإجالة النظر في ديوان المتنبى لاستخراج معاني كلام أمير المؤمنين منه، اعتقاداً مني أن الشيخ لا يرسل القول جزافاً، ولا يحكم على شيء إلا بعد خبرة وتمحيص، غير أن معاكسات الأوقات، وآلام الأيام حالت بيني وبين بلوغ هذا الغرض، وتحقيق هذه الأمنية، حتى شرفني الأساتذة الأعلام أعضاء مؤسسة نهج البلاغة بالدعوة للمشاركة في المهرجان الألفي لنهج البلاغة، فآثرت أن تكون مشاركتي هذا البحث فاستعرضت ديوان المتنبى وسرحت النظر في أعطافه، فرايت الأمر على ما وصف الشيخ رحمه الله تعالى، واستخرجت منه عدة شواهد انتقيت منها (مائة شاهد وشاهد) كان المتنبى قد أخذ معانيها من كلام أمير المؤمنين أو نظر إليه فيها.

وكان السيد المترجم قد أعد هذا الكتاب - كما أوضح في تقديمه -

(١) المصادر / ١ / ٤٧

تلبية لدعوة وجهت إليه من قبل مؤسسة نهج البلاغة فكان هذا الكتاب هو الذي ناب عنه ومثله في حضور ذلك المؤتمر لما حالت بعض الظروف دون حضوره شخصياً.

وربما لم تصطبغ الدراسة بالشمول والاستيعاب والتقصي لكل الشواهد والحكميات، ولكن حسبه أنه فتح الباب ووضع الأساس للباحثين والمهتمين بهذه الشؤون أن يواصلوا جهودهم وأبحاثهم في هذه العوالم الممتعة.

٤ - شرح شرائع الإسلام:

من أشهر الكتب الحوزوية في الفقه الإمامي هو كتاب شرائع الإسلام للمحقق الخلي، فهو من أهم المناهج المقررة في الحوزات العلمية والدراسات الفقهية، والمعاهد الدينية قديماً وحديثاً.

وقد نال هذا الكتاب الشرف قسطاً وافراً من اهتمام العلماء بشرحهم وتعليقهم عبر السنين المختلفة؛ إلا أن أسلوب العرض بقي بأمس الحاجة إلى العصرية والتطوير، بما يتناسب ومتطلبات العصر الحديث، ويساير تطور الحياة السريع في عصر الكمبيوتر وزمن الليزر.

فانبرى السيد المترجم للقيام بهذه المهمة وشمر عن ساعد الجهد، وعكف على هذا الكتاب الجليل ليصوغه صياغة جديدة، ويشرحه شرحاً معاصراً، يستوعبه طالب العلم دون تعقيد، وانغلاق في التعبير.

وقد ولد هذا المشروع الكبير عند إقامته مضطراً لظروف قاهرة في دولة البحرين، وهناك تولى تدريس الكتاب المذكور لكوكبة من طلبة العلوم الدينية، وأحسن بمسئس الحاجة لإخراج شرائع الإسلام بثوب جديد،

ولباس حديث، وحلة قشبية، فانغمس في لهوات الفقه، وخاض عباب بحره الطامي ليفك طلاسم التعبير، ويحل عقد المصطلحات بما أوتي من براعة وتخصص وظرف مناسب.

وجدير بالملاحظة أن شروح الشرائع جاوزت اثنين وثمانين شرحاً كما ذكر ذلك الطهراني في الذريعة^(١). بيد أن هذه الشروح يجمعها قاسم مشترك وهو المنطق العلمي الصعب، والمصطلحات الفقهية التي تدور في فلك الفقهاء والعلماء.

أما تحويل الكتاب إلى لغة ميسرة، ولهجة مفهومة، فهذا ما بادر إليه السيد المترجم في معالجته وطرحه الجديد.

وقدر لهذه الموسوعة المتمثلة في ثمانية مجلدات أن تطبع في بيروت طبعتها الأولى ١٩٨٨م، وسرعان ما تلاقفتها الأيدي ونفذت من المكتبات، واقتضت الضرورة والحاجة وإلحاح طلبة العلم على السيد المترجم بإعادة طباعته.

وجرت العادة في أغلب المشاريع الدينية عند الشيعة أن يتطوع المحسنون وأهالي البر والخيرات للتبرع بنفقات أي عمل من الأعمال التي يعود نفعها بالخير العسيم على العقيدة والمجتمع، ويدخل في ذلك بناء المساجد، وتشيد الحسينيات، وتأسيس المدارس وإنشاء المستشفيات، وطباعة الكتب وتوزيعها وغير ذلك من المشاريع الخيرية العامة، إلا ما خرج بالدليل لبعض الحسابات التجارية والاستثناءات الخاصة.

وبناء على هذا العرف المؤلف اتصل السيد المترجم عبر رسالة

(١) الذريعة ١٣ / ٣١٦ - ٣٢٢

اطلعت عليها في حينها لإحدى الجهات الخيرية، موضحاً لهم الحاجة لإعادة طباعة هذا الكتاب، فاستشارت تلك الجهة الخيرية أحد الأعلام من ذوي النفوذ القاعلي، فحال دون تنفيذ المشروع مشككاً بنزاهة السيد وأمانته ومشيراً بمنع الطبع بحجة أن الكتاب مطبوع ولا يحتاجه الحوزات العلمية - كما يزعم !!

وبنفس الأسلوب حال دون طباعة كتابي من لايحضره الخطيب وقد وافقت تلك الجهة على طباعته بعد استشارته وموافقته فامتنع لا لشيء سوى الطبع والمزاج وشنشنة أخزم. حتى قبض الله من قام بطباعتها مشكوراً من الجهات الأخرى من غير من ولا أذى والحمد لله رب العالمين.

٥ - تحقيق الشافي للشريف المرتضى:

لاشك أن قضية الإمامة من كبرى القضايا الهامة في الإسلام وترى مدرسة أهل البيت في نظرية الإدارة والحكم أن الإمامة هي ركن من أركان العقيدة وأصل من أصول الدين، ولا يخفى أن مصطلح الإمامة رديف لمصطلحات الخلافة والقيادة والزعامة والإدارة فهذه كلها تنتهي إلى نتيجة واحدة وهي قيادة المجتمع وممارسة الإدارة والحكم الإسلامي بإضافة صفة القداسة على الإمامة الشرعية.

ولعل هذه القضية المركزية في العقيدة هي مفترق الطريق ومنعطف الفكر بين الإمامية والمدارس الإسلامية الأخرى. ونشبت عبر التاريخ الطويل معارك ضارية سياسية وفكرية وعلمية وأدبية حول هذه المسألة الحيوية في دنيا العقيدة الإسلامية.

وتصدي علماء الإمامية من موقع الثقة والاعتدار لإحباط كل الدسائس، وتزييف كل الادعاءات والأوهام التي يثيرها المناوون ضد فكرة الإمامة المقدسة.

وكان من بين هؤلاء الاعلام (علم الهدى) الشريف المرتضى أعلي الله مقامه، ما الذي صنف كتاب (الشافي) دفاعاً عن الإمامة، ورداً على كتاب (المخني) للقاضي عبد الجبار الهمداني من مشائخ المعتزلة الذي سلك أسلوب التشنيع والاستخفاف بكيان عقيدتنا ومبادئ أئمتنا، وقد نشر مؤخراً الكتاب المذكور بتحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود رئيس الأزهر، والدكتور سليمان دنيا، ومراجعة الدكتور ابراهيم مذكور، وإشراف الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي.

بينما بقي الشافي على طبعته الحجرية القديمة التي تجاوزت طباعتها المتعبة قرناً من الزمن والتي تحتاج إلى ميكروسكوبات ونحرائط ووسائل إيضاح حتى يستطيع الباحث أن يستنتج شيئاً منها.

فيادر السيد المترجم كمبادراته اللودعية الأخرى لإخراج هذا الكتاب بحلة جديدة متطورة، وتصدي له محققاً ومعلقاً وساهراً على ضبط كلماته وتخریج مصادره وترجمة أعلامه، ثم أخرجه إخراجاً فنياً حديثاً بأربعة مجلدات.

٦ - منار الهدى:

كتاب منار الهدى هو الآخر في الإمامة أيضاً لمؤلفه الشيخ علي البحراني الستري، من أشهر علماء البحرين، ولقد مرت علي وفاته

أكثر من تسعين عاماً، ويتناول الكتاب قضية الإمامة على ضوء علم الكلام، ومقارنات التاريخ، ويعتبر الكتاب بمجمله رداً وتفصيلاً لبعض المزاعم والادعاءات المرفوضة لابن أبي الحديد المعتزلي، والقوشجي الأشعري بالأدلة العلمية، والبراهين القاطعة، والحجج الدامغة، إلا أنه بأسلوب شديد اللهجة، حاد التعبير، فأعاد السيد بناءه على أصوله وأسسهِ القديمة ولكن بديكور جديد، وتنقيح علمي، ولهجة مسالمة، وأسلوب حضاري مع الحفاظ على المضمون والحرص على سلامة المحتوى، وهذا ما سجله السيد في مقدمة الكتاب عندما تحدث عن لقاءه الأول في كربلاء ثم التقاه ثانية في البحرين بعد فراق دام أربعين عاماً فقال:

كنت قد اطلمت علي هذا الكتاب مصادفة قبل أربعين عاماً تقريباً في مكتبة أحد الأعلام في كربلاء، فتصفححت جملاً من فصوله في صفحات مختلفة فاستحسننت بعضها، وراقني كثير منها، ثم لم أره بعد ذلك إلا قبل ثلاث سنوات أثناء إقامتي في البحرين فهاجت بي الذكرى، وأخذني الحنين إلى أيام الشباب، فأعدت النظر فيه، فرأيت أن أخرج مصادره؛ وأعلق عليه، ففطنت لشيء فيه هو أن المؤلف قوي الحجّة، ناصع البرهان، إلا أنه في لهجته شيئاً من العظلة والشدة على خصميه المعتزلي والقوشجي، كنت أتمنى لو أنه كان لين العريكة معها فرأيت أن أخفف منها وألطف بعضها بشيء من التنقيح والتهذيب على ألا أغير شيئاً من معناه وإن تغير شيء من مبناه^(١).

(١) ماز الهدى / ٩

٧ - تحقيق كتاب الغارات للثقفي:

الغارات عنوان لأكثر من كتاب واحد فقد استخدمه كثير من المؤلفين عنواناً وهوية لتأليفهم وتصنيفهم، ومن بين هؤلاء كان أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي الكوفي الأصبهاني، والمقصود من مصطلح الغارات هي الغارات العسكرية لجند معاوية على الأقطار الخاضعة لنفوذ الامام علي عليه السلام، وسلطان دولته الاسلامية، ومن ثم اعلان الإمام حالة الطوارئ والاستنفار في صفوف معسكره لمواجهة القوات الغازية، وصد الهجمات الجبانة على العزل والأبرياء، وما صاحب ذلك من أحداث ولقطات تاريخية.

ويبدو من خلال تحقيق الخبراء ودراساتهم أن الشيخ المجلسي صاحب البحار اتخذ من هذا الكتاب مصدراً استقى منه كثيراً من الأحداث والمعلومات، وكذلك اعتمده ابن أبي الحديد في شرح النهج مرجعاً هاماً نقل عنه جملة من المقاطع والفصول المهمة. وكان كثير من الباحثين يعتقدون أن كتاب الغارات من الكتب البائدة التي انقرضت بتراكم القرون وتعاقب السنين.

حتى جاء منطلق التحقيق العلمي لهذا الزعم البائد فأباده، وأعاد الحياة للكتاب المذكور، وكان السيد الحسيني في مقدمة الباحثين المحققين، فقد بذل جهداً كبيراً في مقارنات النسخ الخطية، ومقابلات الكتب المطبوعة ذات الشأن والعلاقة المباشرة حتى ولد كتاب الغارات من جديد.

وللسيد المترجم مؤلفات مخطوطة، وكم أتمنى أن يوضع اقتراح سماحة الشيخ محمد باقر الناصري حفظه الله موضع التنفيذ عندما قال في نهاية كلمته التأيينية الثمينة: ووفاءً لفقيدنا الغالي وجهوده

التاريخية المضيئة التي بذلها في خدمة العلم، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتعبيراً منا عن التأين الواعي، وليبقى الفقيد حياً شاخصاً في ساحات العلم والجهاد الفكري، كما كان بالأمس، أدعو إخواني أصحاب الفضيلة العلماء والخطباء والمفكرين ومحبي الفقيد إلى تشكيل لجنة علمية تنهض بمهمة تحقيق مؤلفاته التي يعرف الجميع أهميتها، خاصة ما لم يطبع منها، وإعداده ونشره ليكون هديته لمدرسة أهل البيت في الذكرى الأولى لرحيله^(١).

وهذه لائحة بأهم تراثه المخطوط:

- ١ - مصادر الحكم المشورة.
- ٢ - مختصر معجم الأدباء للحموي.
- ٣ - كشكول الحسيني.
- ٤ - مذكرات.

كما أشرف على مجموعة من الكتب والمؤلفات، وكان بعضها من مقترحاته ككتاب مقاتل الأمويين الذي قام بتنفيذه الأستاذ الباحث السيد محمد طاهر الحسيني بمراجعة السيد المترجم.

وكتب مقدمة رائعة لكتابي من لا يحضره الخطيب الجزء الثاني ضمنها خبرته الواسعة عن المنبر ورجاله وتاريخه.

وقدم لكتاب (دستور معالم الحكم) للقضاعي الشافعي. وراجع كتاب تاريخ الأحمدى الذي حققه الأستاذ الطريحي صاحب الموسم، وكذلك راجع الكتاب النفيس لابن عقيل الموسوم بالنصائح الكافية

(١) الموسم - العدد العشرون لسنة ١٩٩٤ - صفحة ٢٧٤

تحقيق غالب الشاهيندر وشرفني بحسن ظنه أن أناط بي مهمة تحقيق ديوان الحاج هاشم الكعبي، وقد سلمني أربعة دفاتر ضمنها المواد الخام للديوان المذكور، وشرعت في عملي الطويل الشائك أسأل الله أن يعينني على انجازه بأقرب فرصة إن شاء الله.

كما أعطاني رحمه الله نسخة من كتاب مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي طباعة دار الأضواء - بيروت - لازلت أحتفظ بها مصححة بقلمه، منقحة بخط يده دققها حرفاً حرفاً، لم يغفل أي شاردة وواردة من الاشارات والحركات والرموز والهجرات، من أول الكتاب إلى آخره، وهو أكثر من ثمانمائة صفحة بالقطع الكبير، وصدوره برسالة معنونة إلى دار الأضواء من ثلاث صحائف كتبت على الغلاف والورقة الأولى من الكتاب وذكر من جملة مقاطعها حديثاً للشيخ الأمين قدس سره مانصه: حدثني شيخنا الأمين قدس سره صاحب كتاب الغدير قال إن الحاج عباس القمي رحمه الله لما صنف مفاتيح الجنان، لم يرض عن نفسه، باعتبار أن الكتاب أخذ كثيراً من وقته، وكان ينبغي أن يصرف ذلك فيما هو أهم - بحسب نظره - لأن كتب الأدعية كثيرة والناس منها في كفاية، قال الأمين رحمه الله وسبحان الله لم يوفق كتاب من كتب الشيخ عباس مثلما وفق كتاب مفاتيح الجنان فقد طبع عشرات المرات بمختلف الأحجام والأشكال^(١) وكانت دياحة الكتاب مكتوب عليها: مفاتيح الجنان ويلىه كتاب الباقيات الصالحات تأليف الشيخ عباس القمي طاب ثراه فاضاف السيد إيد: نقله إلى العربية السيد

(١) مفاتيح الجنان النسخة الخامسة المصححة بقلم السيد القمي، الطبعة الأولى.

محمد رضا النوري النجفي راجعه وصححه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

ويعتبر هذا الكتاب مستنداً وثيقة على قوة املائه ودقة ملاحظته لكل قواعد الاملاء وأصول الطباعة الفنية ولا أدري لماذا أعرض رحمه الله عن دفعه لدار الأضواء لاعادة طباعته مصححاً مع شدة حرصه على ذلك. ولو أمهله القدر لتقديم المزيد من الخدمات الجليلة ونفذ الكثير من المشاريع العلمية التي اختمرت في ذهنه وتفكيره، كشرح المكاسب، والتصحيح والتحريف، وحياة عمر بن عبد العزيز، ومسرحية حول كربلاء. ولكن شاءت إرادة الله ولاراد لإشاءته أن تحتطفه يد المنون وهو يمد المجتمع بعطائه، ويرفد العقيدة بخدماته المشكورة.

والى هنا ينتهي بناء المطاف عن آثاره الخالدة، ويتلخص لنا أن حياته الكريمة حافلة بالإنجاز والعطاء العلمي، زاخرة بالعمل والتحقيق، وقد خلف تراثاً عظيماً وآثاراً جليلة وعوداً على بدء نقول مرة أخرى:
تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

* * *

التاريخ السياسي:

عند التوقف في المحطة السياسية للسيد المترجم لا بد من الأذعان أن السبيل شائك، والطريق شاق ووعر، والحديث ذو شجون في الشعب وترامي الأطراف، ولايسعنا في هذا العرض السريع إلا محاولة ضغط الحديث، وتلخيصه في الخطوط العريضة والمعالم الرئيسة علماً

بأننا لا يمكن أن نتصور أن شخصية من هذا الطراز والثقل الاجتماعي، وبهذه المكانة الخطيرة، ليس لها أي تطلعات أو مواقف سياسية عبر تاريخها الطويل، وليس بالضرورة إلا أن يرفع الإنسان لواءً صارخاً في كل أدوار حياته، فهناك حالات من المد والجزر تقتضيها أصول الحكمة والحكمة وتعقل الأمور، والنظرة البعيدة الصائبة، وما كانت السياسة المسؤولة يوماً من الأيام تهريجاً فاضحاً أو استهلاكاً محلياً أو دعاوى فارغة واللعب على عدة حبال، واستغلال محنة المجتمع المسحوق وظروفه القاسية.

وإنما السياسة هي الموقف الشرعي المبدئي الثابت، والشعور المتغلغل في أعماق الضمير، والاحساس المتدفق مع الدماء في العروق والشرايين.

وكم مرت علينا من التجارب العملية والأمثلة الحية لشخصيات مذبذبة، وواجهات متسكعة نزلت عوائم السياسة متى ما كانت تلك العوائم بقرة حلوب، ولما جف ضرعها نحرتها على غير القبلة بكل صفاقة وجه، وصلافة عين وحمافة طبع دون الالتفات إلى الماضي القريب، ومسؤولية المحنة ويؤس المجتمع المحطم!!

لقد كان السيد المترجم تاريخاً شريفاً ناصعاً وموقفاً متألقاً لامعاً في حياته السياسية ورفضه المطلق لكل شكل من أشكال الشر والطغيان والباطل سلباً وإيجاباً.

وتمر على ذاكرتي كالحلم محاصرته في المسجد الكبير بالخضر مع ثلة من إخوانه ورفاقه أيام التهور الشيوعي، وإني لأتذكر الغوغاء الأرعن والأوباش من عناصرهم وأزلامهم وكيف يحملون الصخور والأحجار بأيديهم وأطراف ثيابهم ليقدفوا الأبواب والنوافذ لبيت

السيد، والبيوت الأخرى الموائية له إمعاناً في التحدي والمواجهة، فكان هو كالطود الشامخ في صبره وصلابته وجلده وشجاعته، وقوة مواقفه المبدئية.

كان يكافح المبادئ الهدامة والحركات الملحدة الفاسدة بما أوتي من قوة وبكل جرأة على المنابر والمنابر.

يقول الشيخ الناصري أثناء حديثه عن المرحلة السياسية الأولى للسيد المترجم مانصه: حتى إذا بذت بوادر الصحوة الإسلامية في أوائل الخمسينات في عراقنا المسلم على أنقاض الأفكار الإلحادية النوافذة، وفي أعقاب سقوط الثقافات الغربية المادية المستوردة، وتلاشي بريقها تحت محك التجارب المأسوية المريرة، من الغزاة والمحتلين حملة الصليبية والماسونية والصهيونية، وما كشفته تجاربنا المريرة معه أعقاب واقعة الشعيبة وثورة العشرين، وما تلاهما من الحركات والانتفاضات المتواصلة حتى سقوط الملكية، وقيام الحكم العسكري في الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، وفي هذه المرحلة بالذات كانت الصحوة الإسلامية قد تجذرت واشتد عودها، وصارت حقيقة في ميدان الصراع، وهدفاً من أهداف الأخاد والظلم والفساد.

وهنا جاءت المرحلة الثانية إذا صح التعبير من مراحل التأصيل الإسلامي، والفرز الدقيق للأوراق المخلوطة والشعارات المشبوهة.

وكان سيدنا الراحل علماً من أعلام هذه المرحلة، وفارساً من فرسانها في الذود عن الدين والأمة والبلاد وتحصين الأمة ضد ذوي العاهات والمبادئ الهدامة والرياح الهوج التي عصفت بالأمة في مواجهة شرسة منفضوحة ضد الدين والأخلاق والمثل... وكان للحجة

الراحل السيد عبد الزهراء نور الله ضريحه الدور البارز في جنوب العراق ووسطه ضمن أهم المناسبات والمواسم وعبر الخطابات والكتابات النارية المتواصلة، واستمر رحمه الله بقلمه ولسانه، ويكل ما أتاه الله حامياً من حماة الشريعة، ونساناً من ألسنتها الصادقة حتى إذا اندحر الكفر وهزمت الرذيلة وولوا الذير وانتعشت الصحوة الاسلامية، فكان أحد أدواتها الفاعلة في اعادة بناء الأمة بناءً رسالياً حديثاً، وأحد أهم وأكفأ وكلاء المرجعية الدينية ولسانها المعبر خلال ربع قرن أو تزيد.. وحين تلبدت وتوالت المحن واشتدت الملاحقة للعلماء والأحرار من أبناء العراق، فكانت الهجرة مكانه الطبيعي مستنكراً لذاته القعود في ظل الظلمة مردداً ماقاله جده الحسين... والحياة مع الظالمين إلا برماً، فعاش متنقلاً بين عدد من البلاد العربية والاسلامية، لم تنسه الهجرة والغربة عن أداء دوره في دعم مسيرة الأمة وتسديدها بلسانه وقلمه^(١).

أجل لقد تجرع مرارة الغربة في دور شيخوخته وهو بأمس الحاجة إلى من يرعاه ويقوم بخدمته وهزته خضوب وأحداث لو كانت على جبل لذاب وتدكدك، ولكنه اعتاد أن يستقبل الشدائد والصعاب بشعر باسم ومحيا طلق بما يمتلك من رصيد في الإيمان العميق، وهدوء في النفس الآمنة المطمئنة حتى وفد على ربه راضياً مرضياً يوم الجمعة في العاشر من رجب عام ١٤١٤ هـ الموافق ١٩٩٣/١٢/٢٤ ﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾^(٢).

(١) الموسم - العدد العشرون لسنة ١٩٩٤ - صفحة ٢٧٣

(٢) تحدثت عن وفاته في كلمتي (لوعة الأذكريات) المطبوعة في أول هذه الترجمة.

محافل تأبينه:

تجاوبت عليه المهاجر العراقية، والجاليات الاسلامية مآتماً للجزاء، ومحافلاً للتكريم منذ أن ذاع نعي رحيله وإلى ذكرى أربعينه، وكان الاحتفال المركزي لتأبينه في دمشق حيث يرقد بجوار ابنة الزهراء، وحيث تتواجد أسرته وأولاده، فتسابق الخطباء، وتبارى الشعراء والأدباء بحرارة ولوعة لتأبين سيادته. وأول من أبته في مركب التشييع، وعلى شفير القبر في ساعة دفنه صديقه الوفي سماحة الشيخ محمد جواد السهلاني بقطعة شعرية مؤثرة أحرقت القلوب وفجرت العيون، ثم أعقبه الخطيب السيد عامر الحلو بكلمة ارتجالية.

وفي اقامة مجلس الفاتحة الأولى أبتته الأستاذ الشيخ جعفر الهلالي بمجلس عزاء، شارك فيه الدكتور أسعد علي بكلمة قيمة، وسعادة السفير الإيراني سماحة الشيخ الأختري بكلمة أخرى.

وفي ختام فاتحة الأسرة وقف الأستاذ الوائلي مؤبناً حزيناً بكلمة ارتجالية، ومن بعده قصيدتان عامرتان إحداهما للأستاذ الهلالي والثانية للدكتور أسعد علي، ثم شكر الأستاذ عبد الحسين الحسيني النجمل الثاني للسيد المترجم الجمهور على مشاركته ومواساته، وكان لي شرف الختام بمجلس عزاء في التأبين والأسف.

وبعد ذلك تسلسلت المجالس والفوايح، واستمرت لعشرين يوماً شاركت فيها مختلف الطبقات الاجتماعية وتميزت بظاهرة كثافة انخضور في كل أيامها، وما ذلك إلا لما يمتلك السيد من رصيد كبير في القلوب والمشاعر.

وقد فصلت مجلة الموسم العزاء في منقها الخاص بذكرى السيد



لقطة من محفل التائبين المقام في القاعة الكبرى لحسينية السيد الواحدي.



لقطة للاحتفال التائبين في لندن بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته.

المترجم في العدد العشرين لسنة ١٩٩٤ ، وتحدثت عن تلك المجالس وما ألقى فيها من مواد ثرية وشعرية، ومن ساهم من الشخصيات والرموز العلمية والأدبية والاجتماعية، وكذلك وضعت أحصائية عامة لكل المحافل التي أقيمت لتكريم السيد المترجم في بعض الدول العربية والاسلامية ودول المهاجر العراقية في أوروبا وغيرها، ولسان حالها يردد مع سيادة الدكتور السيد مصطفى: جمال الدين قوله :

مات وهج الربيع مغترب العطر فقصّمت جذورها الأعراق
وبكاه الفرات حزناً وجزّت شعرها حوله النخيل العتاق
لك في كلِّ مقلّة دمة حزى وفي كلِّ سامرٍ إطراق
كنت نبض القلوب شتى فلم يحج زك حزب ولا ادعتك رفاق
شائع النبل لم يصنف قريباً أو بعيداً نمرك الدقاق^(١)

* * *

مرقدّه:

مرقدٌ ضمّ سيّد الخطباءِ قف عليه بلوعة وبكاءِ
وترحم واتلو على القبر ذكراً فهو ثابٍ في روضة غنّاءِ
والشم التراب إذ تضمن جسماً هو عزُّ الصديقة الزهراءِ
جنته الخلد قبره وهو فيها يعقدُ اليوم مأتماً للعزاءِ
وهو فيه الخطيب ينعى حسيناً وينادي يا سيد الشهداءِ

(١) من قصيدة عصماء في تأييد المترجم في الديوان صفحة ٢٩٧ مطلعها:
كيف تنسى دموعها الآفاق والفتيدان نبله والعراق

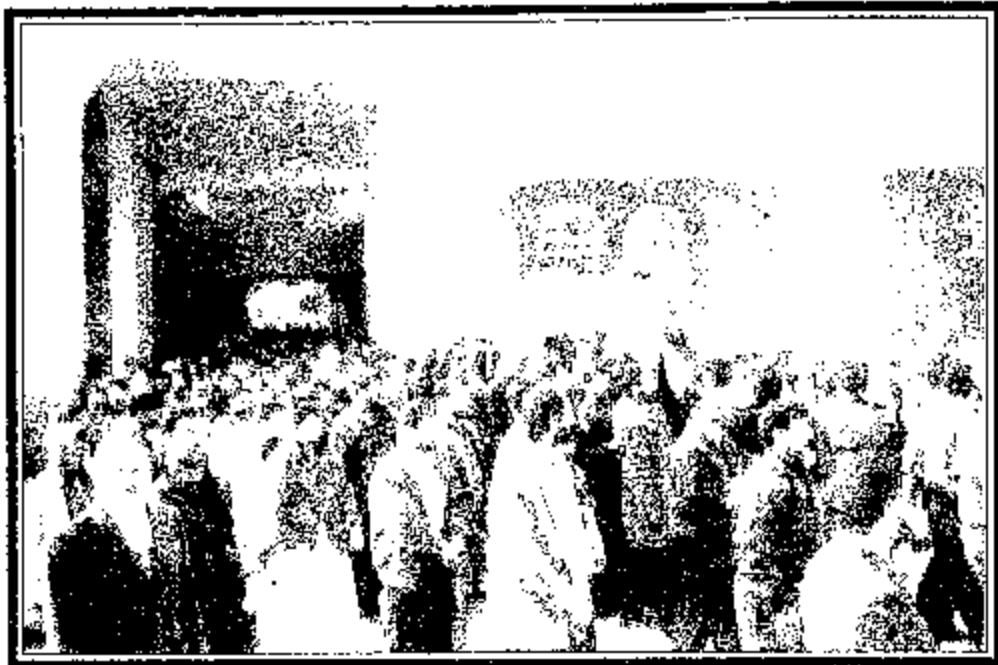
(واحسيناً فلا نسيت حسيناً
 أه عبد الزهراء مت غريباً
 لم توارى الثرى بقرب علي
 لك قبر يشاد بين ضلوعي
 وبتاريخ (شخصك العزّ لما
 أقصدته أسنة الأعداء)
 كالحسين الغريب في كربلاء
 أنت في قرب زينب الحوراء
 والمقام الكريم في أحشائي
 راح عبد الزهراء للزهراء)
 ١٩٩٣ م.

إلى جوار بطلة كربلاء زينب ابنة أمير المؤمنين عليهما السلام
 ثوى السيد المترجم في روضة مقدسة، وآوى إلى جنة المأوى،
 واستقر في مقره الأخير سعيداً مخلداً وقد أرخت وفاته وقبره
 بتاريخين مختلفين أحدهما هجرياً والآخر ميلادياً، وقد رفع التاريخ
 الأول في محفل تأيينه بلافتة عريضة على منبر التأيين ومنصة
 الخطابة خط عليها:

ومصادر: (التاريخ طاح عمادها قد مات من هو للمصادر مصدر)
 ١٤١٤ هـ.

وخصص التاريخ الثاني ليرفع على شاخصة القبر الكريم، وقد
 استغرق قيام تلك الشاخصة وعمارة القبر إلى الذكرى السنوية
 الأولى لرحيله.

ولما تكامل بناء المرقد الطاهر، ووضعت اللوحة في واجهته
 أهملت الأبيات وأقصي التاريخ وحز ذلك في نفسي، وأثر في
 نحاصري. إن تلك الأبيات المؤرخة كتبها بمزيج الدمع والدم،
 وسطرتها بالزفرات والألم وسكبت فيها خلاصة العواطف، وعصارة
 المشاعر، وكم كان أسفي شديداً أن يتصدى من بيده الحل والعقد



جثمان السيد الفقيد يحمل على الرؤوس إلى مشواه الأخير بجوار السيدة زينب عليها السلام.



لجنة محفل الثابطين للسيد الفقيد تتألف من الأستاذ عبد الحسين الحسيني النجفي الثاني للسيد المترجم وهو يتوسط الدكتور جمال الدين والمؤلف.

عن عمد وسبق إصرار أو على الأقل عن تجاهل وعدم اعتناء أو اهتمام متذرعاً ومتعللاً بأعذار لم أقتنع بها كل ذلك قرينة وتزلفاً إليه تعالى!!.

وأنا أقطع لو كان بيتاً واحداً - ولو كان مهلهلاً - لبعض الواجهات العريضة، واللافئات الضخمة والأسماء الرنانة، ينظم لهذا الغرض لتحويل المستحيل إلى ممكن، ولنحت ذلك البيت على الصخر الأصم.

ولا يهمني الإجحاف والتنكر لطبيعة العلاقة وشائج القرى بمقدار ما يهمني سلامة النية، وارتياح الضمير وأداء الحقوق وإذا كان البعض قدّم الأذنان على القوادم واستبدل بالهوامش والذبول الصدور والدعائم، فلعمري ذلك العقوق بعينه لفقيدنا ميتاً كما عقه البعض حياً، ومن ضيعه الأقرب أتيج له الأبعد.

رحمك الله يا أبا الجميع، رحمك الله يا أبا المكارم والفضائل،
وقدس الله نفسك الزكية، وعطر الله مرقدك، ونور ضريحك في جنة
الخلد راضياً مرضياً وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

لائحة المصادر:

- ١ - الأنبياء للحسني
- ٢ - أدب الطف لشير
- ٣ - أدب المنبر للمؤلف
- ٤ - تفسير الميزان للطباطبائي.
- ٥ - تاج العروس للزبيدي
- ٦ - تفسير الكاشف لمغنيه
- ٧ - شرائع الاسلام شرح المترجم.
- ٨ - الخضر بين الواقع والتهويل ليوسف.
- ٩ - الخضر بين الحقيقة والخيال لقنيس
- ١٠ - خطباء المنبر الحسيني للمرجاني
- ١١ - الغارات للثقفى تحقيق المترجم
- ١٢ - المنجد لمعلوف
- ١٣ - منار الهدى للستري تحقيق المترجم.
- ١٤ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لعبد الباقي.
- ١٥ - مصادر نهج البلاغة وأسانيده للمترجم
- ١٦ - من لا يحضره الخطيب للمؤلف.

- ١٧ - ماضي النجف وحاضرها لمحبوبة.
- ١٨ - مجلة الموسم للطريحي.
- ١٩ - من وحي القرآن للسيد فضل الله.
- ٢٠ - مائة شاهد وشاهد للمترجم.
- ٢١ - معلومات وذكريات خاصة للمؤلف.
- ٢٢ - المراجعات الريحانية.



الشيخ عبدالزهره الكعبي



الشيخ عبد الزهراء الكعبي

○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○

○○○○○○○○○○

○ من أساليب التكريم التي سلكها أئمة أهل البيت عليهم السلام لتخليد أصحابهم ورفاقهم ربط أسمائهم بعمل من الأعمال الخالدة التي تمارس بمروور الليالي والأيام أبد الدهر، كما خلد كميل بن زياد النخعي بدعاء أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقرأ في كل ليلة جمعة فلا يقال عنه دعاء أمير المؤمنين وإنما دعاء كميل .

○ وخلد أبو حمزة الثمالي بدعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في أسحار شهر رمضان الشهير بدعاء أبي حمزة ، وهكذا نرى اقتتران هذه الأسماء اللامعة لطلائع الجهاد والعقيدة بهذه الأعمال الجليلة الخالدة .

○ أما شيخ القراء الخطيب الراحل المغفور له الشيخ عبد الزهراء الكعبي فقد خلّده الحسين بقراءة المقتل الذي يعتبر من أهم الوثائق التاريخية للحملة كربلاء الدامية، والتي تصور كيف رسم الحسين معالم الحرية والكرامة بدمه الزكي ، وكيف أرسى قواعد العقيدة ،

واختط دروب النضال من أجل حماية مبادئ القرآن بإباء وشرف ، ثم تصور تلك الوثيقة الأعمال الوحشية والممارسات البربرية التي ارتكبتها السلطة الأموية الغاشمة بحق أهل بيت النبوة والتي تدلل على عقليتها الجاهلية وخستها ولومها عندما ارتكبت أبشع جريمة عرفها التاريخ بذبح أبناء رسول الله وسبي نساءهم وذرائعهم، وقراءة المقتل هي القصة الكاملة لتلك المأساة الرهيبة والحدث التاريخي المرعب .

◦ وقد تفرّد الكعبي في عرض قصة المقتل بطريقته الثاكلة وأسلوبه الحزين ، حتى أصبح المقتل ركناً من أركان الشعائر الحسينية، وقطباً من أقطاب أعمال عاشوراء وفعالية هامة من فعاليات المنبر الحسيني .

◦ وقد حاولت كوكبة من خطبائنا اللامعين تقليد الكعبي في قراءة المقتل وقد وفق بعضهم إلى حد ما ، ولكن تبقى إمارة المنبر الحسيني في قراءة المقتل للمرحوم الكعبي دون منازع .

◦ وكان ولا يزال ييئ القسم الأول منه يوم العاشر من المحرم من العديد من إذاعات العالم الإسلامي ، وييئ القسم الثاني منه بذكرى الأربعين لمقتل سيد الشهداء عليه السلام .

◦ وإذا أردنا أن نؤرخ للسنة الأولى التي عرض فيها المرحوم الكعبي قصة المقتل فلا بد لنا من الرجوع إلى ست وثلاثين عاماً من

الزمن ، لتلقي بأول مجلس جماهيري حاشد عقد يوم العاشر من المحرم من سنة ١٣٧٩ هـ بجوار حرم الحسين عليه السلام بكريلاء .

وهو الذي يذاع من إذاعة بغداد صبيحة يوم عاشوراء كل عام منذ عام ١٣٧٩ هـ ، وقد أذيع في نفس العام مرتين صباحاً ومساءً لأن أربعة عشر ألف طلب برقي وهاتفي انهالت على وزير الثقافة والارشاد ودار الإذاعة طالبة تكرار إذاعته . (١)

ثم بادرت الإذاعة العربية في الأهواز لإذاعة التسجيل الكامل للمقتل في يوم عاشوراء من كل عام . كما أذيعت مقتطفات منه من إذاعة الكويت في نفس المناسبة المذكورة مشاركة ومواساة منها لرسول الله بمصاب ولده الحسين ، ثم مراعاة لعواطف الجماهير المؤمنة في الكويت ، ذلك البلد الحسيني الذي يتحول إلى كتلة من المأساة يوم عاشوراء حيث يلفه الحزن وتخيم عليه أجواء الكآبة والغضب لما حل بسيد شباب أهل الجنة عليه السلام ، فترى الكويت تموج بشيبتها وشبابها ونساءها وأطفالها ، تذرّف الدموع الساخنة ، وترتدي

(١) الحسين قتيل العبرة / ٤٧ .

حلباب الحزن ، وترى المجالس والمآتم والمواكب والأطعام وتسمع أصوات المسحلات الناعية في البيوت والحسينيات والشوارع والسيارات ومن أبرز تلك الفعاليات هي أشرطة المقتل الحسيني بصوت فقيه المنبر الشيخ الكعبي رضوان الله عليه .

هـ وما يلوح في ذاكرتي منذ أيام الصبا عندما منعت حكومة البعث في أيام عبد السلام عارف قراءة المقتل و تحدث بذلك عواطف الشعب تجاه عقيدته ورجالها المضحين من أجلها والمنحورين في سبيلها، انتفضت تلك الجماهير الغاضبة لتتحدى هي الأخرى قرار المنع وخرجت مواكبها الحسينية ومسيراتها المليونية في كربلاء. بمناسبة الأربعين وهي تندد وتستنكر ذلك القرار الجائر ، وأتذكر فيما كان يقوله أحد تلك المواكب وهو موكب بلدة الخضر في أهazيمه الشعبية باللهجة المحليّة يخاطبون رأس النظام يومذاك عبد السلام عارف بقولهم :

والشعب رادك عون	تالي طلعت فرعون
والمقتل ليش تمنعونه	يفضحكم صوته تعرفونه
وشدعوه هالطغيان	حي فارس الفرسان
ومن الجدير بالذكر أن من المؤسف حقاً أن تهدر ثروة أدبية وعقائدية كبرى وتضيع في خضم الأحداث وغمار النسيان ولم	

يلتفت أحد لتدوينها وتسجيلها ، حيث كانت تردد تلك المواكب
 روائع الأشعار ، وفرائد الأدب الحسيني ، وأعظم الأهازيج ، وتتفنن
 في أطوارها وتلاحينها بالفصيح والدارج وتعتبر تلك الأناشيد
 الحماسية والمستهللات الحسينية سجلاً شعبياً حافلاً ، وأرشيفاً زاخراً
 بمختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية جدير بأن يوضع
 للدراسة والتحليل واستخلاص العظات والعبر .

وَمَا تَسْعَفُنِي بِهِ الذَّاكِرَةُ فِي هَذَا الصَّدَدِ نَمَازِجٍ مِنْ تِلْكَ الْهَتَافَاتِ
 وَصُورٍ وَلِقَطَاتٍ مِمَّا تَصْدَحُ بِهِ الْخَنَاجِرُ الْحُسَيْنِيَّةُ فِي ذِكْرِى الْأَرْبَعِينَ
 بِكَرْبَلَاءِ الْمُقَدَّسَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَأْثِيرٌ عَلَى مِنْهَجِيَّةِ الْكِتَابِ .

ومن تلك النماذج ماردهه موكب الناصرية بأشراف وتوجيه
 سماحة العلامة المجاهد الشيخ محمد باقر الناصري حفظه الله صرخة
 حسينية من نظم العلامة الشيخ محمد حيدر دام تأييده كان يصدح بها
 ذلك الموكب في شوارع كربلاء .

يا أرض الطف مع التاريخ علاك	فلك يدور
وضحايا نهضتنا الكبرى بثرارك	تشع بنور
يا فجر الإسلام الدامي	بجراح رسول وأمام
ومدى الزمان بكل مكان	اللهم أشهد

٥ ومما كان يردده موكب السماوة المتميز بحماسته وضحامته ودقة تنظيمه وانارته المتنقلة وخدماته الواسعة وان الناس تتطلع لخروج هذا الموكب بلهفة ليستمعوا ما عنده من طرح جديد وفن متميز في التلحين والمضمون فأطل عليهم ذلك الموكب المهيب رافعا صوته :

من السماوة أتى جمهورها إلى بطاح كربلا يزورها
إلى ابن خیر هادي مفعج الجهاد
ومن أتى الشريعة يجيرها ومن بظلة احتسى مصيرها
ثم يأتي موكب آخر برايته الخفاقة فيهتف :

راية وحدة وغاية وحدة وهدف واحد

للأجيال القادمة التاريخ شاهد

أحبه كنا مسلمين أمة وحملة وفرد دين
من السماوة حيث أجدد هذا عهدي هذا عهدني

* * *

أجعل التوحيد عنوانك يشعبي

يصطفي بحب الوطن كلبك وكلبي

بالعمل نرفع شعار بالعجل نغسل العسار

من السماوة حيث أجدد هذا عهدي هذا عهدني

* * *

بتفرقتنه استطعت بينه الأحادي

عرضه أصبح للخطر ديني وبلادني

هدف صرته لليهود

ما يريد لها شهرد

من السماوة حيث أجدد هذا عهدي

هذا عهدي

* * *

يارجالات العرب وين الشـهامة

ياوسافة نسحكت اليوم الكرامة

من نفسنا مستحين

بعد نكسة فلسطين

من السماوة حيث أجدد هذا عهدي

هذا عهدي

* * *

إنه أخوة وبأرضها ذبحوها

هتكوا الأعراض منها وذنسوها

يانواميس النسساء

يادماء الأبرياء

من السماوة حيث أجدد هذا عهدي

هذا عهدي

* * *

ياشفيح الأمة اقبل هالزيارة

أنصر الإسلام ونريد البشارة

سالم يعود الزعيم

قائد الأمة الحكيم

من السماوة حيث أجدد هذا عهدي

هذا عهدي

* * *

وهكذا كان أغلب تلك المواكب - كما ستلاحظ - تهتف بحياة

المرجع الراحل الإمام الحكيم طاب ثراه ، وتتمنى له الصحة والشفاء
والعودة من رحلة الاستشفاء والاحتجاج سالماً مظفراً ، متضامنة معه
على اثر تليفيق ذلك الاتهام المقضوح لنجله الثائر الحجة المجاهد الشهيد
السيد مهدي الحكيم في أيام الطاغية أحمد حسن البكر .

ثم صدح الموكب المذكور بأهازيج أخرى مخاطباً الحسين عليه

السلام :

يا شهيداً قبل السيف كأن السيف خلاً

وصريعاً فوق رمضا كربلا أفديك أهلا

قد أتيناك لتجديد الولا حافظين العهد ياخير الملا

يا شهيداً قبل السيف كأن السيف خلاً

يا أبا الأحرار ذكراك على مر العهود

سوف تبقى مابقي التاريخ عنوان الخلود

يهتدي الأحرار من أقباسه ويضيء السدر من نبراسه

يا شهيداً قبل السيف كأن السيف خلاً

* * *

يا فدائياً ابي الضيم ولم يعطر يديه

لايالي أبسداً إن وقع الموت عليه

طبّق الأجواء من أهدافه

يشبه الماضين من أسلافه

يا شهيداً قبل السيف كأن السيف خلاً

* * *

أربعون اليوم مرّت مذ غدت فيها الدماءُ

سائلاتٍ من بدور غيبتهما كربلاء

يلعب السيف على هاماتها

وغدوا صرعى على ساحاتها

يا شهيداً قبل السيف كأن السيف خلاً

٥ ثم جاء موكب الرميثة المجاهدة يهدر بأهازيجه التي هزّت

كربلاء والتي اعتقل على أثرها زعماء الموكب كالسيد صالح السيد

محمد، والشيخ ياسين الرميثي الشهير بالقصيدة العقائدية (يحسين

بضمايرنا) وغيرهما من وجهاء الرميثة الباسلة أيام تصاعد الضغوط

واشتداد المحاربة الوقحة السافرة للشعائر الحسينية من قبل السلطة

الغاشمة فخرج ذلك الموكب ليضع النقاط على الحروف بكل جرأة

وتحدي :

صوت الحق ينادي بين حيدرة هاي أنصارك اجتك زائرة

هاي الرميثة بحماك لوعدها تقصير و ياك

منك تطلب ياسيدي المعذرة صوت الحق ينادي بين حيدرة

* * *

هذي الشكوى وهذي صحيفة هظم

شفرة وطاحت بينه واجت عالظم

يا دكتور يداوينة ومن عدنه الشفرة وبينه

واليحبرته هوّه عظمنه اكسره

صوت الحق ينادي بين حيدرة

* * *

هذا المحسن هذا زعيم الشرع

لايبد وجهه بنور علينه يشع

لمن الباري يشسسافيه وبرحمته بمن عليه

وبضي وجهه الدنيا تظل مزهرة صوت الحق ينادي بين حيدرة

* * *

كل ثورة اللي بيها يكوم الشعب

احسنه الأول بيها تراوي العجب (١)

(١) اشارة إلى ثورة العشرين ضد الاحتلال الانكليزي والتي أبلست

الرميثة فيها بلاءاً حسناً، ولها المواقف المشهودة التي سجلت بأحرف

البطولة والفداء .

أهل الظلم خل تحنذر

عالشعب لا تتأمر

سنة العشرين أحنه أهلها تره

صوت الحق ينادي يبن حيدر

* * *

خل ننشدهم بالله رجال العرب

كالموا أحنه وإحنه أهالي الرتب

جاوين أقطاب الجلسات شو ماكاموا للثارات

وأحنه عرفنه القصة تره مدبره صوت الحق ينادي يبن حيدر

* * *

ينطوي بليل إنه كلام ووعد

لجل الثورة واحنه نصلك بعد

لمن يصير المصباح لن الحجي بس اصباح

كلمن أخذ حصته ورد ليوره

صوت الحق ينادي يبن حيدر

* * *

شوف الدنيا شبيها بالأوي وفتن

ياهو تلزمه تشوفه بجر بالوطن

بعد الوطن كلي شلون يتخلص من الصهيون

محد يعرف ياهو اله السيطرة صوت الحق ينادي يبن حيدر

* * *

شوف عدانه شعدها غرور وبطر

ماتدري شجم طاغي كبلها انكسر

طاحت أول بالباشات باجر تو كسع بالشاهات

عكبه تعالين هيّه يجيها السر

صوت الحق ينادي يبن حيدر

* * *

عالأعصاب أكضيته حياة العمر

كلمن لجل الغاية يجرنه بكتر

وأحنه على العيشة نطارد لاصــــار و لاوارد

لابيع أصبح عدنه ولامشره صوت الحق ينادي يبن حيدر

* * *

ثم نزل موكب مدينة الخضر إلى شوارع وساحات كربلاء

المقدسة مواصلاً مسيرته باتجاه مرقد سيد الشهداء عليه السلام موجهاً

صرخته الثائرة إلى الحسين :

نصــــرخ بحســــين ليســــك أعتــــينه

اللــــه اللــــه بالله أبتلــــينه

ومن الخضر موكب الشرقي ينادي ليك أعتنه بخبرك يروح الهادي
عن الظلام جارت عليـــــــه الله الله بلوه ابتلينه

* * *

تريد الظلام تحكم بلدنه ويردونه نعيـف عزنه ومجدنه
ياناس هاي الدين مايرضاها كافر ويحكم باسم دولة طه
هذا اللي صار كله من أدينه الله الله بلوه ابتلينه

* * *

وين الشبان وين النشامة نريد نعيد يوم الكرامة
يعزم أبو اليمه انشاء الله وهمته لازم ترفرف عالقدس رايتنه
وكل الشسوار تفتخر بينه الله الله بلوه ابتلينه

* * *

هاي الأنصار هاي المواكـب باسم الإسلام حقها وتطالب
يحسين شوف حقوقها الشرعية يحسين تطلب وحدة إسلامية
وليش القرآن أمعطينـــــــه الله الله بلوه ابتلينه

* * *

◊ ثم أطلّ موكب النجف الأشرف تتقدمه راية كبرى كتب
عليها (يد الله فوق أيديهم) وتحفه الهيبة ، وتعلوه قدسية أمير المؤمنين
عليه السلام ، ولاتكاد ترى بداية المسيرة من نهايتها لضخامة الموكب

وتدفق الحشود الهائلة المشاركة فيه ، يتقدمهم العلماء وطلبة العلوم
الدينية ، ثم تنتظم الحلقات الجماهيرية الكبرى وتهتف بصوت واحد
يحسين هاي النجف هاي أنصاره

يحسين تمشي بنهجك وأفكاره

مومثل أمس جاننت الناس تغشسنة

كولت الكسايل باللبن فتشسنة

وهكذا ترى هذه الأهازيج الطافحة بالوعي والمسؤولية ترددها حناجر
الأحرار ، وتعلو بها أصوات الثائرين منددة بتعطيل أحكام القرآن ،
ومطالبة بحقوق الأمة المشروعة ، ورافضة لكل شكل من أشكال الظلم
والباطل والأغتصاب .

◊ ولو ألقينا نظرة فاحصة ووضعنا دراسة تفويجية هادفة لهذه
النماذج وماشاكلها من الهتافات والأناشيد الحسينية ، لوجدنا الحس
المتوثب ، والروح الثورية واليقظة الجماهيرية التي تستنكر أي لون
من ألوان الأنحراف والتعدي .

◊ ولذلك كانت الحكومات الظالمة عبر التاريخ تتصدى بوحشية
لقمع هذا الحس الديني والوعي الاجتماعي بمختلف الأساليب وتمارس
ضغوطاً رهيبية على إقامة هذه الشعائر ، وتضع شروطاً بحجفة في
السماح لخروج هذه المواكب وممارسة نشاطها الحسيني ، ومن جملة

هذه الشروط أن تعرض القصائد والمستهللات على دوائر الأمن ،
ورجال الشرطة !! حتى يصرح لها أو لا يصرح !!

◦ ومما يقرب من هذا المعنى التعهدات التي تؤخذ على أصحاب
الحسينيات والمآتم في كل عام قبيل محرّم ، بأن الخطيب لا يتعرض
للقضايا الاجتماعية والسياسية و .. الخ ومن الواضح أن ذلك تقييد
لحرية الخطيب في توجيه الناس ، ولا يتفق مع استقلالية الرأي التي
تبنتها مدرسة الحسين عبر العصور ، ولا ينسجم مع إيديولوجية أهل
البيت عليهم السلام في المناخ المفتوح ، والحوار الهادف الذي تدعو
إليه عبر قنواتها المختلفة ، ثم هل أن ثورة الحسين على طغيان يزيد
لا علاقة لها بالسياسة 11؟

◦ إن ثورة الحسين هي روح السياسة ، والسياسة هي قلب المجتمع
النابض فكيف يمكن الخطيب المسؤول الا يتحدث في صميم مسؤوليته
ويمنع من التحدث الواعي عن القضايا السياسية والاجتماعية 12؟

◦ وكيف يمكن للمواكب الحسينية أن تمارس دورها الرائد ،
وتحقق هدفها المنشود بتقييد حرّيتها ، وملاحقة نشاطها وإخضاع
برامجها وشعاراتها وأشعارها للرقابة والتصريح من قبل دوائر
الأمن 13؟

٥ إننا لاندعو إلى الفوضى والتسيب ولكننا نؤمن بحرية العقيدة المكفولة في المنطق الإنساني ، وكما أن غيرنا يمارس عقيدته وطقوسه وشعائره بكامل حريته ، فلنا الحق أيضاً بممارسة شعائرتنا ومعتقداتنا دون تدخل أو وصاية من أي أحد علينا مهما كان عنوانه أو صفته التي يتعامل على أساسها .

٥ ومن هنا نحن ننعى حتى على بعض خطبائنا ورجالائنا المتصدين للأمور الدينية عطل الرأي وسذاجة التفكير وعدم التعامل بعمق ووعي فيما يتعلق بنظرتهم السطحية واستخفافهم ومحاربتهم لبعض الممارسات والشعائر الحسينية وإرتكابهم بذلك أفدح الأخطاء ، بحجة أنها تثير النقد أو الاستهزاء من قبل الآخرين ، وإن ببعضها مخالفة لأحكام الشرع الخفيف !!

٥ ولو كان النقد والاستهزاء باعثاً من بواعث التراجع عن العقيدة لتراجع رسول الله من قبل عندما أستهزأ به المشركون ، أما المخالفة المزعومة لأحكام الشرع فلو صح ذلك ولم يكن بحمد ذاته إفتراء وادعاء فلا ينبغي إتخاذ الموقف المتشنج ، وإصدار الحكم المتطرف والمبالغ في محاربتها والدعوة لمنعها كلياً ، وتحجيم الشعائر وحصرها في أضيق نطاق ، وبذلك إتاحة الفرصة للعدو المترصد لتحطيم عقيدتنا ، وتمهيد الطريق له للأنتقاض على ما تبقى من

تقاليدنا وشعائر ديننا ، ونحن لاننكر وجود بعض الزوائد أو الأخطاء التي ينبغي لحملة الفكر والمسؤولية التصدي لتهدئتها وصقلها وتوجيهها إلى طريق الاعتدال والصواب أما الدعوة إلى محاربتها وإجتثاث جذورها والقضاء عليها معنى ذلك قضاء على أعظم رافد من الروافد العاطفية الكبرى التي تشد الناس بمدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وأهدار هذه الطاقات المتدفقة بحجج واهية ومنطق ساذج عمل غير مسؤول وأسلوب يحتاج إلى إعادة النظر في الاصرار على طرحه والتمسك به فما كان الحسين يوماً محاضرة فلكية ولا فلسفة اقتصادية ، وإنما الحسين ثورة جماهيرية كبرى مشتعلة في النفوس تعبر عن آلام المنكوبين والمحرومين والشجب المطلق لكل أشكال المنكر والباطل والطغيان .

٥ والتعبير العفوي والأندفاع التلقائي نحو هذه الأهداف يتم عبر مختلف القنوات والأساليب التي تمارس ضمن دائرة الشعائر الحسينية النائرة .

٥ وبعد هذه الجولة أعتذر إذا اشتط بي القلم ونجرت عن الموضوع ، وإن كان حديثاً عن نمط من أنماط الشعائر التي يعتبر المترجم من أبرز عناصرها وشخصياتها الفاعلة فأعود للإشارة إلى المقتل الذي يعتبر وساماً ملازماً للخطيب الكعبي بأنه نقل من أشرطة

التسجيل إلى عالم التدوين واخرج في كتاب تحت عنوان الحسين قتيل العبرة وقد قدم له مقدمة رائعة الشهيد المظلوم آية الله السيد حسن الشيرازي طاب ثراه الذي سقط شهيداً برصاص الغدر والجريمة ببيروت وهو في طريقه لحضور محفل لتأبين سيد شهداء العصر الإمام السيد محمد باقر الصدر قدس سره ، ولعمر الله إن الرصاصة التي أردت السيد الشيرازي مضرجاً بدم الشهادة هي ذاتها التي احترقت قلب الشهيد الصدر وخضبته بدمه الزاكي الطهور فلتوحد الكلمة ولترص الصفوف في خندق واحد ضد العدو المشترك ولتنبذ حياة التناحر والتشرذم والتفرقة المقيته التي تمزق وحدتنا ، وتنخر وجودنا ، وتحطم هيبتنا ، ولنكن يداً واحدة وقلباً واحداً وقوة واحدة بوجه أعدائنا وأعداء عقيدتنا المقدسة .

٥ أما معرفتي بسماحة الشيخ الكعبي فتعود إلى أواخر الستينيات وتحديدًا سنة ١٩٦٩ ونحن على أبواب شهر محرم الحرام، وفي ذروة الاعداد والتهيؤ لممارسة النشاط السنوي للمجالس الحسينية وفي فترة سفر الخطباء ليتوزعوا على مجالسهم سواء التي منها داخل العراق أو خارجه ، وفي غمرة هذا الاعداد والنشاط بتلك الظروف الاعتيادية أقفلت طائرة (ترايدنت) ذات الأربع محركات القديمة من مطار بغداد قاصدة الكويت والبحرين وتقل على متنها أكثر من ثلاثين خطيباً

ليتوزعوا على مناطق تلك الدول الخليجية وأتذكر من هؤلاء الخطباء
المرحوم الشيخ هادي النويني ، والسيد جابر أغاثي ، والسيد مهدي
السويج ، والشيخ باقر المقدسي ، والسيد مهدي الشيرازي ، والسيد
عبد الرزاق القاموسي ، والسيد عامر الحلو ،... الخ ، وكان من
بينهم سماحة المرحوم الكعبي ، واتفق أن جلست إلى جانبه مباشرة
وتبادلت معه أطراف الحديث والمجاملة والتعارف وكنت يومذاك لم
أكمل العقد الثاني من عمري ولم تحتط عارضاي ، فغمرني بلطفه ،
وأعجمني بمكارم أخلاقه حتى ودعته عند وصولي إلى الكويت
وواصل هو رحلته إلى البحرين في نفس الطائرة .

ثم التقيته مرة أخرى في أحد مجالسه العامة في مدينة كربلاء ،
فرحب بي وهو على المنبر ، ودعاني إلى ارتقاء المنبر أمام الجماهير
المحتشدة تحت منبره بكل تواضع وخلق نبيل ، وكنت يومذاك خطيباً
مبتدئاً لأجيد ألف باء الخطابة .

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على باذخ شرفه ، وخلقه
الحسيني الأصيل ، بينما تجد بعض الذين يمارسون هذه المهنة إذا أرتقى
أحدهم المنبر كأنه الطأروس ، وقد يحيل إليه أنه الأمبراطور الذي يأمر
وينهى ، يتحدث بمنتهى الجبروت والكبرياء لا يرى لأحد مهما كانت

مكانته العلمية أو مقدرته الخطابية قيمة أو احتراماً لشدة الغرور وقلة الأخلاق والعباد بالله .

مولده ووفاته :

◊ بذكري مولد الصديقة الزهراء عليها السلام في الخامس عشر من شهر جماد الأول في عام ١٣٢٧ هـ ولد الشيخ الكعبي في كربلاء المقدسة ، وبذكري وفاتها في الخامس عشر من شهر جماد أيضاً عام ١٣٩٤ هـ الموافق ١٩٧٣ / ٦ / ٦ وقد على ربه آمناً مطمئناً ، وبين الولادة والوفاة مسيرة طولها سبعاً وستين عاماً حافلة بالعطاء والعظمة وكان الإرادة الإلهية شاءت أن تنطلق هذه المسيرة المظفرة مع الزهراء وولائها حتى أصبح عبد الزهراء اسماً على مسمى وكان فيه قول القائل :

ياقوم قلبي عند زهراء يقصده السامع والرائي
لا تدعني الا بيا عبدها فانه أشرف أسمائي

نسبه وأسرته :

◊ هو أبو علي الشيخ عبد الزهراء بن الشيخ فلاح بن الشيخ عباس بن الشيخ وادي الكعبي نسبة إلى قبيلة بني كعب المنتهية إلى

كعب بن لؤي بن وائل ، وقد نزحت أسرته من المشحاب واستوطنت
كربلاء (١) .

دراسته وخطابته :

◊ تعلم مبادئ القراءة والكتابة بالطرق التقليدية عند الكتاب
وحفظ القرآن كله في سن مبكرة عند الشيخ محمد السراج في الصحن
الحسيني الشريف ، ثم تلقى علومه الدينية في حوزة كربلاء على
أفاضل الأساتذة وطلّاع العلماء ، فقد أخذ أوليات العلوم على العلامة
الشيخ علي الرمّاحي ، ثم درس الفقه وأصوله على يد العلامة الشيخ
محمد الخطيب ، وتلمذ في المنطق على الشيخ جعفر الرشتي ، وفي
علم العروض على الشيخ عبد الحسين الخويزي ، ثم أصبح هو من
أساتذة الحوزة النابهيّين يلقي دروسه في الفقه الإسلامي واللغة العربية
على مجموعة من طلبة العلوم الدينية .

◊ أما خطابته فقد تلقاها عن خطيب كربلاء الشهير الشيخ محسن
أبو الحب ، والخطيب المؤلف الشيخ محمد مهدي المازندراني وممارس
عمله بإتقان وإخلاص حتى أصبح من أبرز الخطباء العراقيين ومن
أسساتذة المنبر المبرّزين ، وقد تخرج عليه جيل من مفاخر خطباء المنبر

(١) خطباء المنبر الحسيني ج ٢ ص ١٨٨ .

الحسيني كان في طبيعتهم الخطيب الشهير الشيخ عبد الحميد المهاجر والشيخ ضياء الزبيدي والشيخ علي حيدر والشيخ أحمد معرفة وغيرهم من الجيل المعاصر و ذكر أحد تلامذته أن أكثر من خمسين خطيباً تأثروا بأسلوبه وطريقته في الخطابة ، وكان يحرص على إعداد جيل من الخطباء متسلح بثقافة دينية صحيحة وكان ينفق جل وقته في توجيه وتربية الخطباء الناشئين ويغدق عليهم بسخاء من مكارم أخلاقه وما يحتاجونه من خبرة منبرية واسعة .

◦ ومما يدمي القلب حسرة وأسفاً ألا نجد ممن يتصدر إمارة المنبر الحسيني رعاية أو توجيهاً أو احتضاناً للجيل الجديد من الخطباء بشكل مركز ومنتظم برغم الحاجة الماسة للرعاية والتوجيه ، وأن يبخل على أبنائه وتلامذته حتى ببعض الوقت أو الجاه لتقديم المساعدة الضرورية الميسورة لديه ، بل على العكس من ذلك تماماً ، فإذا نبغ أحد من هؤلاء الخطباء بكفائته وجهوده الخاصة ، وأصبح في مكانة مرموقة ، وموضع إعجاب في قابلياته وطاقاته المنبرية ، يبادر بسلبية وتشنج في تعامله وقد يتجاوز ذلك إلى العدوانية والمهاترات لتحطيم من يتقدم في هذا المضمار دون وازع من ضمير أو رادع من شرف ، وذلك بخلاف الخلق الحسيني ، والتربية الدينية التي يدعو إليها سيد الشهداء عليه السلام ، وما ذلك إلا لضيق الأفق ، وضعف الشخصية

واحتكار المهنة ، وعدم التفكير المسؤول عن مستقبل المنبر الحسيني وماله من رسالة مقدسة وأثر بالغ في التربية والإعلام وفق مبادئ آل محمد ، وسوف يسجل التاريخ على صفحاته حساباً غاضباً على هؤلاء الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وسوف تلاحقهم ظلامه زملائهم وتلامذتهم من عدمة الحسين في الدنيا والآخرة .

ه أجل كان شيخنا المترجم خطيباً مريباً مخلصاً في خدمته لسيد الشهداء ، ثبت له وسادة المنبر الحسيني في كربلاء ، ثم دعي خطيباً لإحياء المواسم الحسينية في كل من الكويت والبحرين والإحساء والقطيف ولبنان وغيرها ، وطبق صيته الأرجاء بقراءة المقتل الحسيني الشهير .

الكعبي و الأدب العربي :

ه يتبادر إلى الذهن عندما يذكر الشيخ الكعبي (مقتل الحسين) ، وخطابة المنبر إلا أن للشيخ الخطيب باع طويل في الأدب العربي بقسميه الفصيح والدارج ، فقد ذكر المرجاني في كتابه خطباء المنبر أن له ديوان شعر تحت عنوان : (دموع الأسي) لا يزال مخطوطاً في مكتبته بكربلاء ، ولا يعلم إذا اعتراه التلف أو الضياع في ظل الظروف الراهنة ، ومن نماذج شعره قال مؤرخاً مسجداً في كربلاء :

ذا مسجد قد جددت بناءه

سعى به عبدالأمير ذو العلي

وشاطرته في البناء عصبه

يا داخلاً فيه اذكر الله هدىً

واستغفر الله وأرخ قائلاً

وقال في مدح شبيب المالكي :

رأيت المكارم جذلانة

فقلت شبيكم شباً بي

فأكرم به من فتى مالك

أكارم أهل علا وسودد

من قد سما بالعز هام الفرقد

ترجو بذاك الفوز يوم الموعد

وبعده صليتي على محمد

شادوا على التقوى أساس المسجد

تميس فقلت لها مالك

فأصبح دون الوري مالك

ثمته العلا لبني مالك

ورأيت في مجموعة خطية عند الخطيب السيد طاهر السيد حسن ملحم

أبياتاً في مدح الإمام الصادق عليه السلام لشيخنا المترجم :

سابقات نعم كل البرية

بعسد إخفائها فعمادت بهية

هي كانت من قبل ذاك خفية

قد عرفنا بالفرقة الجعفرية

وقرأت في مقال للسيد كاظم النقيب في تأيين الكعبي أنه يحفظ

له من الشعر البيتين التاليين :

ليس الشجاع الذي يرمي العدا بشبا بتاره بالطعن والحرب
بل الشجاع الذي إن نفسه طمحت إلى الرذائل ساواها مع الرب
وذكر له الخطيب السيد مصطفى آل طعمة بيتين من قصيدة في
مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

خليفة طه في البرية حيدرٌ وليس سواه في الأنعام أميرٌ
إذا امتار أهل الأرض كيلاً فإنني سوى حبة تالله لستُ أميرٌ
وقد نشرت له مجموعة من المقالات في مجلة صوت المبلغين
الكربلانية ، وله مكتبة ضخمة تربو على العشرة آلاف كتاب ، وليس
له تأليف مطبوع سوى المقتل .

المحطة الأخيرة :

في ليلة الجمعة بكريلاء سكت صوت الكعبي فجأة ، ذلك
الصوت الذي كان للتو يجلجل ناعياً أم الأئمة بمجلس عزائهم ،
وتعطلت تلك الحنجرة الخارقة التي تصدح بحزن في مصاب سيد
الشهداء عليه السلام لنصف قرن من الزمن ، وتوقف ذلك القلب
الطيب العطوف ، واطفأت تلك الروح المتوثبة ، وحمدت تلك الشعلة
الحسينية المتوهجة .

لقد هجمت عليه المنية ، وباغته ريب المنون ، بعد أن حضر
مجلس الفاتحة لأحد معارفه ، وارتقى المنبر يؤمن الزهراء بذكرى

وفاتها، وبعد فراغه أحس بدوّار واضطراب نفسي شديد نقل على أثره إلى المستشفى الحسيني ، وبعد إسعافه عادوا به إلى داره في حي الحسين ، وهناك سعدت روحه إلى بارئها ، ولفظ نفسه الأخير، والتحق بركب الحسين مع الشهداء والصدّيقين .

٥ وفي صبيحة الحدث الجلل والخسارة الفادحة هبت كربلاء عن بكرة أبيها ، وزحفت الجماهير من كل حدب وصوب لتشيع خطيبها المعظّم ، فحملت نعشه على الرؤوس ورفعت جنازته على الأكف ، وكان يوماً مشهوداً ضجّت به الناس ضجّة واحدة ، وحنّت حنة ثاكلة تشيعه الدموع الساخنة ، والزفرات اللاهبة ، وأصوات تسجيلاته تخرق الأفق نعيّاً وحنناً حتى أنزلوه في مشواه الأخير في مقبرة كربلاء فإلى روح وريحان وجنة نعيم ، وسلام عليك أبا علي وعلى روحك الطيب وجسدك الطاهر ، طيبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم وفنتم والله فوزاً عظيماً .

OOOOOOOOOOOOOOOO
OOOOOOOO





السيد جواد شبر

تحية السجين البطل :

السلام عليك أيها المغيب في قعر السجون، والمعذب
في ظلم المطاعير.

السلام عليك يا من وقعت أسيراً في أيدي الطغاة،
فكبلوك مظلوماً في الحبوس والاعتقالات.

السلام عليك أيها السيد الجواد، والسند العماد أشهد
أنك مضيت شريفاً مجاهداً، ولمن ناوس، عقيدتك معانداً،
لم تنزل تصارع الجسارة بقلمك ولسانك، وتصعق
اسماعهم بفصيح بيانك، حتى وقعت في قبضتهم
أسيراً، فجرعوك كأس العذاب مريراً.

لعن الله من أنتهك حرمتك ولم يروع جلالة قدرك
وشيبتك، فألقاك في غياهب الاعتقال سجيناً، فكنت
هماماً اتخذ من السجن عريناً، ووقفت أمامهم بثبات وطلاقة،
ذائداً عن دينك بشرف ونجابة، كأنك الأسد المصور،
داعياً عليهم بالويل والثبور، لم تلتن همتك، ولم تهن
عزيمتك.

فالسلام عليك يوم ووقفت ويوم اعتقلت ويوم تخرج

حياً.



عميد المنبر وأمير الخطباء :

إذا كان لكل فن شخصياته العملاقة، ولكل عمل عباقرته من ذوي المواهب والإبداع، فالخطيب الجواد في طلائع الصفوف المتقدمة، والطراز المتميز والطاقت المبدعة في فن الخطابة وشؤون المنبر الحسيني.

ولئن كان شوقي أمير الشعراء،

وشكيب أرسلان أمير البيان، فالسيد الجواد أمير الخطباء دون منازع في الموازين العلمية، ومقاييس المتخصصين والخبراء.

ولئن اشتهر مؤخراً الخطيب الوائلي بلقب (أمير المنبر الحسيني) وأول من أطلق هذا اللقب على الوائلي الأستاذ سعيد الطريحي في مجلة الموسم وجاريتته بإثباته في كتابي من لا يحضره الخطيب، أجل لئن كان الوائلي أمير المنبر فالجواد أمير المنابر وذلك لقب ووسام ناله قبل أكثر من ربع قرن خاطبه به الأديب الكبير روكس بن زائد العزيزي رئيس رابطة حقوق الإنسان في الأردن في مراسلاته ومكاتباته مع السيد المترجم يخاطبه بأمير المنابر.

وكلاهما فرسا رهان وهذا اللقب جديران فبأي آلاء ربكما تكذبان
كلا الأسدين هذآر ولكن جواد سبق أهدر من أخيه
فخطيبنا المترجم أبو الكاظم الجواد من آل شبر، سيد الخطباء المعاصرين على الإطلاق، وعميد المنبر الحسيني، ومن عمالقة الفن وجهابذة الأدب، وأساطين الخطابة، إذا خطب اشرابت له الأعناق، وشخصت الأحداق، وانقطعت الأنفاس وسكنت الأجراس، يسيطر على الألباب، ويهيمن على المشاعر، وينفذ إلى أعماق القلوب ببلغ

منطقه وعذوبة أسلوبه وقوة شخصيته وسحر كلماته، وحماسة إلقاءه،
ولذيذ إنشاده وإنشائه.

استمعت إليه مرة في محفل حاشد بسامراء في الصحن الشريف
للإمامين العسكريين عليهما السلام. خطيباً في موكب النجف الأشرف
في الثالث من شهر رجب بذكرى شهادة الإمام الهادي عليه السلام،
فتدرج في خطابه وتسلسل في بيانه، والناس كأنما على رؤوسهم الطير،
شاخصة أبصارهم إليه بانبهار وذهول وكأنه قس الفصاحة، ينهمر
كالسيل الجارف، وتتدفق الكلمات على لسانه بقوة وانتظام دون تلكؤ
أو عجز، قد أخذ بمجامع القلوب، وسلب الأبواب والعقول، وفجر
في نفوسهم روح الثورة والرفض للباطل والتحدي للظلم، وأهلب في
دمائهم حماس العقيدة والإيمان، وعمق في ضمائرهم ووجدانهم ولاء
أهل البيت عليهم السلام بثقة وإخلاص ومسؤولية. وإني لأتصور
بتلك اللحظات لو قال لهم ثوروا لثاروا ولو استنهضهم لخوض
المعركة لانتظموا من خلفه صفوفاً غير هيابة من الموت، ولو أخذ
بأيديهم إلى أتون الحرب لقتلوا أنفسهم في هوانها وأضرموها بدمائهم
المشتعلة، ونفوسهم التي عبأها رفضاً وشحنها استنكاراً ونقمة من
الظلم والظالمين.

★★★★

يعود إتصالي بسيادة الأستاذ المترجم تحديداً إلى سنة ١٩٦٩م عندما
شرفني بإبرام عقد شرعي واتفاق محدد على القراءة معه تلميذاً في
مجالس الكويت بمناسبة عاشوراء، وتم التنسيق أن يسبقني وأقتفي
إثره عند استكمال الإجراءات القانونية لوثيقة السفر التي تخلفت من
أجلها عن مرافقته مباشرة، ولما تم ذلك أعددت عدتي وحزمت

حقيبتني ولحقت بركابه، وكانت هذه المرة الأولى التي أخوض فيها تجربة السفر خارج العراق عن الطريق الجوي من مطار بغداد إلى مطار الكويت بطائرة قديمة ذات الأربع محركات، فبان الارتباك على وجهي، وانتابني حيرة الغريب، وكيف يتصرف؟ وماذا يفعل؟!

وقرأ تلك التساؤلات على قسات وجهي رجل مسيحي من الجالية العراقية المقيمة في الكويت يومذاك ولا زلت أتذكر اسمه (أبير بطرس)، كان يجلس إلى جانبي في مقعد الطائرة، فسألني عن سبب الحيرة؟! فأخبرته بأنها التجربة الأولى في السفر، ولا أستدل الطريق، ولا أهتدي لمعرفة العنوان الذي أحمله معي، فقرأ العنوان وهاجت به أريجته العربية ونخوته وشهامته العراقية. فخاطبني قائلاً: أنت معي وهذا العنوان مجاور لعملي وسوف لا أدعك حتى أوصلك إليه، فساطمئنت نفسي، واصطحبني الرجل وتكرم بإيصالي إلى حيث أريد، وهناك وفي الحسينية الجعفرية القديمة بمنطقة الشرق وجدت الجواد مرحباً ومهلاً، وبالخفاوة والتكريم مستقبلاً، ثم اصطحبني إلى حيث يقيم في دار المرحوم الحاج محمد الخواجة بمنطقة الشعب، ومكثت معه حتى إنتهاء مراسم عاشوراء، وكنت أقدم له مجلس القراءة ثلاث أوقات يومياً في الحسينية الجعفرية وحسنية الزهراء، وكانت مجالس جماهيرية حاشدة، وكان هذا الرجل بطلاً حقيقياً من أبطال المنبر الحسيني، فقد كانت شوارع الكويت المحيطة بالحسينية تموج بالجحافل البشرية وكان شارع أحمد الجابر المتصل بدروازة^(١) عبد الرزاق في قلب العاصمة الكويتية ينقطع رسمياً من السيارات، وتتعطل فيه حركة المرور، ولا ترى إلا أفواجاً متدفقة من عشاق الحسين (ع)

(١) دروازة: كلمة فارسية تعني البوابة واليوم كتب عليها ساحة عبدالرزاق.

ورواد مجالسه والمشاركين في تأبينه ومراسم عزاءه ومآتمه السنوية الخالدة، حتى إذا ما دخلنا الحسينية المذكورة نشقُ طريقنا بصعوبة بالغة بين تلك الجموع المتجمهرة حتى نصل إلى منبر الخطابة وسط تيار من التقبيل والتبرك والاهتاف بالصلاة على محمد وآل محمد.



وحدثني الأستاذ
الفاضل السيد محمد
رضا شقيق المترجم
بأنه أرخ في دفتر
مذكراته اليومية لذلك
العام حضوري إلى
الكويت برفقة أخيه
الجواد وتوديعه لنا في
مطار الكويت الدولي
عند مغادرتنا بعد

الفراغ من موسم عاشوراء، وكان معه في مراسم التوديع كل من
الحاج إبراهيم المطوع والحاج محمد الخواجة وأطلعني على تلك المذكرة
عبر صورة فوتوكوبية حفظتها في أرشيف أوراقى إعتزازاً بها بواسطة
أنجاله الكرام من سادات آل شبر المقيمين في الكويت.

ومن تلك اللقطات التي لا زالت عالقة ببالي في ذلك العام أن
السيد المترجم في العاشر من المحرم كان على المنبر والناس في عويل
ونحيب، فأرسل له الإمام الأحقافى عباءة لا أنسى أنها كانت بنية
اللون خلعة وهدية منه، وكان من المؤلف أن الشخصيات المعروفة بل
وحتى سائر الناس ترسل الخلع والهدايا للخطيب وهو على المنبر أمام
أنظار الجماهير ولا يرون بذلك بأساً، فما كان من السيد أبي الكاظم

عندما وصلته تلك الخلعة إلا أن قام واقفاً على قدميه بقامته المهيبية ووقف على أعلى مرقاة من المنبر أمام الحشود الهائلة وأفرد تلك العبادة ورفعها بيده إلى الأعلى منادياً بأعلى صوته الحزين: أيها الناس هذه العبادة خلعة لي من الإمام المصلح أريد من يرسلها إلى زينب في هذه الساعة، وكانت كلماته نابغة من القلب فأخذت مفعولها وأثرها من النفوس، وتفاعل الجمهور مع مضمونها العميق فانتزعت الدموع الحارقة من العيون وعمت موجة من العويل، وأشعلت جمرة في القلوب وما ذلك إلا لمهارته وسيطرته وهيمته وإخلاص نيته في الخدمة الحسينية.

★★★★★

وبعد انتهاء مراسم عاشوراء وعودتنا إلى النجف الأشرف خصص لي غرفة في المدرسة الشبرية التي أسسها والده الحجة الراحل السيد علي شبر طاب ثراه بمنطقة البراق، وكان السيد المترجم يتولى عمادتها وإدارة شؤونها، وهناك كنت دائم الصلاة به، تتحلق حوله يومياً أنا وثلة من تلامذته في غرفته التي تتوسط ساحة المدرسة وتشرف على دخول الطلاب وخروجهم، فيحضر لنا الشاي بيده الكريمة، ويعده بأدوات حديثة سريعة التحضير، ثم يفيض علينا بأدبه وشعره وتوجيهاته ونكاته اللاذعة وتستمر الجلسة حتى يجنب موعد صلاة الظهر فيقوم ويرقع صوته بالأذان ويصلي الظهرين ثم ينصرف إلى داره بمنطقة الحنانة بعد أن انتقل من داره القديمة في الجديدة، وهكذا هو البرنامج اليومي لسيدنا المترجم.

ومن أطرف الذكريات وأمرها بنفس الوقت أن رجلاً من أهالي النجف استقبلني ذات يوم قائظ شديد الحر وأنا في طريقي من الحرم العلوي الشريف إلى المدرسة الشبرية، وكان يصطحب رجلاً آخرًا ببزة

كويتية أسمر اللون قصير القامة مقبول الشكل، كويتي اللهجة، فقدمه لي بأنه صديق حميم للسيد المترجم، وبناءً على علاقتي الوطيدة وكوني من تلامذته، راح يلتمسني ويرجوني أن أوصل ذلك الشخص إلى الأستاذ شبر، فاستجبت لذلك دون أن أعرف هدف الزيارة، مبدئياً ملاحظة واحدة وهي عدم مناسبة الوقت الآن في حر الظهيرة ووهج الشمس المحرقة في تلك الساعة، وربها يكون السيد قد أخذ للنوم والراحة فنقلق عليه راحته، فلو أجلنا الذهاب إلى بيته حتى يحين وقت العصر، فتم الإتفاق على ذلك وبقي الرجل معي في المدرسة وهو ينتظر بفارغ الصبر الوقت الموعود ويتحرق شوقاً ولهفة لرؤية السيد الجواد حتى إذا حان الوقت وقصدنا السيد في داره بشارع الخطباء استقبلنا بلهجته المعهودة مؤهلاً ومرحياً وفاضت أريجته وحضرت مراسم الضيافة النجفية والمكارم الهاشمية وكأنه يعرف ذلك الرجل منذ زمن بعيد.

وكان أن حدثني الضيف الكويتي المزور في الطريق بأنه عند قدومه من بغداد بسيارة التاكسي غالبه النعاس وأخذته سنة النوم، وكان إلى جانبه سارق امتدت يده إلى جيبه واختطف محفظة نقوده، وهو الآن في حيرة من أمره وليس معه ما يوصله إلى بلده، وعليه بعض الإلتزامات المالية كدفع أجرة الفندق وتذاكر الطيران وغيرها ولم تبدُ على طبعته شيء من التحايل أو الارتباك وإنما يتكلم بحياء وثقة فاطمئنت نفسي إليه وخاطبته متبرعاً بأي على استعداد لمساعدته وقضاء حاجته فشكرني قائلاً: لا أريد إلا سلامتك وأن تكون لي أخاً في الشدائد والصعاب، والسيد جواد يعرفني حق المعرفة وبينه وحقوق ومجاملات، وكان هذا العام بضيافتنا بمناسبة عاشوراء، وكنت بخدمته وسوف أقترض منه سلفاً لقضاء حاجتي، ولما التقى الرجل

بالأستاذ شبرّ وأخبره بقصته، انفرادي ناحية وقال إني لا أعرف هذا الرجل!! وسوف أعطيه عشرة دنائير فقط غير مأسوف عليها إن ذهبت وإن رجعت، فأخذ صاحبنا العشرة دنائير وخرجنا فقال لي عند خروجنا: كم أنا أسف على عدم تقدير السيد لي بكل حاجتي، وكنت أتصور أنه يقدرني حتى بألف دينار، وعليه فهذا لا يسد من حاجتي شيئاً ولا يكفيني، فتطوعت له بإكمال النقيصة ودفعت له ضعف ما قبضه من السيد المترجم ووعدي التسديد عند حضوري في الكويت قريباً، وكنت يومئذ على جناح سفر وشيك إلى هناك، فاستل مني عشرين ديناراً، وكان لها قيمتها النقدية وقوتها الشرائية يومئذ ثم شيعته إلى محطة السيارات القاصدة إلى بغداد ليواصل طريقه من هناك إلى الكويت وودعته بحفاوة وتكريم على أمل أن نلقاه هناك، وقد زودنا بعنوان مزور قصدها عند سفرنا فلم نجد له أثراً، بل قال لي البعض المتواجدين هناك إن هذا الشخص نصاب!!.

ومر على هذا الحدث ما يقرب من الستين وصاحبنا متسوار عن الأنظار وكلما حانت مواسم الإلتزام والسفر إلى مجالسنا في الكويت فلا نجد لصاحبنا عيناً ولا أثراً على الإطلاق.

وكان السيد المترجم يخاطبني في كل لقاء بإبتسامة ودعابة أين صاحبك؟! هب أنه خدعني فكيف يخدعك؟! وكيف وقعنا في شباك مكره وإحتياله؟ ودخلت ذات يوم إلى أحد مطاعم الكويت برفقة كل من الأستاذ الخطيب الشيخ جعفر الهلالي، والأخ العلامة السيد محمد زكي السويج، وبينما نحن بهم بالدخول إذ التقينا صاحبنا وجهاً لوجه بهم بالخروج من المطعم فهجمت عليه بلا شعور، وانقضضت عليه كالصقر، وأمسكته من يده بقوة متصنعاً الترحيب به والإشتياق لرؤيته ثم قلت إلى أين؟ إرجع معنا لنراك، وسحبته من يده حتى أجلسته

على مائدة المطعم، وقد أصيب بالذعر والدهشة لهول المفاجأة، وكان بين يدي كالأسير يحاول الإفلات بشتى الأساليب، ولكنه أبدى بعض المجاملات الكاذبة في بداية اللقاء، بأنكم ضيوف عندنا وأنا الآن فوجئت بكم فكيف أراكم بعد هذه الساعة؟ وأين مقركم؟ وكم هو رقم هاتفكم؟ وما إلى ذلك من التحايل ومحاولات التملص والإفلات فحسنت الأمر معه بعزمي على السفر فوراً، وقلت انظر إلى حقيبتني في داخل سيارتي أمامك ولا مجال عندي للتأخير إطلاقاً ولا بد لي من السفر في هذه الساعة وأرجوك أن تدفع ما بذمتك لنا الآن دون تأخير أو مماطلة، وطال الحوار الذي تحول إلى جدل عقيم وهو يحاول الهرب بما أوتي من شيطنة وخديعة ولكنني أمسكت به كالمستमित في حقه وأحكمت الطوق عليه واستوليت على مجموعة كبيرة من المفاتيح كانت بحوزته والتي لا يستغني عنها في سيارته ومسكنه وشؤونه الأخرى في النصب والإحتيال، فوقع في قبضتي عنوة، وبذلك عرقلت مسيرته وهربه بسيارته، وجرت مشادة وتوتر بيني وبينه قال على أثرها سوف أبعثك إلى الشرطة ويقصد بذلك تخويفي، فطلبت فوراً من صديقنا السيد السويح أن يمضي بسيارتي مسرعاً لإحضار الشرطة، وفعلاً سرعان ما ذهب كالبرق وأحضر شرطياً، وأخذه مخفوراً إلى الجهات المختصة بعد أن طال لسانه وتمادى في غيّه وطمغيانه، وهناك شرحنا للضابط واقع القضية وإننا لم نحضره له من أجل ثلاثين ديناراً وإننا لنصبه واحتياله وعدم وفاءه، فقال له الضابط بصراحة لماذا تفعل هكذا أيها التيسر؟ إدفع لهم حقهم الآن فوراً وإلا سوف أزجلك نحاساً مندحراً في السجن، فمد يده إلى جيبيه وأخرج المبلغ بعد أن كان يدعي بأننا فاجئناه ولا يحمل معه ما يكفي لسداد دينه وإبراء ذمته فتقاضيت منه الحق المغدور كاملاً غير منقوص

ورجعت إلى النجف الأشرف، والتقيت سيدنا الجواد فبادرني مداعباً
 أين صاحبك؟ قلت له وجدته وألقيت القبض عليه، وانتزعت الحق
 منه، وحدثته بفصول المسرحية المثيرة مع هذا المحتال ثم سلمته
 العشرة دنانير، فضحك بملء فيه لظرافة الحدث واهتز مغتبطاً لكيفية
 انتزاع الحق من المحتال، ثم قال وهذه خمسة أخرى تضاف إلى هذه
 العشرة لتصبح خمسة عشرة ديناراً تخصص لإقامة وليمة تكريمية بهذه
 المناسبة تقام في بيتنا على الأكلة النجفية الشهيرة (طبخ ماش) وهي
 أكلة برع النجفيون في إعدادها وكيفية تحضيرها وإجادة طهيها وإن
 كانت بسيطة بمفرداتها غير أنها لذيذة بطعمها طيبة بنكهتها وهي
 تتألف من الأرز والماش، على أن الأصول والعراقة فيها تقتضي أن
 تكون نسبة الماش ثلاثة أضعاف الأرز، (وأما الأدام فيكون إما دبساً
 أو بصلاً أو لبناً أو فجلاً)، ولكثرة ما ملّ النجفيون هذا الأدام
 وتكراره بسبب ما اتصفت به النجف من القحل في تاريخها القديم
 أطلق على هذا الأدام اسم (مذهب الكلب) فلا يكاد واحد يأتي باسم
 الماش ويقول عشائنا في هذه الليلة ماش إلا ويردف معه اسم مذهب
 الكلب فيقول ماش ومذهب الكلب وهو يعني به واحداً من
 الأربعة^(١) ثم طورت هذه الأكلة وأضيف لها اللحم ضائناً أو دجاجاً
 فأصبحت أكلة رسمية جدية بأن تجتمع عليها الأيدي. ودعى السيد
 إلى بيته مجموعة من الخطباء بهذه المناسبة أتذكر منهم الشيخ محمد علي
 اليزدي والشيخ نعمة الخفاجي والسيد عامر الحلوي، ولما حضرنا تلك
 الحفلة المصغرة فاجتئنا بإعداد قصيدة ظريفة تلاها علينا فقال:

(١) هكذا عرفتهم ٣ / ١٢٠ .

فاندب له العفريت داخل الحسن
منزه عن كل عيب ودرن
أجلته من أن أقيسه بمن
مبسوط أبسط من قاع الصحن

★★★★

شكل كسويتي بأثواب ردن
من الشراء في الكويت بالقنن
فيها تجارة ومال مختزن
لقرضه ترجعه إلى الوطن
كي لا تغرني الثياب والبدن
والقلب قال أعطه ولا تضن
أخا العطاء والوفاء والمن
تاهل والقلب غير مطمئن
من داخل لكن بإسلوب حسن
مثل الذي يستل رغوة اللبن
وأسه لثمل ذاك عمتهن
يطلب صيداً نازحاً عن المدن
وهكذا الهمة في الفتى الخشن
وراح للمحتال يقلب المجن
وعساد والقلب بأمن وأمن
مثل كديش راح مخلوع الرسن

★★★★

أنتم له سور وأمن وجنن
واجتنبوا الطيش فقي الطيش الوهن

إن خانك الدهر وعادك الزمن
تجده عوناً لك في كل المحن
فوزنه بين الشباب مرجحن
تجده في سر لسه وفي علن

★★★★

وذات يوم جاءني مسردن
وراح يطري نفسه وانه
وأنه في شركة معروفة
لكن دعتة حاجة فجائكم
فحدقت عيناى في هندامه
عقلي يقسسول أنه مخادع
أنت أبو الكاظم مفتاح الرجا
أعطيتسه عشر دنانير بلا
ثم استطاع أن ينال ضعفها
فاستل عشرين وولى فرحاً
ثم انجلى أن الفتى مروغ
وفي الكويت وإذا الخصم بدا
فاصطاده الفتى الكمي داخل
عرت كالرئبال يوم جوعه
حتى تقاضى الحق منه كاملاً
وانهزم الخصم وولى فشلاً

★★★★

يا معشر الشباب يا عز الوطن
قوموا بجد وبعزم ثابت

وكانت جلسة رائعة تسودها أجواء المرح والدعابة والمودة، بيد أنها لم تلبث حتى تحولت إلى خوف ورعب وذلك عندما طرقت علينا الباب بعنف من قبل جلاوزة النظام وهم يسألون عن أحد أنجال السيد المترجم زيد وصلاح وحامد ومحمد أمين ولعل الأخير هو المطلوب، فذب الذعر والهلح في نفوسنا، والتجئنا إلى الله بالدعاء والتضرع وقراءة القرآن، وأطال السيد حديثه الساخن معهم على عتبة الباب حتى استطاع إقناعهم، وتمكن من صرفهم عن بيته، وما إن ابتعدوا عن البيت حتى تركنا عشاءنا ووليمة دعوتنا كما هي وتسللنا خائفين وسابقت عجلات سيارتي الريح وإلى جانبي السيد عامر وكنا جارين في حي العلماء، وبت تلك الليلة في بيتي وأنا في أقصى حالات الخوف وتوقع الاقتحام لبيتي من قبل أولئك الأزام، ولا سيما وأنهم سألوا عني على إثر إقامة مراسم عاشوراء في بلدة العزيزية وكان فيها شيء من التحدي يومئذ على إثر مضايقة إقامة الشعائر الحسينية ثم أعقبتها في مجلس جماهيري حاشد لموكب جامع المصلوب في بغداد، وكان موكباً كبيراً غص به جامع الخضراء في النجف الأشرف على سعته، وانقطع الشارع المحيط بالصحن الشريف من كثرة الزوار والوفود والمشاركين في مواكب العزاء في الذكرى السنوية لوفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولاحظت رقابتهم تلاحقني وعيونهم ترصدني حتى تعرفوا على عنواني ومحل إقامتي، والأجواء مكهربة والظروف متوترة على إثر التضييق والتصدي لإقامة الشعائر الحسينية والصراع العنيف بين أزام النظام المستميتين في منع الشعائر والجماهير المستميتة هي الأخرى في إقامتها وتعظيمها بقوة وتحد وملاحقة المؤمنين ومداهمة بيوتهم بشراسة وقسوة، فما إن انبلج عمود الفجر من تلك الليلة المرعبة حتى حزمت حقيتي وشددت رحلي

نحو الكويت، وما إن تحطيت الحدود عن طريق صفوان وولجت الكويت عن طريق العبدلي، حتى كأن الحياة عادت لي من جديد وهأنذا في بلد المنفى والمهجر منذ عشرين عاماً وأستاذي الجواد المأسوف على حرمة التي انتهكها يزرع مجاهداً في ظلمات السجون ويكابذ إرهاب الجلّادين في المعتقلات وهو مجهول الحال لا يعرف له خبر ولا يدري له مصير حتى يومنا هذا وليس لنا إلا أن نرفع أكف الضراعة إلى الله أن ينتقم ممن ظلمه شرّاً انتقام ويقر عيوننا برؤية وجهه والفرج عنه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الأسوة الشبوية:

شَبْرٌ لغةٌ: العظيم، يقال شَبْرٌ فسلاناً تشبيراً فتشبر أي عظمه فتعظم^(١).

واشتهرت أسرة السيد المترجم بهذا اللقب، وتعارف الناس على نطقه بضم الشين وتشديد الباء. وثبت عند الضبط والتحقيق أنه بفتح الشين وتشديد الباء فهو شَبْرٌ وليس شُبراً.

وتحدثت الأخبار والروايات أن شبراً وشبيراً لفظان عبريان هما إسمان لولدي نبي الله هرون عليه السلام وتعريبهما حسن وحسين، وبهذين الإسمين العلمين سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولديه الحسن والحسين عليهما السلام. وهما ليسا من الأسماء المتعارفة عند العرب من قبل.

وجاء في مسند أحمد مرفوعاً قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إني سميت ابني باسم ابني هرون شبر وشبير^(٢).

(١) تاج العروس طبعة الكويت مج ١٢ مادة شبر صفحة ١٢٧ .

(٢) المصدر السابق مادة شبر .

وقد نظم شعراء أهل البيت هذين الإسمين في الأدب العربي فقال بعضهم:

إذا متُ فادفني مجاور حيدر أبا شبرٍ أعني به وشبير
فلست أخاف النار عند جواره ولا أتقي من منكر ونكير

أو كقول الخطيب الشهير السيد علي بن الحسين الهاشمي رحمه الله مؤرخاً عام وفاة والد المترجم له آية الله السيد علي شبر بقوله:
شعبانُ في ثانيه قد فقد الوري علماً إليه بنو العلوم تُشيرُ
ودعا عليٌ قد قضى أرخ له شجراً بكاهُ شبرٌ وشبيرُ

★★★

والأسرة الشبرية ذات الشرف الباذخ والمجد الشامخ تنتمي إلى السلالة الطيبة من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتتصل حلقات نسبها بخاتم الأنبياء وسيد المرسلين عن طريق حفيده سيد الشهداء الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

فسيدنا المترجم هو الجواد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد رضا بن محمد بن محمد بن محسن بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن ناصر الدين بن شمس الدين محمد بن محمد بن نعيم الدين بن رجب بن حسن الملقب بشبر بن الشريف محمد بن أبي حمزة الملقب برطلّة بن العباس بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن الحسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

يقول الشيخ محبوبية في كتاب الأسر العلوية: آل شبر أسرة عراقية قديمة، وهي من أقدم الطوائف العلوية القديمة في العراق وأعرقها في

العروبة وأقدمها في الهجرة.

وتنص بعض المصادر المختصة أن هذه الأسرة نزحت منذ القدم في عصر من عصور الإضطهاد من موطنها الأصلي في الحجاز واستقرت في أصبهان^(١) ثم نزلت العراق قبل أكثر من ثمانية قرون^(٢) واستوطنت الحلة في أواخر الدولة المزيديّة، ومن هنا تشم رائحة العلاقة الأكيدة بينها وبين آل المزيدي إلى اليوم، حيث أصبح العلامة الكبير عميد الأسرة المغفور له السيد علي شبر إماماً في مسجد المزيدي في الكويت، ثم خلفه نجله الحجّة الورع السيد صباح شبر في إقامة مهام الإمامة ومسؤولياتها في المسجد المذكور الشهير بمسجد المزيدي.

مسلسل أعلام الأسرة:

وقد نبغت في هذه الأسرة كوكبة من رجال العلم والفضل والأدب، وبرز فيها الكثير من الأعلام والشخصيات وإليك لائحة موجزة بأبرز الأسماء اللامعة من علمائها وفضلائها:

١ - الفقيه العلم السيد عبد الله شبر من أشهر أساطين الطائفة صاحب المؤلفات والمصنفات والبحوث والدراسات التي أحصي منها سبعون كتاباً بأسائها وموضوعاتها، وأشار بعض الباحثين إلى أنها بلغت الثلاثمائة^(٣) مصنف ومؤلف في مختلف أبعاد المعرفة الإسلامية حتى لقبه معاصروه بالمجلسي الثاني.^(٤)

كل ذلك بالرغم من قصر عمره فقد ولد سنة ١١٨٨ هجرية في

(١) الموسم ١ / ١٧٨ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) المرجاني في خطباء المنبر الجزء الأول الطبعة القديمة ص ١٣٦ .

(٤) الدكتور حامد حفني داوود في مقدمة تفسير شبر .

النجف الأشرف وتوفي في الكاظمية سنة ١٢٤٢ هجرية ودفن فيها إلى جوار جديه الإمامين الهامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام وعمره الشريف أربع وخمسون عاماً.

٢ - الحجّة المجتهد السيد علي شبر - والد المترجم - وهو من جهابذة العلم وأساتذة العلماء صاحب العمل الأبقى في شرح العروة الوثقى في فقه أهل البيت الذي أشار إليه ولده الجواد في تاريخه لوفاته بقوله:

يا أيها السائلُ عن تاريخه مضى وأبقى العملَ الأبقى علي

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٠٣ هجرية، واستقى علومه من منابع العلم ومناهل المعرفة على يد أساطين العلماء وأكابر الفقهاء، فأخذ الفقه والأصول عن الشيخ باقر الجواهري، وتوغل في الحكمة وعلم الكلام على يد السيد مرتضى الطالقاني ثم واصل دراساته العليا وأبحاثه الخارجية عند علمين من أعلام المراجع الدينية العليا هما السيد أبو الحسن الأصفهاني والشيخ محمد حسين النائيني حتى نال وثيقة الاجتهاد والإجازة العلمية وهو في مقتبل العمر.

وعقد في داره في النجف الأشرف حلقات الدروس الدينية التي تسابق الفضلاء والأعلام للإنتهال من علومه والإستفادة من دروسه، وكان بيته مأمراً لرجال الفضل والعلم والأدب حتى انتدبه مرجع الطائفة يومذاك السيد حسين البروجردي ممثلاً دينياً ومندوباً لمرجعته في الكويت، فشد الرحال إليها واستقر بها مكرماً مبجلاً منذ تاريخ الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني من سنة ١٣٧٥ هجرية، أي قبل أكثر من أربعين عاماً حتى وفد على ربه وانتقل إلى رحمة عصر الخميس في آخر يوم من رجب سنة ١٣٩٣ هجرية في المستشفى

الأميري بالكويت وبذلك قضى ثلاث وعشرين عاماً من عمره الشريف بهذا البلد يقوم بدور الإمامة ومسؤولية الإصلاح الاجتماعي. وشيعته الجماهير الغفيرة في الكويت بالأسى والحسرات وكان يومه مشهوداً ونُقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن إلى جوار جده أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أقيمت له محافل التأبين ومجالس الفاتحة وقد شارك فيها العلماء والأدباء والخطباء في النجف والكويت وغيرها.

ومن أبرز الباقيات الصالحات التي خلفها مدرسته الدينية التي أنشأها عام ١٣٨٤ هجرية، وقد افتتحت رسمياً في منتصف شهر شعبان من عام ١٣٨٧ هجرية، وأصدر الأستاذ المترجم كتاباً تحت عنوان: (إفتتاح المدرسة الشبرية) ضمّ فيه مجموعة من الكلمات والقصائد التي ألقى في حفل الإفتتاح بالإضافة إلى الوثائق والصور النادرة للعلماء الأعلام والطلبة الكرام، وكان لي شرف الانتهاء لهذه المدرسة طالباً بذلك العهد.

ومن آثاره عمله الأبقى وهو موسوعة فقهية استدلالية طبعت بأربع مجلدات في ألفي صفحة تقريباً. والسوانح الحيدر آبادية شرع في كتابته في الهند وهو أشبه بالكشكول ضمّنه لقطات رائعة في الفقه واللغة والأدب والتاريخ وله مجموعة خطية أخرى احتوت على كثير من الفوائد والتعاليق النافعة.

وقد خلف كوكبة من العلماء الأعلام والسادة الكرام وهم مفاخر في التقوى والعمل الصالح أكبرهم المرحوم السيد محمد علي الذي غدرت به الأيدي الأثمة في النجف من منطلق العنجهيات القبلية المقيتة فمضى مظلوماً في أواخر الستينات.



والثاني: سيدنا المترجم خطيب الطائفة
ومفخرة التشيع.

والثالث: السيد الحسين النسيب مشال
الشرف والمروءة السيد محمد رضا شبر الذي
حط رحله أخيراً بجوار بطلة كربلاء السيدة
زينب عليها السلام في قرية راوية في دمشق
الشام يدير مؤسسة أهل البيت الخيرية التي
يقيم فيها سوكنب النجف الأشرف شعائره
الحسينية في بلد المهجر ويعقد فيها المجالس الحسينية وتقوم بإطعام
الطعام في كل المناسبات الدينية وذكرات أئمة أهل البيت عليهم
السلام.

والرابع: السيد الشريف محمد هادي وهو من كسبة سوق الخويش
في النجف الأشرف، وهو سيّد جليل يتحلّى بمكارم الأخلاق
والسمعة الطيبة.

والخامس: السيد حسين شبر قال عنه التميمي في حديثه عن
الأسرة الشبرية نشأ نشأة عصامية وكون نفسه بنفسه حتى أصبح
يحسب له حساباً ويتمتع بمكانة وسمعة محمودة مقسونة بالأعمال
المشكورة.

والسادس: العلامة المعاصر السيد صباح شبر وسوف نتحدث عن
ترجمته مستقلاً فيما يلي من مسلسل أعلام الأسرة.

٣- السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد حسين
بن السيد عبدالله شبر. ولد في النجف عام ١٣٠٨ هجرية وتلقى
علومه الدينية عند أفاضل العلماء كالشيخ باقر القاموسي والشيخ

عبدالحسين مبارك والشيخ عبدالحسين الحلبي، ثم تلقى بحوثه الخارجية عند الشيخ آغا ضياء العراقي والميرزا النائيني، والسيد أبوالحسن الأصفهاني.

وكان موضع الثقة والاعتماد عند أكابر المراجع الدينية لدينه وذكائه ونباهته وحسن سيرته، كان رضوان الله عليه يتحمل مشاق السفر الطويل من أجل التبليغ والارشاد، فقد سافر مرتين إلى الهند ليلىم شمل المسلمين ويجمع كلمتهم تحت لواء لا إله إلا الله، وسافر إلى إيران للغاية نفسها، ثم انتدبه المرجع الراحل السيد أبوالحسن الأصفهاني نائبا عنه في خائفين، وكانت يومئذ تضج بالفتن الطائفية، وما ان حل بها حتى استطاع بحنكته وأسلوبه وحسن إدارته أن يقمع تلك الفتن ويحل محلها الاخاء الإسلامي.

توفي في الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هجرية - ١٩٥٨ م وقد أعقب خمسة من السادة الميامين الأجلاء.

١- السيد محمد وسوف تأتي ترجمته.

٢- السيد باقر وهو من التجار الأبرار في النجف الأشرف.

٣- السيد محسن وهو ممن جمع بين التجارة وتحصيل مبادئ العلوم الدينية ويعيش الآن في بلد المهجر سيداً شريفاً غيوراً.

٤- السيد أحمد وكان يعمل في سلك التدريس في مدارس جمعية متدى النشر.

٥- السيد حسن وهو من أفاضل طلبة العلوم الدينية وإن لم يتجلبب بجلبابهم، ويتزى بزيتهم، يعجبك بسرعة بديته وحادثة ذكائه وكمال سيرته، وهو الآن أحد أركان الحركة الإسلامية المعاصرة.

٤- السيد قاسم شبر: هو العلامة الورع السيد قاسم بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد حسين بن السيد عبدالله شبر.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣١٧ هجرية وبعد نشأته في أجواء العلم والتقوى، واصل تحصيله العلمي في الحوزة العلمية حتى نال إجازتين في الرواية: الأولى في الفقيه الكبير الشيخ النائيني، والثانية من المرجع الديني الأعلى السيد أبوالحسن الأصفهاني. ثم أثر الهجرة إلى بلدة النعمانية وخط رحله فيها مرشداً وموجهاً ومرجعاً دينياً، وقد زادته التقوى مهابة في النفوس ومحبة في القلوب وامتاز بالتواضع والخلق الكريم مما جعل الجماهير المؤمنة تلتف من حوله بكل تقدير واحترام، وقد التقيته مراراً بحرم سيد الشهداء أو بحضرة أمير المؤمنين عليهما السلام عندما كان يشد الرحال لزيارة المراقد المطهرة، فكنت أشرف بلقاءه والسلام عليه بحكم صداقتي مع حفيده المهذب الفاضل السيد مؤيد بن السيد محمد رضا شبر بالإضافة إلى حفيديه الآخرين السيد جواد والسيد عادل وكلاهما من طلبة العلوم الدينية وبالزبي الروحاني وأتذكر أنها كانا متلازمين في النجف في قيامهما وقعودهما حتى حلت نكبة الحوزة وتعسف المتسلطين، أودع أحدهما السجن وهو السيد العادل وفرّ الآخر إلى الكويت ومنها إلى قم وهو الآن من أفاضل الطلبة في الحوزة العلمية.

- استشهد صبراً في سجون الإرهاب البعثي ليلة النصف من شعبان سنة ١٣٩٩ هجرية بعد أن أصدرت عليه محكمة صورية كاذبة حكم الإعدام لصلابته وعدم مساومته على مبادئه وقد قارب التسعين عاماً، فرضوان الله عليه يوم وفد على أجداده مظلوماً صابراً محتسباً.

٥ - السيد جعفر شبر: هو العلامة الجليل السيد جعفر بن السيد

محمد بن السيد علي بن السيد حسين بن السيد عبد الله شبر.

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣١٧ هجرية وبها نشأ، ثم تلقى علومه الدينية على أيدي أفاضل الأساتذة أمثال الشيخ عبد الكريم مغنية، والسيد محمد سعيد العاملي، والشيخ محمد علي الخراساني الكاظمي، والشيخ عبد الحسين المبارك، والسيد علي مدد، والشيخ جواد البلاغي، وأخيراً حضر البحوث الخارجية عند السيد محسن الحكيم قدس سره.

وتصدى لمهام التوجيه والإرشاد الديني وإمامة الجماعة في الكرادة الشرقية ببغداد.

٦ - السيد عباس شبر: هو العالم النحرير والأديب الشهير السيد عباس بن السيد محمد بن السيد جعفر بن السيد عبد الله شبر من كبار فضلاء الأسرة، ومن ألمع شعراء العراق، وكم سمعت ثناء عاطراً واعتزازاً باهراً على لسان سيدنا المترجم وهو يروي (صوراً وجواهرها) من أشعاره وشواهد، يعلق ببالي الآن منها:

دقاتُ هذا القلب معدودةٌ فاغنم بها حظك من دهرك
موقتٌ عمركُ في ساعةٍ علقها ربك في صدرك
ومنها:

قال في الخلاق في رأ سك للشيب شراره
قلستُ دعها تتلألاً فهي مقياس الحرارة

وقد تصدى الأستاذ شبر لنشر (الجواهر والصور) وكتب له تصديراً رائعاً، وكذلك نشر (الموشور) وقدم لها الأستاذ جعفر الخليلي مقدمتين رائعتين، وسيأتي الحديث والإشارة إليهما فيما بعد. واشتهر السيد عباس بأنه سيدٌ شريفٌ كريم الطبع جم التواضع وقف نفسه للمبادرات الطيبة وقضاء حوائج الناس دون كلل أو ملل.

تولى منصب القضاء في البصرة بكفاءة ومسؤولية، وكان بيته في البصرة منتدى ثقافياً وأديباً وعلمياً يرتاده أفاضل العلماء وطلّاع الأدباء ومفاخر الشعراء ووجهاء المجتمع.

وليس من الوفاء أن أتخطى ترجمة السيد عباس دون الإشارة والثناء على نجله الشهيد السعيد صديقنا المرحوم السيد عصام شبر الذي كان زميلنا في المدرسة الشبرية حيث الجد والإلتزام والورع والسيرة الفاضلة والتحلي بمكارم الأخلاق.

وكان رضوان الله عليه موضع الثقة والإعتماد لدى السيد الجواد المترجم فيما يتعلق بشؤون المدرسة وإدارتها، كان رحمه الله مثلاً في الخلق والتهديب والطيبة والبراءة والعمل الصالح حتى غدرت به يد البغي وهو في ريعان الشباب، واغتالته زمرة الإجرام البعثي وهو في مقتبل العمر، فالتحق بركب الشهداء الأبرار في حدود سنة ١٩٨٤^(١) ووفد على ربه آمناً مطمئناً.

ولا يفوتنا أيضاً ذكر ولده السيد نعيم الشاب الورع والذي أقام في الشعبيه إماماً للجماعة ومبلغاً دينياً، بعد وفاة عمه عبدالصاحب شبر الذي كان اماماً دينياً بتلك المنطقة ولم نعرف الآن عن ترجمته شيئاً علمت ذلك عن الأستاذ الشيخ جعفر الهلالي، وكانت ولادة النعيم عام ١٣٤٨ هجرية في الثالث من شهر شعبان وقد توفي إثر مرض عضال فرثاه والده بقصيدة عينية رائعة قال في مطلعها:

رثاؤك أم قلبٌ يدوبٌ وأدمعُ	وأنشودةٌ أم مهجةٌ تتقطعُ
قوافٍ وما بنتُ الهديل بنوحها	تؤدي معانيها عشيةً تسجعُ
ستبقى على مرّ الليالي ثواكلاً	تجاوبها الأجيالُ والدهرُ يسمعُ
ففي كل بيتٍ ماتم ليس ينتهي	وفي كل مصراعٍ دموعٌ ومصراعُ

(١) العلماء الشهداء / ٤٠.

وهي سبع وسبعون بيتاً كلها جمر وحرقة وأسى ولوعة لأب تاكل
مفجوع^(٢).

٧ - السيد محمد شبر - النجل الأكبر للعلامة الجليل السيد إبراهيم الشخصية الثالثة في أعلام الأسرة المترجمين - عالم فاضل وأديب كامل ولد في النجف سنة ١٣٣٠ هجرية وتلقى علومه الدينية على يد أبيه، ثم أخذ عن الحجة السيد صادق آل ياسين، والحجة السيد عبد الرزاق المقرّم المؤرخ والباحث المعروف، والحجة السيد حمود الحلبي، ثم انتقل إلى سامراء وأقام بها زهاء السنتين، وحضر الأبحاث الخارجية في الفقه والأصول عند الميرزا محمود الشيرازي، ثم رجع إلى النجف ومنها هاجر إلى كربلاء، وهناك حضر دروس الخارج عند السيد حسين القمي، والميرزا مهدي الشيرازي، والشيخ محمد الخطيب في الفقه، وحضر دروس السيد محمد مهدي الميلاني في الأصول.

وفي سنة ١٣٦٨ هجرية انتدبه المرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم قدس سره نائباً وممثلاً عنه في بلدة الدغارة لما يمتلك من شخصية مؤثرة تتحلّى بالنجابة والعفة والورع. وقد حصل لي شرف التعرف على هذا السيد الجليل في مسجد الكوفة في ليلة من ليالي الاعتكاف بشهر رجب، وكنت بصحبة صديقه الحميم الشيخ محسن الشيخ حسن آل كريم البزوني الحضري، وكانت ليلة من أمتع الليالي الروحية العابقة بنفحات الإيمان والقداسة والتقوى ولا زال هذا السيد الجليل يقوم بدوره الديني وواجبه الشرعي في بلدة خانقين، وعلمت أن علماً من أعلام الأسرة وهو ولده الجليل العلامة الفاضل السيد عبد الكريم شبر له مكانة مرموقة بين الفضلاء في حوزة قم المقدسة كما أخبرني بذلك سماحة الأخ السيد صباح شبر.

(١) القصيدة بكاملها في ديوان المشور ص ١١٧ .

وأذكر أن أحد أنجاله الكرام كان يسكن في مدرسة القزويني بطرف العمارة وعلى ما اصطُح عليه نجفياً (بالطمة) وكان هذا الشبل سيداً صبيح الوجه جذبي القسماث دمث الأخلاق عالي الهمة، تعرب لك طلعتة البهية عن نجابة وأصالة توارثوها كابراً عن كابر ومجد وشرف تجسد فيهم عن أجدادهم الأكاير.



٨ - ومن الأعلام المعاصرين الحجة الورع مفخرة أهل البيت السيد صباح الذي مرت الإشارة لساحته ضمن أنجال السيد علي شبر فهو الأخ الأصغر غير الشقيق للسيد المترجم ولد في بغداد سنة ١٩٥٣م، وانتقل مع أبيه وأسرتة إلى الكويت، وله من العمر ستان، فشبّ ونشأ وتعلّم على أرض الكويت منذ ذلك العهد.

نشأ في كنف أبيه نشأة صالحة على البر والتقوى، وكان منذ صباه الباكر متضلّعاً بالشؤون الدينية والاجتماعية، وكان موضع الإعتماد والثقة في الكثير من الأعمال والمسؤوليات وهو لما يزل في منتصف العقد الثاني من حياته.

وتتمثل الآن في خاطري صورة عندما قصدت الكويت للمرة الأولى سنة ١٩٦٩م، برفقة سيدنا المترجم حظيت بشرف الزيارة للمغفور له والده السيد علي شبر في داره القديمة بمنطقة الشرق، قرب الجامع المزيدي القديم وكان السيد صباح يومئذ لم يخطّ عارضاه ولم يعتمر العمة بعد، فصاح المرحوم السيد بأعلى صوته بإسم نجله صباح فجاءه مهرولاً بسرعة فسرّه بحديث، لم يلبث على إثره حتى استخرج سجّلاً ودوّن فيه اسمي ثم ناولني مبلغاً من المال باسم السيد أبيه صلة وتبركاً، فغلبني الحياء الشديد، ونضح جيبي عرقاً من

شدة الخجل والإحراج لا سيما وأني مضيت مع الأستاذ شبر خطيباً
باتفاق محدد ولم أعتد ولم أتوقع مساعدة مالية من أحد، فلطّف
الأستاذ الجواد أجواء الموقف، وأصرّ عليّ بقبول ذلك من السيد أبيه،
فقبلته تأدباً وامتنالاً، وكان هو الأول والأخير طيلة أكثر من ربع قرن
من الزمن وإلى يومنا هذا.

فالسيد أبو علي كان الساعد الأيمن للمرحوم والده، ومعمد
أسراره، وموضع ثقته، وهو أهل ومحل وجدير بهذه الثقة والاعتماد، لما
يتحلى به من تربية وشرف وعفة وتدين حقيقي.

أما دراسته فهو من أبرز الأمثلة على أن العلم كله في العالم كله،
فليس العلم حكراً على منطقة معينة أو حصراً على حوزة دينية
معروفة، فكم من إنسان قضى شطراً طويلاً من عمره في قلب
الحوزات العلمية الشهيرة ثم تخرج منها أمياً جاهلاً لا صلة له بالعلم
والمعرفة لا من قريب ولا بعيد، بينما من يجد في تحصيل العلم فلا
تحول الحواجز الجغرافية أو المؤسسات المألوفة دون اكتساب العلوم
وتحصيل المعارف وفي هذا الصدد نرى السيد صباح لم يتسبب إلى
الحوزات الشهيرة في العالم الشيعي سواء في النجف أم في قم أو
غيرها، بل تلقى علومه على أيدي أفاضل الأساتذة من العلماء الأعلام
المقيمين في الكويت، ثم واصل جهوده بدراسة ذاتية حتى أصبح طوداً
شامخاً في العلم والتحصيل فلعمري أنه برغم حداثة سنه دقيق
الملاحظة متوقد الذكاء كثير الحفظ حاضر الجواب، يستحضر المسألة
مباشرة بأحكامها ورواياتها واستدلالاتها.

أضف إلى ذلك ورعه المفرط في القضايا المالية فهو لا يتدخل في
ذلك لا سلباً ولا إيجاباً ولا قابضاً ولا مقبوضاً فهو شديد الاحتياط
في أمور دينه، ولا تأخذه في الحق لومة لائم. ثم عرفته كثير الأوراد

والمستحبات، جميل السجايا والصفات، يجب إطعام الطعام وإكرام الضيف وصلة الأرحام وتفقد الإخوان والمعارف، له مكانة مرموقة في المجتمع وهيبة وإجلالاً في النفوس، يعجبك سمته ووقاره وشخصيته المهذبة ومنطقه الدافئ ومكارم أخلاقه وشرف نفسه وطيب محضره.

انتقلت إليه الإمامة بعد أبيه في مسجد المزيدي في قلب العاصمة الكويتية، ولما يزل يؤدي دوره ومسؤوليته إماماً وموجهاً، يعقد حلقات العلم في الفقه والحديث والأخلاق وغيرها بعد صلاة المغرب والعشاء من كل ليلة، فيتخلق حوله جمع من المؤمنين ينتهلون من نير علومه، ويستفيدون من توجيهاته وتعاليمه، فإذا حلّ يوم الجمعة رقى المنبر خطيباً بجموع المصلين فترى المسجد غاصاً بحشود المؤمنين وقد سكنت الأنفاس وهذأت الأجراس، فلا ترى إلا عيوناً شاخصة، وآذاناً صاغية، وهو يتسلل إلى أعماق القلوب بمواعظه ومحاضراته ومسائله وتوجيهاته.

وإمامته ونشأته:

في النجف الأشرف وفي الثالث عشر من شهر جمادى الآخر من السنة الثانية والثلاثين بعد الألف والثلاثمائة للهجرة ولد خطيبنا المترجم في أحضان أسرة علمية ليكون خطيبها المقوّه ولسانها المعبر إذ ليس في الأسرة خطيب سواه فهو الدرّة اليّيمة والمفخرة العظيمة حتى اختط ولده الأمين نهجه وسلك طريقته في خدمة سيد الشهداء عليه السلام.

ولج الأستاذ المترجم ساحة الحياة من أوسع أبواب العلم، وافتتح مسيرته في ظل أبيه وريث المجد، ونشأ تحت رعايته، وتربى بعزّه وتوجيهه، فشب على الورع والتقوى، وترعرع على العلم والمعرفة



السيد المترجم مع العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين



السيد المترجم مع الأديب الكبير جعفر الخليلي

مقتبساً من سيرة أبيه نور الهدى والصلاح، واغترف من علومه، وانتهل من معارفه، ثم توغل في تحصيله العلمي على نخبة من أكفأ الأساتذة وأمهر المدرسين الأفاضل في حوزة النجف الأشرف. وإلى جانب دراسته التقليدية، انتسب لمدارس متتدى النشر الحديثة واجتازها بتفوق حتى أصبح من مدرسيها الأمثال وأساتذتها الأفاضل، ثم شغل سكرتارية المجمع الثقافي للمنتدى المذكور. وبعد أن جمع بين الثقافتين التقليدية والعصرية اتجه بكل طاقاته الخلاقه وقدراته المتفوقة إلى خدمة المنبر الحسيني الشريف، وكانت تراوده هذه الرغبة الملحة منذ سنه المبكر، حتى حقق طموحه، ونبغ في تخصصه، واحتل موقع الصدارة في الطراز المتميز من خطباء المنبر الحسيني.

خطابته:

تعتمد شخصية الخطيب الحسيني المتفوقة ثلاثة مصادر أساسية في بلورة الملكة الخطابية ومقومات نجاحها وعناصر تأثيرها في الجماهير:

١ - الموهبة والإستعداد الفطري: ويعتبر هذا المصدر القاعدة الصلبة لانطلاقة الخطيب وممارسة فن الخطابة.

٢ - الكفاءة العلمية والثقافية حيث أن الموهبة الفطرية مثلها كمثل الأرض الخصبة التي تحتاج إلى رعاية واهتمام لتعطي الناتج الجيد، وكذلك المواهب الإنسانية تحتاج إلى صقل وتنمية وشهذيب لتنمو وتنطلق وتبدع، وذلك باعتماد المنطق العلمي والثقافي أساساً متيناً وتوأمهما شقيقاً للإستعداد الفطري.

٣ - التزود برصيد كبير من الشعر والأدب العربي عموماً على أن يكون لأدب اللف حصه الأسد في ذلك الرصيد، حيث أن الشعر

والأدب الحسيني يمثل المادة الخام والثروة الأدبية الكبرى التي يتحقق معها تكامل الخطيب.

وتظافرت هذه الروافد والقنوات الثلاثة فشكلت شخصية أستاذنا الجواد الخطابية، فهو الخطيب الموهوب، والعالم المثقف، والشاعر الأديب، جمع بين الشعر والخطابة والتأليف والكتابة إلا أن سمته المميزة أنه خطيب بالفطرة، وكأنها يد المقادير صهرته في بوتقة وسكبته في قالب أعد خصيصاً لخطابة المنبر الحسيني فهو ببزته وقيافته وهيئته وملامح شخصيته لا بد أن يكون ركناً هاماً في تاريخ المنبر الحسيني الشريف.



أما أستاذه الأول في هذا الفن المقدس فهو الخطيب المغفور له الشيخ محمد حسين الفيخراي الحسيني، وأصبح مفخرة الأعواد التي إذا اعتلاها أدهش حتى أساطين الفن وجهابذة الخطباء واشتهر بأنه خطيب المناسبات، وطالما سمعته يحث تلامذته بإصرار وتأكيد على وجوب تنوع معارف الخطيب الحسيني واستعداده الكامل لتوقع المناسبات المفاجئة، بأن يكون جاهزاً للحديث في مواجهة أي ظرف طارئ يقتضي الارتجال والتحدث، فقد كان يركز هذه الفكرة، ويؤكد علينا هذا الطرح وخصوصاً في المدرسة الشبرية عندما يقام احتفال لأحد طلابها عند تنويجه بزي أهل العلم، واعتباره العمدة الروحانية وكان يراه الآن وهو يخاطب الطلبة الحضور بلهجته المعهودة في إحدى تلكم الحفلات وهو يردد أبيات الشيبلي:

أرؤكم لا السيوف البيض قام بها لله في الأرض تكبيراً وتهليلاً
 أرست منار الهدى في كل مملكة هذه العيائم لا تلك الأكاليل
 وطالما كان يردد العمامة تيجان العرب، والعممة لباس الأئمة،
 ويدعو إلى صيانتها واحترامها والالتزام بمقتضى حرمتها وقدسيتها.

ومن خصائص الأستاذ الجواد كثرة استظهاره للشواهد الشعرية فلا
 تكاد تمر مناسبة، أو تحدّثه بحديث أو حكاية، إلا واستشهد لك
 بروائع الأشعار، وغرر المقاطع.

ولعمري فإن من أمتع اللحظات وأسعدها تلك التي نجلس فيها
 إليه ونستمع حديثه الشيق، وهو يتقل بنا من بستان وارف إلى حديقة
 غناء من ملححه وأدبه ونثره، وما يعلق ببالي الآن من تلك الجلسات
 قوله في عبدالسلام عارف عندما احترقت طائرته في الجو بمن فيها
 قال:

رأيت كيف اضطرعا	عبدالسلام والقدر
هبت به عاصفة	منقذ منها الشرر
وكسرت طائرة	كما تكور الأكر
ومذ قضى أرخته:	لقد مضى إلى سقر

ثم أتذكر له بيتين ساخرين في وفاة أم كلثوم المغنية الشهيرة قال
 مداعباً:

مغنية الشرق لما قضت	تعالى الهتاف وعم الصخب
نعتها الإذاعة تبكي لها	فأرخ: ومات الغنا والطرب

وسمعت منه البيتين التاليين:

ربّ عجوز سرقت مخيطي ثمّ انحتت تسحب أذيالها
فليت شعري ما أرادت به؟ لعلّها خاطت به مالهـا.

ولعل من أروع الشواهد على سرعة استحضاره الأدبي حسب ما تقتضي المناسبة أن مهرجاناً حافلاً كبيراً كان يعقد في بيروت بمناسبة شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في شهر رمضان تشارك فيه مختلف الشخصيات الإسلامية والمسيحية ورجال الفكر والأدب والسياسة، ويحضره بعض النواب والوزراء وتخصص الحكومة اللبنانية ساعتين لبث وقائع ومواد الإحتفال عبر وسائل الاعلام في الاذاعة والتلفزيون، وصادف أن دعي السيد المترجم بذلك العام لإحياء موسم شهر رمضان في بيروت فوجهت له الدعوة للمشاركة بذلك المهرجان، وتوالت فقرات الحفل التي اشترك فيها مشاهير الشخصيات كالشاعر القروي رشيد سليم الخوري والإمام السيد موسى الصدر وغيرهما، وكان يدير عرافة الحفل خطيب مفوه ومثقف لبق تقدم بعد انتهاء فقرة الإمام الصدر إلى المنصة وأعلن الدور لخطيب العراق على حد تعبيره.

يقول الأستاذ المترجم فبقيت متفكراً ما عساني أن أتحدث بعد هؤلاء الأدباء والخطباء والكلمة الرائعة للإمام الصدر التي شدت الأسماع، وخلبت الألباب، وقد طال على الحضور وقت الإحتفال وربما تسرب شيء من الملل أو التعب لبعض الحاضرين، فوقفتُ على منصة الخطابة وقلت:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحرُ والساحرُ

فلا أشعر إلا وتصفيقاً حاداً من الجمهور، وكان مفعول هذا البيت ووقعه في النفوس بليغاً وساحراً، وأعاد لذلك الحشد حيويته ونشاطه

واستعد مرة أخرى لأن يواصل الاستماع بطاقة جديدة أضفتها
شخصية الخطيب شبر وكان الحفل قد بدأ تَوَّاً لمادته الأولى، فشرع
السيد يأخذ فقرات من كلمة السيد موسى ويعلق عليها وما ذلك إلا
دليل على مقدرته الخطابية المتفوقة وقدراته وإمكانياته الكبيرة، إلى غير
ذلك الكثير الكثير من الشواهد فلقد كان موسوعة أدبية ناطقة
ومائدته شهية متنوعة الألوان متعددة الثمار، سواءً في مجلسياته أم على
منابره فهو المنهل العذب والمنبع الثر الذي يفيض أدباً وعلماً وعطاءً.

وإذا كنا نؤمن بالإختصاص فلا بد من القول أن سيدنا المترجم
كان متخصصاً بمجالس الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها
السلام، حيث تبدأ مجالسه أيام الفاطمية في النجف الأشرف منذ
الساعات الأولى لطلوع الفجر في بيت المرحوم الفقيه المقدس السيد
حسن الخرسان ثم تستمر حتى ساعات متأخرة من الليل، وإن أنسى
لا أنسى مجلس العالم الورع السيد نصر الله المستنبت في طرف البراق
خلف المدرسة الشبرية الذي كان يغص بكبار مراجع الدين وحشود
أهل البيت وسائر المؤمنين، فترى الناس تبحث لها عن مكان حتى
ولو على الشرفات والسلام المؤدية إلى الطابق الثاني المليء هو الآخر
بجمهرة المستمعين بالإضافة إلى السرايق والزقاق المؤدية إلى المآتم
المنعقد بإسم الزهراء عليها السلام فإذا ما ارتقى الجواد صهوة
الخطابة، واعتلى منبر البراعة رأيت الكل آذاناً صاغية، وعيوناً
شاخصة، وقلوباً مفعمة بالحب والولاء، سرعان ما تتفجر أنهاراً من
الدموع الغزيرة لما جرى على سيدة النساء من خطب فادح ومصاب
جلل.

ثم لا أنساه وهو يقود موكب طلبة العلوم الدينية العزائي، وهو

ينطلق من جامعة النجف الأشرف في حي السعد بمناسبة تشييع جثمان فقيه العلم والولاء الشيخ عبد الحسين الأميني رضوان الله عليه وكانت وفاته قبل مرور أربعين يوماً على وفاة المرجع الأكبر السيد محسن الحكيم قدس سره سنة ١٩٧٠م. فكان الخطيب شبر يردد أهازيج الحزينة ويلقن الطلاب ترديدها بالحزن والأسى قائلاً:

فجعتنا نوبُ الدهر فسالت كلُّ عينٍ
أعلى المحسن نبكي أم على عبد الحسين
يا مصاباً طبق الكون وأشجى الخافقين
قمر غاب وغاب الـ يوم ثاني القمرين

ثم يقف في الصحن الحيدري الشريف مرتجلاً تأبين المدافع عن حق أمير المؤمنين وظلامته بخطبة أدهشت الحضور، ولا أنساه بوفاة شيخ الباحثين آغا برزك الطهراني يرتجل خطبة أخرى مشيداً بمكانته وصادعاً بفضلته وكان في رحيل هذه الشخصيات يطوف بنفسه على الأسواق والمحلات التجارية في النجف وتبثأثر شخصيته وأسلوب بيانه يطلب منهم تعطيل الأسواق وتجميد الأعمال والمشاركة في تشييع هؤلاء العظماء.

ومن خصاله وميزاته أنه كان بغاية التواضع في الخدمة الحسينية فهو لا يرد أحداً يدعوه ولو كان متواضعاً في حاله ومحلّه، فقد يدعى إلى مناطق نائية وعرة الطريق صعبة الوصول، ومع ذلك يتجشم العناء ويصل ويرقى المنبر ويؤدي خدمته، فقد دعاه ذات مرة أحد الحمالين البسطاء في النجف للقراءة في بيته المتواضع بمناسبة شرائه، فسأله السيد عن موقع بيته، فقال في منطقة الجدول وهي من المناطق المنهكة

الوصول فقد استأجر السيد عربة تجرها الخيول كما هو المألوف هناك، وصحبه ولده السيد أمين والدليل صاحب المجلس. يقول ولده الأمين حتى وصلنا إلى أعماق الجدول وانقطع الطريق على العربة وضاق فلا يتسع لمرورها فترجلنا ومشينا على الأقدام مسافة طويلة حتى وصلنا إلى بيت الرجل، وهناك رقى السيد المنبر وبارك البيت وأهله بكل فرح وسرور ولم يبدو عليه أي تدمر برغم التعب والوعاء، ثم عاد بعد فراغه معتزلاً بخدمة الحسين وإدخال السرور على قلب ذلك الإنسان المتواضع، وهو الخطيب الذي يصقع الأسعاع ويدهش العقول بمجالسه الجماهيرية الحاشدة في بغداد والبصرة والنجف والدجيل والخليج ولبنان وغيرها من البلاد الإسلامية.

ومن معتقداته الحسينية أن أظهر الأموال وأنقاها وأبعدها عن الشبهة تلك التي تصله عن طريق خدماته الحسينية، فقد كان لا يطعم أولاده وعائلته إلا منها معرضاً عن موارد الأخرى كإيجارات البيوت التي كان يمتلكها.

يقول ولده السيد الأمين: كنت أصحب والدي إلى السوق لتتبع بعض احتياجاتنا اليومية فأراه يخرج كيساً خاصاً يدفع منه أموال اللوازم البيتية، فسألته أبه ما هذا الكيس؟ فقال ولدي: هذه أموال خالصة من الحسين أنا أطعمكم منها ليكون منبتكم ودمكم ولحمكم من المال الحلال بلا أدنى شك أو شبهة لأنني لم أشرط على أحد عوضاً ولم أساوم أو أماكس على تقديم خدمتي وإنما هم يدفعون لي عن طيب نفس وهم راضون مرضيون.

ولئن قيل في السيد صالح الحلي بأنه خطيب العلماء وعالم الخطباء فالسيد الجواد معتمد العلماء ومفخرة الخطباء وقطب من أقطاب

الجواد والميدان الشعري:

أشرنا فيما مضى من تراجم بعض الأعلام إلى أن الخطابة والشعر توأمان أو هما كفرسي رهان، قلما نجد خطيباً لا ينظم الشعر، نظراً لما يمتلك من ثروة شعرية تقتضيها ظروف العمل والتبليغ ومهمة المنبر، فكيف إذا كان الخطيب يمتلك الموهبة الشعرية والاستعداد الفطري لممارسة هذه الصناعة لا بد إذاً أن يتفوق ويخلق في هذا المضمار، وهكذا كان جواد الأدب والمنبر وإليك نماذج من أشعاره وغرراً من قصائده التي عثرنا عليها، والتي لو استقصينا وتبعنا بدقة ولو هيء لنا الإطلاع على كل ما نشره في الصحف والمجلات القديمة، كمجلة الإيوان ومجلة النجف ومجلة العرفان اللبنانية وجريدة الهاتف وغيرها لكان ذلك ديواناً رائعاً من أجود الأشعار وفي مختلف المناسبات وعسى الله أن يقيض من يتصدى لهذه الخدمة الأدبية المشكورة فيلم الشتات ويجمع شمل هذه الدرر المتناثرة هنا وهناك، وهذه باقة فواحة من حديقته الغناء.

١ - قصيدة عصماء في ذكرى مولد سيد الشهداء عليه السلام:

وسمت بفضل سموه الأفكارُ	باسم الحسين حلت لنا الأشعارُ
فرحاً كما تفتتح الأزهارُ	وتنبهت أمالنا وتفتحتُ
بالمبهجات وأشرقت أنوارُ	وتبسمت دنيا السرور مليئةً
لجمال طلعة وجهه الأنظارُ	وتباشرت حور الجنان وهلتُ
والحفلُ يعبقُ نشره المعطارُ	هذه الثغور يحفها استبشارُ
أضحت له تبشائر الأحرار	لما أبو الأحرار أشرق نورهُ

طافَ الهناءُ يُديرُ كأسَ مديحه
 إسمَ الحسينِ وما ألدَّ حروقهُ
 ذكرى إبانك عزةً وفخارُ
 إما روى الراوون بعضَ فصوله
 وتيقنوا أنَّ الحسينَ ونهجه
 علمتنا معنى الحياة بموقف
 وأريتنا أنَّ المماتَ سعادةُ
 خلدتَ يعرباً مذ عقدتَ لها مها
 وكسوتها حلالَ الخلودِ وإنها
 إنَّ مرَّ ذكرٍ للحسينِ تمثل الـ
 وإذا ذكرتَ يزيدَ تبصر كومة
 الحق اشعاع يلج ضياؤه
 فبكل قلب نبرة أشعوره
 أكنا يدوم الحق في أبطاله
 هذا الحسينَ ضريحه نوارُ
 فبكل نفس روعسة لجلاله
 تسمو على فلك السماء قبابه
 وتحطُّ تيجانُ الملوك بيبابه
 تنهار أعماق القرون وذكوره
 يا زمرة الجيل الحديث تيقظوا
 هدف الحسين عليه نبي محمدنا
 الدورُ دوركم خلدوا بنصبيكم

وتعللت بحديثه السَّار
 فكأنه الشهدُ الحلالُ يدارُ
 درس به تتحدث الأعصارُ
 راحت فلاسفةُ الزمان تحارُ
 لا جور يحكمه ولا استعمار
 فيه تمثل عزمك الجبارُ
 ولدى المهانة ترخص الأعمار
 تاجاً عليه من علاك وقسار
 لا العصر يليها ولا الأدهار
 إعظام والإجلال والإكبار
 من فسقه يطفو عليه العار
 عبر القسرون ونوره سيار
 وبكل نفس رنة وشعارُ
 أكسدا تخلدُ آله الأبطالُ
 عكفت بعتبسة بابه الزوارُ
 وبكل قلب مرقند ومزارُ
 ويشعُّ للقصد منه منارُ
 ولها ملاذ في الخسى وجوارُ
 باق فلا يبلى ولا ينهارُ
 لمصيركم خلق الزمان مهارُ
 وبضوء نهضته لنا استبصارُ
 من قبل أن تنصرم الأعمارُ

يا محفل الذكرى لسيد البشر
 فإنها المولود فيك أحد
 أذع فهذا المنقذ الأكبر والـ
 شع على العالم نوره فذا
 لقد سما بالعرب حتى أذعنت
 وطأطأت تواضعاً لعزه
 بجنبك «الإيوان» فأحفه الخبر
 قف وانظر الشق بجنبه غدا
 سله ومسائل شرفاته ففي
 لأي أمر حل تنشق ومن
 ونار فارس خبت ألم تكن
 سمعاً أبا العرب وتاجها الذي
 وزجها نحو الخلود عاقداً
 وانتشل العالم من تدهور
 وباعثاً دستور حق يكف لك
 لأنت نعم الحظ قد كنت لها
 يا صاحب النور أضعنا مبدءاً
 تناوحتنا - طغمة - أجلها -
 يضيمنني أن يدي تعافني
 ما كنت بالمأسوف لو أن أخي
 ولا المضمام لو تماسكت إذا
 يا وتر الساسة كم تطربهم

أذع فتاريخك تاريخ أغر
 من حرر العقل وأطلق الفكر
 مشرع الأعظم والأب الأبر-
 التمدين من لثلاء عقله ازدهر
 ممالك الأرض لهم بحرأ وبر
 جهاه قيصر وكسرى والخزر
 حقاً ترى عند «جهينة» الخبر
 آية إعجاز على مرّ العصر
 صموته تقراً أفصح العبر
 قلص ذلك النعيم والبطر
 مذ ألف عام قد تقادحت شرر
 كيون منهم أمة ذات خطر
 لها لواء رف فوقه الظفر
 يؤله اللات ويعبد الحجر
 سعادة الكبرى بآيات غرور
 لكننا بشس العشير والنفسر
 يمشي مع العقل سموأ وكبر
 لو قلت أنها حثالة البشر
 وأن غيري ناك في يدي الوطر
 يدري إلى أين وأين المستقر
 ما قيل لي أن أخاك قد عثر
 أجل وضرب العود يقطع الوتر

يا محفل الذكرى أبن لمن وعما
علمهم الغاية من تذكاره
أكان يعلي قسدره وشأنه
بموجة التصفيق يسمو شأوه
ذي روح أحمد وقد رفت على
تري أضعنا الروح من أعمالنا
يا خباط السير تبصر حسناً
الفخر أن يقال شق للعلی
وطالباً إصلاحنا كفى بأن
هذي تجارب الحياة قد قضت

مقام طه في الحديث والسور
وسر هاتيك الرموز والدرر
بعد ثناء الله شعر من شعر
وبالوفسود زمراً إثر زمر
حفلكم تطلب جواهر الأثر
وأنا قد اجتزيننا بالصور
سيرك معوج فكرر البصر
طريقه ما الفخر عاث أو سكر
نأمن منك الإعتداء والضرر
أن نكتفي لا نبتغي خيراً وشر

٣ - وله غديرية ألقاها في محفل منتدى النشر عام ١٣٦٣ هجرية

لمن الحفل رائعاً يتلالا
ولمن هذه الروائع تتلى
قيل قد توج الوصي وهذي
وانتشقنا طيب الولاية منه
واهتدينا بنوره منذ تجلى
وعلى مشرع (الغدير) احتسبنا
وجدير هذا الشعور ييسوم
رنة الوحي في المسامع دوت
بلغ الناس مسسا أتاك وإلا
إنما أنت منذر وعلي
في فلاة تكناد تلهب ناراً
وإذا بالرسول يلقي عصي السير

يزدهي منظراً ويسزهو جمالا
والأناشيد باسم من تتولى
بهجة التاج زانت الاحتفالا
وسعدنا بنعمة الله حالاً
بسماء الدين الخفيف هللاً
في كؤوس الولا نسيراً زلالاً
فيه دين الإله تم كمالاً
تملى النفس هيبة وجلالاً
لم تبلغ وحي الإله تعالياً
هو هاد يسير الضلالاً
ولظى حرها يذيب الرمالاً
وتلك الجموع تلقى الرحالاً

وتعالى الهتاف منه أجيبوا
كسيول جاشت وراء سيول
زمر قد تحاشدت حول طه
غصت البيد واستحالت رجالا
ورقى منبر الحدوج ومدت
وانبرى يرسل الخطاب وذاك ال
ونعى نفسه وقال أتاني
وأنا راحل وبعدي علي
سنة الأنبياء قدما تمشت
هل نبي مضى بغير وصي
خصه الله بالإمامة لما
هو أقضاكم وباب علومي
وهو فيكم ثملي ووصي
أمتي لا أراكم بعد موتي
فاستجابوا وعجت البيد منهم
ورسول الهدى يردد فيهم
عنه سل محكم الكتاب وسائل
من يسدر وتلك أول حرب
من دحى الباب من بأحد تلقى
من قضى غيره على الشرك قل لي
صولة تفضل العبادات طراً
ولكم موقف يرن بإذن الدهر
هكذا فلتك البطولة دوما

داعي الله فاستخفوا عجالات
أو جبال في السير تقفوا الجبالا
حشدها يوم منه ترجو النوالا
ونواحي الفضاء ضاقت مجالا
نحوه الهام خضعاً إجلالا
جمع مصغ تبيهاً وامشالا
أمر ربي وحشي الترحالا
واحد الدهر مؤثلاً ومآلا
تقطع الدهر والقرون الطوالا
فاسألوا الدهر واسألوا الأجيالا
كان للحق والرشاد مثالا
فاق فضلاً وبذكم افضلالا
لعن الله من عليه استطالا
قد رجعت نواكصاً جهالا
تحسب الأرض زلزلت زلزالا
ربي والي الذي لحيدر والا
آل عمران واسأل الانفالا
قد رأها وقد أراها الوبالا
عمد الدين حين زال ومالا
من لعمر بيوم صال وصلالا
وسما شأوها وعزز منالا
والدهر منه يلقي اتسدهالا
(هكذا هكذا وإلا فسلالا)

٤ - قصيدة في ذكرى مولد الإمام الصادق عليه السلام:

يوماً من الأيام معدوداً
كان على التاريخ مشهوداً
التاريخ يروي الدر منضوداً
قد ملأ الدنيا أسانيداً
باقيةً تزدادُ تخليداً
يعجزُ عنها الحصرُ تعديداً
ولا يرى العالمَ محدوداً
ومن يعدُّ البابَ مسدوداً
أتممةً العلم الصناديداً
معارفها تزدادُ ترديداً
كانوا على الدنيا أسانيداً
وكان منه البابُ موصوداً
أفنوا ربيعَ العمر تسهيداً
لو لم يكن في الناسِ مجحوداً

٥ - قصيدة بعنوان طفلي نشرها في كتابه إلى ولدي:

واحمليها ما بين نهديك زهره
يملاً القلب فرحة مستمره
واحدري الخدَّ إن في الخدَّ جره
روعةً الحسنِ نظرةً إثرَ نظره
وإذ زاد رصفي منه وفسره
تستيري هوى فؤادي وشعره

يا قلمَ التاريخ سجّلْ لنا
أذعُ فلدا يومٌ له شأنه
حدثٌ عن الصادق وإستنطق
وحدثت العالمَ عن عالم
تبلى الأقبائلُ وأقبواله
أراؤه الفسرُّ وأفكاره
ما حدَّ أفق العلم في غاية
شهبانٍ من يفتح أبوابه
سلْ ابنَ حيانٍ وسلْ غيره
من طبق الدنيا سوى جعفر
وسلْ تلاميذَه لهُ أنهم
هم فتحوا للكيميا بابَه
وخلدوا الدهرَ بأقلامهم
وخلّفوا أعلى تراث لنا

عوديها عن العيسون بنشره
ودعيها تحسُّ منك بعطف
إطبعي قبلة على ناظرها
نضدي شعرها لتبصرَ عيني
إعقديه تاجاً على مفرقيها
دغدغيها لكي تقهقه حتى

إنَّ ضحك الوليد يوحى المسره
وكذا كل ما نرى منه فطره
ثم ميلي فهدهديني بنبره
واجعليها لوالديك مبره

★ ★ ★

دغدغيهما وأنت أم وأدرى
ضحكة الطفل لا تصنع فيها
هدهديا بنبرة عند نوم
ضمدي قلبي الجريح احتساباً

★ ★ ★

٦ - قصيدة (ذكريات مصطفى) نشرت في مجلة العرفان قبل نصف

قرن تقريباً:

على لياليك آلاف التحيات
كأسي بها فاستفاضت أريجاتي
في الورد في الناس في جمع وأشتات
عنه قيودٌ محيط غاشم عاتي
وفي الأصيل تحييني بلذاتي
للحسن أبدع إعجاز وآيات
كعقد درّ على نحر ولّبات

★ ★ ★

شغاف قلبي فحقت منه أناتي
رضراض در بأنغام ملذاتي
من رقة الروح أو من لطف «أبياتي»
فصلاً مع الورد يسبي الذاهب الآتي
في نهدخود وفي أعطاف غادات
لو قلت أفديك يا تلك السويعات
في عالم ما به غير الكدورات
فكم بدار البقا روضات جنات

يا ربوة الشام يا رمز السرّات
ملئت عاطفتي كلفاً وقد طفحت
مهما اتجهت رأيت الحسن منتشراً
تنفس القلب من آلامه ورمى
هذي الطبيعة بالبشرى تصاحبني
قرأت في وجهك الفتان منظره
تدفق الماء في نهديك منتشياً

★ ★ ★

لطف كما تشتهيهِ النفس دبّ على
شلالك العذب من عال يسح على
كان مجراه في قلبي ورقتسه
نسائم عانقتني بعدما رقصت
وداعبتني لكن بعدما عبثت
ساعات أنس أرى بخساً بقيمتها
ماذا لقي العمر من جرأ طيلته
يا رب إن كان في الدنيا الجنان كذي

عهدود أنس على تلك النطاقات
لكي يرى خلقه بعض العنايةات
واقتر مبتسماً ثغـر الجهادات
وذاك يطفـو بأقمار وهالات
ماس الجمال بنهد بارز آتي
قسان وأبيضه مجلو مـرآة
وذويت برقيق الجري آهاتي

★ ★ ★

جاء الربيع فهاجت ذكرياتك لي
وعالمًا من جمال الله صوره
تموج الحسن في زاهي شوارعها
هذا الرصيف اطار الحسن طرزه
على الرصيفين والأشجار مائلة
بدى كرمـان «سورياً» موردة
توسطت «بردي» تنساب صافية

★ ★ ★

٧ - وهذه «تحية شاعر» موجهة إلى الشاعر القروي:

الفكرين ذا ماض وهذا آت
منضودة الإيقاع والكلمات
رقت وفاقت أبدع النغمات
فكأنها من جملة الآيات
أو أن موسى جاء بالتوراة
فانجابت الدنيا عن الظلمات

★ ★ ★

الروحين أحمد والمسيح
المراء بالرأي الصريح
عصرنا أدباً فصيح
ونائر الأدب المليح
هئت بالوجه الصيـح

★ ★ ★

البحرين بحر علا وبحر معاني

يا زهرة الجليلين بل يا ملتقى
أحسنت بل أبدعت في أغرودة
داعبت أوتار القلوب بنغمة
تطفو عليها مسحة روحية
أفهل ترى كلمات عيسى أنزلت
أو قبسة من نور أحمد أشرقت

★ ★ ★

يا شاعر الجليلين بل يا ملتقى
صرحت عن رأي وعقل
يا شاعر الفصحى وماليء
يا ناظم الغيـد الملاح
بصباحة مجلوة

★ ★ ★

يا شاعر الجليلين يا ملتقى

فلأنت فينا فارس الميدان
لتحقق الآمال في الجولان
الزخار باللائاء والمرجان
هذي القلوب برقة الأوزان
بأعز حصن شامخ البنيان

حلقت وأطلقت للخيسال عنانه
وأجل خيالك في سما آفاقنا
خضنا بحور الشعر لكن بحرك
وتراقصت أوزانه فتبايلت
فاسلم ودم فينا رشيداً سالماً

٨ - قصيدة في تأبين شيخ الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي:

ولفظك كله درّ نظيم
كأن حروفه عطر شميم
رثاؤك أيها الرجل العظيم
دروساً نهجها جزك قويم

حديثك تستطيب به النسيم
تمثل فيها الأدب الصميم
لرقتها ويهتز الجسموم
فكانت في يدك كما تروم
ووجهك لاح مطلع الوسيم
كأنك في اللقاء أسد هجوم
على مــــرآك أرواح نجوم
على الدنيا، وهل تحصى النجوم

لنفع الناس يعلوه الوجوم
وهل أحد يقوم بما تقوم

حياتك كلها غيث عميم
ونشرك يملأ الأجواء طيباً
مربي الجيل أنت، وكان حقاً
تذيع على الورى ستين عاماً

وأنت خالد الذكرى ويبقى
أبا الأعواد والحكم اللواتي
ترف على روائعها قلوب
رأيتك تسحر الأبواب وعظماً
وآلاف الأنام إليك تصغي
ودوى صوتك المهوب فيها
وقد ضاق المكان بهم فضلت
مواقف لست أحصيها بعد

أبا الأعواد منبرك المرجى
فهل أسندته لفتى أبي

إذا عصفت بفكرته السموم
على أي المبادئ يستلهم
خطاها الشر والخطر الجسيم

فما بلغ المرام فتسى نسووم
إلى خطباء زانتهم علوم
يكون سنادها الذوق السليم
كما امتزج المنادم والنديم
تجاهلت الأسافل والخصوم
إلى أفق جلت عنه الغيوم
وسا تبكي الطلول أو الرسوم
ولا سلع وربيع والغيميم
جسوانيسه ومنعسه العميم
يحير بوصفها اللب الخليم
وكسان به الصراط المستقيم

لمجتمع يعيث به السقيم
يسود بجونا الفكر العقيم
وسيفسأ ليس يعرره علوم
خبير بالسفسام به عليهم
كأن عظاته جمعت كلوم (١)

فمن لشباب هذا العصر يهدي
تجاذبه العوائل ليس يدري
وجاءت موجة الإلحاد يقفوا

أيا خطباء هذا العصر جسدوا
فإن سناير الإسلام عطشى
تتوجهم عقول نيرات
ويمزجهم بهذا الشعب ذوق
وإن شعارها الإخلاص مهما
ليلمس منكم الشعب انطلاقساً
كفناكم حرب جساس وصخر
فما في عصركم قتب وكور
أروهم جلوة الإسلام، تزهو
وذا قسرأنكم فيه كنوز
وكان به إكتشاف وإرتقاء

أطباء النفوس وهل رضيتم
وذي جسدواتكم تحبوا ويبقى
فكونوا للمناير صسوت، حق
خطيب القسوم أرجحهم كما لا
يكون من شظايا القلب وعظاً

(١) ذكر الأستاذ شبر في كتابه أدب الطف، الجزء العاشر صفحة ١٤٢ أن هذه القصيدة قافيا في رثاء الشيخ كفاظم نوح، بينما ذكرت مجلة الايمان في عددها الخامس بالشيخ اليعقوبي ص ٣١ انها في رثاء اليعقوبي، واني ارى لا مانع من تكرارها في الشخصيتين وان نظمت في احدهما والاخرى أنه الشيخ كفاظم نوح.

٩ - وله قصيدة فلسطينية تحت عنوان «يوم المحنة» على إثر الإنتكاسة أذيعت من دار الإذاعة العراقية، ووضعت في المناهج الرسمية لمدارس المقاصد في لبنان وهي:

يوم على الدهر لا يطفى له لهبٌ
وإن غفت عن طلاب النار لا سجت
عهدي بها لا تقر الضيم شيمتها
العيش بالذل مرٌّ في تجربته
مت إن تمت قاهراً والنفس راضية
شراذم من نفايا الأرض تبعثها
تدوس أقدس أرض من معابدنا
فواجع بغضت طعم الحياة لنا
ساد الوجوم على الأقطار وانكملت
لا عين في الشرق إلا وهي ساهرة
تجاوبت نخوة الإسلام طائفة
وأهبت عزمات العرب وانتفضت
عسى يكون وراء الصمت منطلق
بالأمس انكلترا تدعى صديقتنا
ماذا جنيناه قل لي من صداقتنا
وذى ربيبتها بل قل وليدتها
قد صرح الحق وانزاحت به الريب
قف بي على الأردن المشهود موقفه
قذائف النار عاثت في محاسنه
قف بي على قبلة الإسلام أسألها

إن تنسُ العربُ ما هم بعده عرب
يوماً بأجنادها الأقسام والكتب
حتى ولو طالَّت الأعوام والحقب
والموت بالعز حلو، ورده عذب
ولا تمت صاغراً والحق مغتصب
ثعالب الغرب فيها يشهد الذنب
ونحن نبصرها بالرغم تستلب
وكدرت صفو عيش فهو مكتتب
هذي الوجوه وعم السخط والصخب
ولا مشاعر إلا وهي تضطرب
وأعلنت أنها طوع لما يجب
حمية، فهي كالبركان تلتهب
يجلى به الغم والأحزان والكرب
واليوم قد جاءنا من ويلها الحرب
ظهر فيركب أو ضرع فيحتلب
ولا تسل هل لها بين الأنام أب
وشف عن جسمه ثوب له قشب
لألثم الجرح لكن الخشا يجب
وشوهت أوجها تستافها الشهب
عما جرى من دواه، كلها خطب

بالدمع والدم مطبوع ومختضب
أعسواده فهي تنعساه وتنتحب
فقد المصلين مذ طلابه غربوا
أحبابها فهي ثكلى خدها ترب
رقت ورق الهوى والماء والعشب
فالكأس سكاية طوراً ومنسكب
ما كل سباقه تجري لها الغلب
وإن يومك فيه تفخر العرب
أرسي من الهضب لا بل دونها الهضب
إن سار كان له الاقدام والغلب
لقد أرتنا نضالاً كله عجب
قواذف الشريسي جيشها اللجب
لهيها ضاق فيها أفقها الرحب
حتى إذا أخذت للغاب تقرب
كالأسد لم يشنها خوف ولا رهب
دون الحمى أرايت الليث إذ يشب
فالأمر قد جد والأسباع ترتقب
فحققوا أملاً يسمو به الحسب

★ ★ ★

ومسجد الصخرة المحزون منظره
قد أوحش المنبر العالي وقد ذويت
ثم استمع رنة المحراب أحزنه
وحي تلك المروج الحضرة ناعية
يا طيب عيش على الوادي بأمنية
أبناء عمان لا يجزنك ما ارتكبوا
والعرب مغلوبة يوماً وغالبة
أديت قسطك والأيام شاهدة
ووقفه لأسود الرافدين غدت
جيش العراق وحامي سور منعه
عاشت دمشق فلا عتبي ولا عتب
يوم تجهم وجه البغي وانبعثت
نيرانه تملأ الأجواء قاذفة
وتقتنيها أساطيل مدمرة
هبت مغاوير سوريا مشمرة
فهل رأيت أسود الغاب مغضبة
أبناء يعرب جدوا في عزائمكم
وإن أحسابكم أمست تطالبكم

★ ★ ★

١٠ - قصيدة في رثاء معالي الحاج عبد المحسن شلاش ألقاها في الاحتفال الذي أقامته جمعية منتدى النشر بمناسبة أربعين يوماً على وفاته:

لمثلك تستعاضُ الذكرياتُ
وقالوا أبنوه فقلت هذي
أجلتك أن تؤبئك القوافي
لئن قالوا مضى أثر المعالي
فما أدري أرثي فيك شخصاً
أرثي أمة جمعت بشخص
ورأياً صائباً تنقاد طوعاً
قد انتفض «الغري» غداة قالوا
مشى وله وراء النعش صمت
وإن الصمت في ذكرى عظيم
فما أحد تحدث عنك إلا
لتحي أنت في فسم كل حي
لقد شقوا له قبراً وقالوا
وما علموا وأنت فيه سيف
أعين الشعب كم ساهرت كياً
عجمت الدهر خبراً واختباراً
وذقت هذه حلواً ومراً
أتاك المال يستهويك لكن
رأك الثبت لم تبخسه حقاً
وحين وزنته قسطاً رأينا

ومثل علاك يجييه المماتُ
مآثره الفصاح مَوِينات
وقبلي أبنتك المكرمات
أجل إن المآثر باقيات
حوى عقلاً تضيق به الفلاة
وفسرداً لا توازنه المئات
لمراه العقول الصائبات
«أبو الأشبال» تنعاه النعات
تجمله العضبات النيرات
لأبلغ ما تقول النائحات
روي أنراً تلذ به اللهبسة
حديث لا تقاطعه الرواة
كدا تطوى الجبال الراسيات
وتغمد في الجفون المرهفات
تنام له عيون ساهرات
ولم تخدعك منه الطيبات
فلم تطفح ولم تلتن الحصاة
رأى شبحاً يمثله الثبات
ولم تبهرك منه البهرجات
طغاماً في هواه قد استماتوا

دموع أرسلتها العاطفات
ولكن النوادي موحشات
إذا جارت عليه الحادثات
تناوحه القضايا المشكلات
تكامل في معانيه الصفات
كجرح الكف يبرؤه الأساة
بلا معنى وليس له حياة
على صفحات مجدك لامعات
عسى فيه تكون له العظة
مشت أمواجه المتسدفقات
لكم ذهبت بدنيساك الثروة
وقد ألهتهم المتخلفسات
تطايره الرياح العاصفات
وفيهم حق لو قد قيل ماتوا
تراحنا الصخسور المثقلات
وتبقى للنسيم الذكريات
ولما بالفضائل عابقات

★ ★ ★

سفير العلم والعلماء هذي
أجيل الطرف في هذي النوادي
فقدتك للغري حماً وحصناً
فقدتك مفزعاً للرأي مهياً
وللمعروف والإحسان لفظاً
حياة الشعب بالعظماء تبقى
وشعب لا عظيم به كلفظ
فهذي صالحاتك قد تجلت
ليصر عابده الشهوات هذا
لمن هذي الوفود أتت كبحر
لمن قل لي لأجل فتى ثري
فلم يندبهم حتى ذوهم
أتوا ومضوا كنبت جاء عفواً
أولئك من يقال مضوا ضياعاً
أليس الأرض مثوانا وفيها
وذي أجسامنا للترب تهدي
فأما بالردائل قابعات

★ ★ ★

ومثلك من له يلقي القياد
 يصرفه كما يقضي السداد
 وأعطيت الدواء كما يراد
 لشعبك أن ينهيه الرقاد
 وأنت له وفي يدك الضهاد
 فلا يثني عزيمتك ارتداد
 وعنوان اللواء هو الجهاد
 تضيق بشأوها السبع الشداد
 بضوء هداه يستهدي العباد
 لأسأم من مديح يستعاد
 له أعمالك الجلى مسداد
 متى استهدوا به سعدوا وسادوا
 صحيفته جدال أو جلال
 فإن النار تقدحها الزناد
 وفي تاج العراق له انعقاد
 وتاريخ الفتى حزم سداد
 له في غرة الدهر اتقاد
 ويغمر ذكر من ذهبوا وبادوا

كزرع كان آخره حصاد
 ليس المال آخره النفاذ
 مآثره هدى سعي رشاد

بمثلك حق تفتخر البلاد
 ألست لرأس هذا الشعب عقلاً
 نظامياً سهرت الداء فيه
 سهرت على مصالحه وتأبى
 وعز عليك تسمع منه شكوى
 تمثلت الصراحة فيك شخصاً
 لكن جاهدت أنت أبو «لواء»
 علوت بهمة تسمو بنفس
 أبوك محمد وكفاك فخراً
 أصغ لي لست مداحاً وإني
 ولكنني وقفت أخط درساً
 وأجعل منك نبراساً منيراً
 أخط لنشئنا تأريخ حمر
 ليقدح من عزائمهم لهيباً
 على صدر البلاد غدا وساماً
 حياة المرء في الدنيا نضال
 ومجد تاصع الجنبات باق
 يرن بمسمع الأجيال دوماً

(أسعد) هذه الأجيال مرت
 وما فخر الفتى كثر ومال
 وما الباقي سوى من قيل عنه

ويقتساد الجبال ولا يقاد
 علام علام هذا الاضطهاد
 وما السنوات مفخرها العداد
 مهيباً قيل فيه هو العباد
 وذا الأمل الكبير وذا السناد
 بأن الجبن في العرف الحيساد
 طوى بطلاً عليه الاعتقاد
 يقام لثله هذا الحداد
 رآك فقتال ذلك هو المراد

★ ★ ★

يسير بمبدء صلب النواحي
 ألم يك يولد العربي حراً
 لعمر ك ما الحياة بغير هذي
 تزمت في أعالي الدست شكلاً
 وذا الشيخ الصموت أمين شعب
 تستر بالحيداه وهل سمعتم
 سلا قبرا طوى سعداً أيديري
 طوى أمل البلاد أليس حقاً
 مشى التاريخ يطوي الناس حتى

★ ★ ★

١٢ - ومن غرر أشعاره قصيدة حيا بها الإمام الحسين من آل
 كاشف الغطاء عند عودته من مؤتمر الباكستان عام ١٣٧١ هجرية:

كذا ينهض المصلح الأكبر
 وهام الأثير لها منبر
 وإلا فما قدر من عمروا
 فما عرش كسرى وما قيصر
 ومفخرها - عشت يا مفخر
 مثال الكمال متى يذكسر
 فحسبك متسبباً «جعفر»
 «ففيك انطوى العالم الأكبر»
 وتوقظ جيلاً بدأ يشعسر
 فما وثبة الأسد إذ تزار
 تجدد تسياسارنجح الأعصر

كذا يلمع القمصر النير
 كذا ترتقي عاليات النفوس
 كذا يعذب العمر في مثل ذا
 كذا يشمخ العلم فوق السها
 أشيخ الشريعة بل رمزها
 أقدر شخصك إذ أنه
 إذا ما انتسبت إلى «جعفر»
 لأن حسبتك الورى واحداً
 نهضت لتجلو رين القلوب
 نهضت وبوركت من ناهض
 وأبلغت في النصيح في مجمع

وهز صدى صوتك المشرقين
حياسة الشعوب بأبطالها
إذا جمع الناس «نيروزهم»
فطرت ولكن بأمـالنا
فحدّث أبا الصالحات التي
تحدث إلينا فكل الحواس
أتينا لنصدر عن مورد
تحدث فهذي القلوب التي
تلقتك تفرش أكبادها
تحدث ألت أمير اليسان
أبن للوفود عن المسلمين
أبن فالحديث حديث الشجون
فكيف تلمست شرع الهدى
كأنى بروح النبي الكريم
متى هان شعبك يا مصطفى
متى طاطأت جبهة الفاتحين
أيا قالع الباب باب اليهود
تداعت لتدرك أوتارها
أبا الشرع هذي يد بسرة

ودوى كقاذفة تفجر
وتاريخها مجدها الأزهر
فتيرونا وجهك الأنور
ورحمت بأرواحنا تعبر
تعال سناءً فلا تستر
شعوراً وأكبادنا حضر
ومنك حلى الورد والمصدر
ترفرف جاتك تستخبر
وخفت للقيالك تستبشر
إذا ما جرى لفظه يسحر
فمثلك للجرح من يسبر
ومن وقعته القلب يستعبر
وهل من أمان بها تسمر
على كذب نحونا تنظر
متى ذل قومك واستعمروا
لذل اليهود إذا استصغروا
ويا فاتح الحصن يا حيدر
وأنت على ردها أقدر
يوافيك فيهما الفتى (شبر)

١٣ - قصيدة بعنوان (بيروت عروس البحر):

تري مجتمع السحـر
أتت تطفح بالبشر
على صدر من الدر
بمقلوب من البحر

وت يا ساحرة اللب
تشاهد منظرأ يصبي
تمني طائر القلب
عسى يهوي إلى جنبي

توحسي زهوة القصر
بأبراد من الزهر
بتاج الذهب الشعري
وهل للنجم من سر

حر رب الحول والظول
شم منك فضلة الذيل
ولن يسعد بالوصل
بغير الضم والتمسك

بمقهي ساحل البحر
تري دنيا من الأنس
وقد علقت الحسن
تحيينا على البحر

عروس البحر يا بير
فما أنسى تقسع العين
يرف القلبسب والروح
أجل سرب المهما جساء

مبسانيك بوحي الفن
سمت نحو السما شأوا
بالألاء من النور
تذيع السر للنجم

عروس البحر هذا البـ
أتاك حساضعاً يلد
لقد داعبك دهرأ
لئن أزيد لا يرضى

١٤ - قصيدة أرسلها إلى صديقه الشيخ محمد سعيد مانع من لبنان
سنة ١٣٦٥ هجرية:

حاشا وفاءك يا بن مانع
قلبي ومثواك الأضالع
يوماً لعودته «مضارع»
أرجمها كالمسك ضائع
لطيب هاتيك المربع
فأناب مرسلة المدامع
ثم حنّ إلى «الجوامع»
وجامع الشيم الروائع
- الله ما تحت البراقع -
قام يعسرك بالأصابع
تميس مصغية المسامع
والمآثر والصنایع
هلا وجدت لنا الضوائع
مايين غزلان الشوارع
فيه أقمار سواطع
أفسدك أيتها الطوالع

★ ★ ★

حاشاك تمنع وصلنا
أنساک - لا أنساک - يا
هل عهدنا «الماضي» أرى
تلك السويعات العذاب
عمودي فقد حنّ الفؤاد
قفص الأضالع عاقه
قد هام حولاً بـ (الكنائس)
يا صاحب الخلق الأغر
هذي البراقع تحتها
لبنان ييسم (والصنوبر)
والورق غنى والجبال
بيروت يا رمز المعارف
ضماعت لديك قلوبنا
يرضيك ضيفك هائم
ذا (برجك) الزاهي تلالا
طلعت «برج» (١) واحسد

★ ★ ★

(١) ساحة البرج أجمل موقع في بيروت من حيث اجتماع الناس وضخامة العمران.

١٥ - هذه قصيدة ودع بها أحد أصدقائه عند سفره إلى إيران
للاستشفاء سنة ١٣٦٦ هجرية:

سر لاعداك الحجا - فالله يرعاك
يا من رأى النبل في أجلى مظاهره
رأك خشناً بذات الله منتقداً
وراح ينشب ظلماً فيك مخلبه
رميت أنشودة هزتك بزتها
هو الزمان وهل يبقى السعيد به
يا نسمة الصبح قولي إن مررت به
ثم إسأليه إذا ما افتر مبسمه
وأنت يا روض حيّيه بدغدغة
مرت عهود تحاكي في عدوبتها
يا لطف عهد قضيناه أراك معي
خلقت أفئدة أسرى هوائك وما
يحنو عليك فؤادي مولها شغفا
في النفس كانت أمان حمة جمعت
فكم رعيننا رياض الحب في صغر
إليّة بعفاف منك أعهدده
ملاك طهر وعف في الجوارح ما

لم تنسه ساعة هل كيف ينساكا
أداسه دهره بالرغم أشواكا
صروفه فلذا بالبعد أقصاكا
يا دهر ما كان أقساكا وأجفاكا
لا سدده الله في ذا الرمي مرماكا
منعما تربت يا دهر كفاكا
إمّن علمٍ برشف من ثناياكا
أهل تذكرت من في الله آخاكا
ملذة فهو من عشاق رياكا
طيب الأمان مزجناها بذكراكا
يفيض بشراً على قلبي حياكا
عهدي تبيت ومن تهوى أساراكا
فما أعزك من قلبي وأدناكا
واليسوم لا تتمنى غير مراكا
قل لي أهل تذكرون في الحب مرعاكا
ما التف يوماً على الفحشاء برداكا
شانتك منقصة قدست ماشاكا

١٦ - وقصيدة رثى بها الخطيب الشهير الشيخ محمد علي قسام:

هذي الروائع من خطيب المنبر
علم الجهاد كقائد في عسكر
فكأن صدرك معدن من جوهر
طول الزمان بكل عقل أنور
بالرائعات من الفم المتعطر
أم لكل مهذب متنور
جاءت لعقل التايه المتحرر
يصف الدواء بحكمة المتبصر
تهوي وحوالك سابعات الضمير
جرت العيون بلؤلؤ متحدر
فكأن قولك ريشة لمصور
وذكر السيد المترجم في أدب الطف أن القصيدة بكاملها نشرت في
مجلة العرفان اللبنانية في المجلد الحادي والأربعين ص ١١٦٤ .

سند الشريعة في جميع الأعصر
ذاك الذي يسمي ويصبح ناشراً
أعلم الأجيال تنثر جوهرأ
يا منبر الإسلام دمت منوراً
يا منبر الإسلام دمت مضمخاً
ومجالس هي كالمدارس روعة
المنبر العالي رسالة مرشد
المنبر العالي حكيم مبصر
يا فارس الميدان عز علي أن
يا من إذا أرسلت لفظك لؤلؤاً
أو قمت في أعلى المنابر خاطباً
وذكر السيد المترجم في أدب الطف أن القصيدة بكاملها نشرت في
مجلة العرفان اللبنانية في المجلد الحادي والأربعين ص ١١٦٤ .

١٧- وله في تأيين أحمد الصافي النجفي:

إن الرثاء لشخص مات واندرسا
ونجمه قد تجلى يطرد الغلسا
وطيب تأريخه قد أنعش الجلُسا
طال البقاء، ولا ترداده النفسا
عبر العصور وغرساً صالحاً غرسا
سواء أحسن هذا أم اليه أسا

إلا كشعلة نور تحمل القبسا
عنهم كمن عاش بين الخلق محتبسا

ما جئت اربك أو أذري الدموع أسى
قالوا لقد مات قلت اليوم مولده
واليسوم يبدأ تاريخ له عقب
ما الحي مقياسه مر السنين ولو
إن الحياة بأفكار يخلدها
وآخذاً بيد العافي ومنقذه

ما كان أحمد في عصر يعيش به
يعيش في الناس لكن روحه انفردت

سما الى عسالم أسمى بفكرته
فلا ترى معه في بيت عزلته

★★★

ايه أبا الخالدات النيرات سنأ
هذئي روائعك الغسراً يرددها
أمواجها اندفعت تتلو أشعتها
وذوي الهواجس ما أحلى هواجسها
رفت تناضيك همساً في تدللها
أشعةً في معانيها ملونة
ان كنت حلقت أو أبدعت لا عجب
وأذعنت لغة الفصحى لروعته
الناظم الدرّ نظماً لا نظير له
والمرسل الشعر سهلاً غير ممتنع

★★★

زهدت في هذه الدنيا وزخرفها
وكنت تهزأ ممن راح يعشقها
نفس ترى فوق هام النجم رفعتها
تريهم ان دنياكم ومهرجها
لاويت دهرك حتى رضت جامعها
بعزيمة شهد التأريخ واقعتها
عرفت دنياك مذ وازنت قيمتها
وكم دعنتك لوصل وهي ضاحكة
رحماك ليست نفوس الناس واحدة

★★★

لذاك مها خلا في نفسه أنسا
ألا اليراعة - أم الشعر - والطرسا

★★★

والسائرات، أقام الدهر أم جلسا
فمُ الزمان، ومن أنوارها اقتبسا
تجلي العقول ومنها تغمر اليبسا
تداعب الروح ان دقت لها جرسا
والحب يعذب ان ناغى وان همسا
إشعاعها مشرف عن روحك انعكسا
قرآن أحمد قدماً حير القسسا
وعاد منطقها مستسلها خرسا
بالشعر ينبوعه الصافي قد انبجسا
سلساله العذب يجري سائغا سلسا

★★★

إذ أنت أرفع ممن يرتضي الدنسا
ومن بأوطارها قد ظل منغمسا
وبزة - إذ تراها - بزة البؤسا
كشملي هذه، من سامها بخسا
كمن يروض من فرسانها فرسا
ما كنت هيابة يوما ولا نكسا
وانها عرفتك النيقد المرسا
لكن رأتك على ما تبغني عبسا
إن خف ذلك فهذا في الوجود رسا

★★★

غراء، وأرسيتَ من أركانها أسسا
 وكنت تنشرها درسا لمن درسا
 فلم يعد بعد فيها الأمر ملتبسا
 والدهر استلان وإن قدما عليك قسا
 ★★★

هذي الحياة وكم غذيتها حكماً
 فكنت تشبعها بحثاً وتجربة
 وتوضح القول مجلواً ومزدهراً
 دم للخلود فـذي الأيام طوعك
 ★★★

١٨ - وهذه قصيدة في افتتاح مكتبة أمير المؤمنين العامة في النجف
 تحت عنوان تحية المؤسسة الفكرية:

ذاك يبلى، وأنت تحلد ذكرى
 فإن شئت سئل بايوان كسرى
 فلا زلت خالداً مشمخراً
 يقود الأجيال عقلاً وفكراً
 غلاماً لديه نهباً وأمراً
 لك عبداً وأنت لا زلت حراً
 ★★★

معهد الفكر طاول الدهر فخراً
 كل شيء فان سوى العلم والعدل
 ساندت ركنتك القديم يد العلم
 منجباً كل أصيد يبعث النشأ
 منجباً كل أصيد يجعل الدهر
 وبرغم الزمان جئت ويبقى
 ★★★

فاض اشعاعه على الكون بدراً
 فاستشارت لها العزائم طراً
 كمرعت في سبيلك الصاب مرأ
 يوم قدت من العزائم صخرأ
 وينت في ضلوعها لك وكرا
 مثلها تحفظ الأضالع سرأ
 أفنى من أجل عمرك عمراً؟
 أشبع الدهر خبرة ثم سبرا
 إن في أمره مع الله سرا
 ★★★

عشت يا صرح للعلوم مناراً
 همة المصلح [الأميني] ثارت
 قد أشادتك بعد جهد جهيد
 ضربت فوقك القلوب رواقا
 بسطت من شغافها لك أرضا
 ثم راحت عليك تحنو احتفاظا
 معهد الفكر هل علمت بأن الشيخ
 ومشى ثابت الخطى باتزان
 هائلاً بالخطوب تعرف منه
 ★★★

أماً كاد أن يبسدد صبها
 فاض من راحتك يمناً ويسرا
 وترينا أنت الأمانى خضرا
 عشت للعلم والديانة ذخرا
 يسع الكون مذ ينفلد أمرا
 ويد في [الغدیر] بيضاء غرا
 رابع النشاطين دنيماً وأخرا
 ★★★

أي أبا الطيبات أحييت فينا
 يوم ضاق النضاً قنوطاً ولكن
 قد أرتنا الأيام حر المنايا
 بمساعيك قام للعلم صرح
 همة تدفع السماء وعزم
 لك في الصالحات غر أياد
 وحقيق أقول إنك فينا
 ★★★

وفي أرصدته الأدبية المزيد من شعر التاريخ والمقطوعات الرائعة
 فمن ذلك ما قاله في تاريخ تمديد رئاسة المجلس الإسلامي الشيعي
 الأعلى للإمام المغيب السيد موسى الصدر:

زهي المجلسُ الشيعيُّ والصدر زانه
 بطلعته الغراء يرفلُ مأنوسا
 فعودته بالغرِّ من آل هاشم
 بأربعِ عشرٍ تدفعُ الضرَّ والبؤسا
 أضفناهمُ لليمنِ مذ قيلَ أرخوا
 وقلنا لقد أوثيت سؤلك يا موسى

★★★

وأرخ وفاة فقيد الشباب السيد نعيم الدين السيد عباس شبر وقد
 كتب بعضها على صورة الفقيه وقد رأيتها منذ عشرين عاماً معلقة في
 إحدى حجرات الصحن الحيدري المطهر حيث يرقد (النعيم) في مشواه
 الأخير قال:

حملتُ قبره إكليل ورد
 وحنَّ القلبُ من شغف وأنا
 وقلتُ لأدمعي سقياً فدهري
 علينا بالفراق لقد تجنّتي

فنادتني احْتَبَسْ للدمع عينا فذا ماءُ الشباب يفيضُ عينا
وذا تاريخُهُ يزهو بهاءً نعيمٌ للنعيمِ مضى مهناً

★ ★ ★

كما أرخ وفاة العالم الكويتي الشيخ حسين الفيلي رحمه الله بقوله:
في يوم عاشوراء فارقنا وقد بكتهُ السحبُ دمعاً صيباً
ذاك الحسينُ واحدُ الفضلِ الذي تاريخُهُ نورٌ حسينِ غيباً

★ ★ ★

وقال مؤرخاً بناء حسينية الزهراء في المنصورية:
دارٌ لأهل البيت تسمو علماً لله فيها بعضُ أسراره
شعتُ بنورِ السبطِ مذ أرخوا ترفُ إشعاعاً بأنواره

★ ★ ★

وقال في تاريخ تزيين المرقد المطهر للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالإنارة والمرايا والزجاج البديع ما يلي:
مرأةٌ قدس الله شعاً سناؤها فتموجت بزجاجة المرأة
قال الموحد فيه أرخ زاهياً مصباح نور الله في المشكاة

★ ★ ★

وله في توجيه الأسرة:
يا من تكبدت العنا بمرجياً تثقيف طفلك
لم لا تهذب أولاً من قبله أخلاق أهلك
عقل الصغير كآلة الـ تصوير تلقط مثل شكلك

ودخل عائداً الخطيب المعروف السيد علي الهاشمي على إثر وعكة
صحية فخاطبه:

متى كسان في الظن أني أراك
متى حومت حولك الواهيات
متى زعزعتك سسوافي الرياح
ألست المعاني الذي يملي
وثغرك ذلك الضحك الوقور
فأجابه السيد علي الهاشمي:

هزار الغريرين أتخفتني
نظمت قوافيها كالعقود
فقبلتها بما بقم الإمتنان
وجلت بيحر تقاطيعها
وما ذلك إلا اشتياق اليك
فدم «يا جواداً» بكل الصفاة
وإني لأكبر هذا الخنان
بغراء تذهب عني السقم
فنعم المنظم والمتنظم
مقل لتقبلها ألف فم
بمطرفة دمعها منسجم
لأنك أنت الذي لا تدم
ويا علماً رف فسوق العلم
فحبك، لي من جليل النعم

نشاطه وإنتاجه:

الخطيب المنتج النشط هو الخطيب الحي الخالد، وسيدنا المترجم
كثير الإنتاج دائم النشاط، وإذا ما تخطينا نشاطه الخطابي لتعرف على
إنتاجه وعطاءه في مجالات وأصعدة أخرى:

أ - على صعيد التأليف:

لا يخفى على ذوي الفن أن الخطابة والكتابة أختان شقيقتان بينهما عموم وخصوص من وجه كما يقول المناطقة، فلا بد للخطيب من الكتابة وليس الأمر كذلك عكساً، فليس كل كاتب خطيب، فرب كاتب بارع يخلق إذا كتب ويخفق إذا خطب، ولكن لا بد للخطيب من رسم القواعد والأصول لخطابته وتدوين ثروته العلمية، ورصيده الثقافي عبر ما يصطلح عليه بالعرف الخطابي بالمجاميع التي تختلف مستوياتها العلمية والثقافية من شخص لآخر، ولذلك يتصدى البارعون منهم إلى تنسيق وتبويب مجاميعهم واستخراج مصادرها ثم إخراجها إلى عالم النشر والتأليف، بينما تبقى المجاميع السطحية على رفوف النسيان، وينتهي مصيرها إلى سلال الإهمال.

وقد ازدانت المكتبة الإسلامية بكنوز من الأبحاث والمواضيع في مختلف أبعاد المعرفة الإسلامية أبدعتها أقلام رشيقة لفرسان المنبر الحسيني، ومن نماذج ذلك ما كتبه كل من الشيخ جعفر التستري والشيخ محمد علي قسام والسيد حسن القبانجي والسيد مهدي السويج والسيد مهدي الهنداوي والشيخ عبد اللطيف البغدادي والسيد علي الهاشمي والسيد كاظم القزويني والشيخ مهدي المازندراني والشيخ الفيلسفي والسيد طاهر الملحم والشيخ عبد الحميد المهاجر والشيخ مجيد الصيمري والسيد عامر الحلو وغيرهم. وقد يدخل البعض في إخراج ما لديه من كتابات ومواضيع قد أعدها لنفسه وكتبها لمنابره ومعنى ذلك أنها تنتهي بانتهائه وتموت بموته ولا يستفيد أحد من العاملين من هذه الخبرة وتلخيص التجارب المنبرية المدونة. يقول العلامة الدكتور السيد بحر العلوم في تقديمه لكتاب من لا

يحضره الخطيب ما نصه:

(إني في الوقت الذي أقدر هذا الجهد للأخ العزيز فضيلة الخطيب السيد فإني أتمنى له من أعماق قلبي كل الموفيقية في مشروعه الثقافي هذا راجياً أن يقتدي به زملاؤه الكرام فرسان الخطابة ورواد المنبر الحسيني في طبع محاضراتهم تعمياً للفائدة ونشر نهضة الإمام سيد الشهداء^(١)).

وقرأت في مجلة الموسم حواراً مع الشيخ حسن الصفار جاء في بعض مقاطعه ما يلي: ... أن يتقدم الخطباء الكفوون الناجحون بتقديم تجاربهم وأفكارهم ليستفيد منها سائر الخطباء كالعلامة الخطيب الشيخ محمد تقى فلسفي، والأستاذ الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، والخطيب البارع الشيخ عبد الحميد المهاجر، إن آراء وتجارب مثل هؤلاء الأساتذة الرواد ستكون مفيدة ونافعة للخطباء الجدد والناشئين^(٢).

أما الأستاذ المترجم فهو مؤلف موسوعي من طراز متميز في التأليف والتحقيق وحسبك شاهداً موسوعة (أدب الطف) في عشرة مجلدات أرخ فيها لأجيال متعاقبة في عدة قرون من شعراء الحسين عليه السلام بتراجمهم وأشعارهم، مما يدل على طول الباع وسعة الإطلاع، وتعتبر هذه الموسوعة من أضخم الأعمال المنبرية والأدبية، وقد كتب لها مقدمة رائعة الفقيه العبقرى الشيخ محمد جواد مغنية رضوان الله عليه أثنى فيها على السيد المؤلف مقدراً جهوده وأثابه في إخراج هذه الموسوعة. وإذا كان لكل شيء هوية وعنوان فموسوعة

(١) من لا يحضره الخطيب ٣ / ١٠ .

(٢) مجلة الموسم عدد ١ لسنة ١٩٩١ من ١٠٥٢ .

(أدب الطف) هي عنوان التأليف في سيرة سيدنا المترجم بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى المخطوطة والمطبوعة والتي عثرنا منها على ما يلي:

١ - إلى ولدي: كتاب في الأدب التربوي جمع فيه عيون الشعر لأساطين الشعراء طبع الطبعة الأولى في النجف الأشرف سنة ١٩٥٤م، ثم أعيدت طباعته مصوراً في إيران وكتب في إهدائه لولده الدكتور السيد كاظم شبر ما نصه:

ولدي: إذا كان الولد ذخر الإنسان ونتاج عمره وزينة الحياة الدنيا وأعز ما عنده وأقرب الناس إليه روحاً وفكراً، وجب أن يورثه أثمن ما لديه من تراث خالده يبقى جمالاً له وعزاً لا ينقطع، فلا يزول بزوال المال ولا يتبخر بتحول السلطان ذاك هو الأثر العلمي.

وإنما العلم لأربابه ولاية ليس لها عزل

وهذه باقية من وصايا الآباء لأبنائهم وهي عصارة قلوبهم وثمره أفكارهم ولا يمكن أن يدخر الوالد ما في وسعه من نصح لولده، فاقراً وتأمل فهي كنز ثمين أتخف بها شخصك المدلل بصفتك فلذة من كبدي، وقد وجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني وكان الموت لو أتاك أتاني.

لقد حمداني إلى إهداء هذه القطع الأدبية من الشعر والنثر، رغبتك الملحة على استكباب بعض ما أستشهد به أثناء خطابتي وأنت تصغي بكلمك إلى ذلك وأراني مضطراً بعد إعطائك القطعة الشعرية والنثرية إلى السهر معك على إخراجها إخراجاً جميلاً من ناحية النطق والإعراب والأداء، فرأيت أن أتخفك بهذه الباقية الفواحة ليشارك معك أقرانك في التنزه بهذه الجنينة، ولتكون الخدمة أعم والفائدة أتم وهي خطوة أولى تتبعها خطوات إن شاء الله.

٢ - قبس من حياة أمير المؤمنين: عهدي بهذا الكتاب قديماً جداً وبحثت عن نسخة منه في بلد المهجر فلم أجده، وما علق بيالي أنه كتيب، ربما جاوزت عدد صفحاته الخمسين أو الستين صفحة من القطع الوزيري، قدم له المؤلف مقدمة فصل فيها كيف انقذت في ذهنه فكرة تأليف الكتاب، وذلك عندما اقترح علي ابن عمه التاجر الوجيه السيد هاشم شبر أثناء الإعداد لمراسم الإحتفال بذكرى مولد سيد الشهداء عليه السلام أنهم لو قدموا الغذاء الروحي ضمن الغذاء المادي فأجابه السيد هاشم قائلاً: أنت هيء المقال ونحن نهيء المال، فكتب الجواد قبساً من حياة أمير المؤمنين ووزع مجاناً على الجماهير المشاركة في ذلك الإحتفال الكبير في النجف الأشرف.

٣ - أشعة من حياة الصادق: ويعتبر شقيقاً للكتاب السابق فكرة ومناسبة، حيث طبع في النجف على نفقة السيد هاشم شبر، وقدمه هدية للمحتفلين بمولد الحسين عليه السلام سنة ١٣٨٥ هجرية الموافق ١٩٦٥ ميلادية. وقد سجل السيد المؤلف في إهدائه ما يلي:

إليك ياسيد الشهداء وإمام الأحرار: أرفع هذه البضاعة المزجاة بيد مرتعشة من الخجل مملوءة بالأمل.

إنها لمحة من حياة حفيدك ومتمم أهدافك جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

ولئن جاهدت دون المبدأ بيدك فقد جاهد حفيدك بقلمه ونشر أهدافك وروائع أطفافك.

ثم قدم الكتاب بقوله:

هذه إضامة فواحة إقتطفناها من نفحات الإمام الصادق، وإمامة

سريعة إلتقطنها من حياته الخصبية وسجلناها على مجرى القلم ومما احتفظت به ذاكرتنا ومما نرويه في المحافل حول شخصية هذا الإمام العظيم. إن من مقررات الإسلام أن يكون التقدير للمرء بقدر ما يسديه من خير للأمة، وكلما كان أثره أكبر وتفانيه في سبيل المصلحة العامة أكثر وجب أن يعطى حقه من الإجلال والإعظام. لأننا نقدر أعمالاً ولا نقدر رجالاً ونحتفل بالخدمات ولا نكثر بالدعايات.

والباعث لهذه الفكرة أخي القريب وابن عمي الوجيه السيد هاشم شبر سلمه الله فقد ألزمني أن أكون أنا الكاتب وهو الناشر، وعلى الإثر نتجت الفكرة وخرجت إلى الوجود بعنوان (أشعة من حياة الصادق ع) وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

٤ - عبرة المؤمنين وهو مقتل الحسين من منشورات مكتبة الوراق طبع في النجف سنة ١٣٨٤ هجرية الموافق ١٩٦٤ م.

وقد كتب على غلافه البيتين الشهيرين للأعسم:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنما عيني لأجلك باكية
تبتلُّ منكم كربلاً بدمٍ ولا تبتلُّ مني بالدموعِ الجارية

ثم كتب له مقدمة مختصرة حول احتفال الأئمة بيوم عاشوراء ختمها بقوله: وما من ماتم يعقد هذه الذكرى المؤلمة إلا وتشاهد نائحة أهل البيت يروي هذه القصة المفجعة والملحمة الدامعة، وقد طلب الكثير منا أن نكتبها لهم على أسانيدنا الصحيحة وسلسلتها المتصلة العرى المتواصلة الخلفات بدون تطويل وتذليل ولا إيجاز مخل بالأصل، وقدمت هذه الهدية المتواضعة لسيدي ومولاي سيد الشهداء أبي عبد الله (يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة

فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين).

٥ - المطالب النفيسة: يقع في ثلاثة مجلدات في التراجم والأخلاق والفلسفة الإسلامية وهو جزء من رسالته المنبرية لم يطبع.

٦ - شواهد الأديب: مختارات شعرية في ثلاثة أجزاء مخطوطة.

٧ - المقتطفات: نوادر وحكم وأدب في جزئين ضخمين - لم يطبع.

٨ - شعراء العصر الحاضر لأشهر الشعراء في البلاد العربية والمهجر. لم يطبع.

٩ - سوانح الأفكار في منتخب الأشعار: ثلاث مجلدات في مدح ومرثي أهل البيت عليهم السلام. مخطوط (١)

١٠ - المناهج الحسينية: وهي مجموعة مجالس نقلت من أشرطة التسجيل وقام بطباعتها الحاج غازي قانصو وقدم لها الأستاذ الحاج علي دخيل - طبع في بيروت بمجلد واحد.

١١ - ديوان شعره: وفيه كثير من المراسلات والمساجلات والقطع المستملحة والأوصاف البديعة (٢) لم يطبع.

١٢ - إسهامه ومشاركته في تأليف موسوعة العتبات المقدسة للأستاذ جعفر الخليلي، فقد كتب في مدخل الموسوعة بحثاً تاريخياً قيماً ترجم فيه لأئمة الهدى عليهم السلام، كما كتب في قسم مكة المكرمة بحثاً فقهياً مقارناً يتعلق بمناسك الحج وشعائر الله (٣) مما يدل على فقاوته إلى جانب خطابه وقد عرفه الخليلي في مدخل الموسوعة

(١) مشهد الامام للتميمي ٣ / ١٦٠ .

(٢) شعراء الغري للخاقاني ٢ / ٤٧٣ .

(٣) موسوعة العتبات ١ / ٣٣٧ .

المذكورة بأنه عضو جمعية المنتدى والأستاذ بمدرستها سابقاً^(١)، وأحد
خطباء الدرجة الأولى للمناير الحسينية.

★ ★ ★

ب - على سعيد النشر والتحقيق:

١ - ديوان جواهر وصور للفقير الشاعر السيد عباس شبر وقد
اعتنى السيد المترجم بنشره وإخراجه أجمل إخراج بحلّة قشبية وورق
مؤطر بإطار ملون جميل يحيط بالقطعة الشعرية، وقدم المقدمة الآتية:

إن تسمية القطعة الشعرية بالرباعية جاءتنا - على ما أعتقد - من
الأدب الفارسي، فقد سمي متأخرو الفرس التُّنفة أعني البيتين من
الشعر «رباعي» فمن ذلك رباعيات عمر الخيام وغيره من أعلام
الأدب الفارسي ورباعيات الخيام هي في وزنها من النوع الذي كان
يسمى عندهم بـ (الدوبيت) ومعناه بالفارسية بيتان لأنهم لا يجيزون
أن يكون النظم على وزنه أكثر من بيتين. وقد نقل هذا الوزن إلى
العربية بإسمه وشرطه ونظم منذ عهد بعيد. أما الرباعي فقد أصبح
في الأدب الفارسي يطلق على كل بيتين سواء كانا بوزن (الدوبيت) أو
بوزن آخر.

وأحسب أنهم راعوا بهذه التسمية الشطور الأربعة، وقد تابعهم على
ذلك بعض شعراء العرب المتأخرين، حتى شاع منذ عهد قريب لإعتبار
الرباعية أربعة أبيات لا بيتين، ومن ذلك رباعيات فرحات، ورباعيات
قنصل، ورباعيات علي الشرقي، وغير هؤلاء. ولعل هذا الإعتبار
أصح وأدنى للواقع، لأن الشطور هي أنصاف أبيات، والنصف غير

(١) موسوعة العتبات المدخل ١٤٥ .

قائم بنفسه ليعد مستقلاً، فالعبرة إذن للأبيات لا للشطور، وقد كان العرب يسمون البيت الواحد بيتياً والبيتين نثفة وما زاد إلى السادس قطعة أو مقطوعة وإذا عدت الأبيات سبعاً اعتبرت قصيدة، فالقصيدة في عرفهم لا تقل عن السبعة أبيات.

هذا وما يلاحظه المتتبع أنه قد يمتاز الكثير من النثف والرباعيات والمقاطع على الأغلب بما يتضمن من خواطر جميلة، ومعان مبتكرة، وأمثال شاردة، فقد تعشرُ فيها على أفكار وسوانح ربما لا تجدها في القصائد الطوال، ولعل السبب في ذلك أنها تواتي شاعرها في مناسبات صادقة تكون أقوى تأثيراً في نفسه وأبعد عن التصنع فيسكبها على سجيتها في قطع جذابة يسهل عرضها وحفظها والتمثل بها ولأن القصائد قد يداخلها الحشو، أو ما هو غير مقصود بالذات، أو لأنها لا تظفر من العناية بما تظفر به المقطوعة بالنظر لإيجازها، لذلك قد تتمخض القصيدة الطويلة عن بضعة أبيات تمثل فيها عبقرية الشاعر، وقد يجتمع الإبداع وسمو المعنى في بيت واحد فيسمى بيت القصيد:

أما المقاطيع فالغالب فيها أن تكون لباباً بحتاً وأن تجيء الخاطرة جميلة تدور في خلد الشاعر أو معنى مبتكر يسنح له أو حكمة ثمينة يلهمها فتستهوي النفوس وتأخذ بمجامع القلوب. لذلك اعتاد المؤرخون أن يختاروا النثف والمقاطع عند ترجمة الشاعر لأنها لباب أفكاره.

وبين يدي القارئ جواهر منظومة في صور رائعة، انتزعها الشاعر من أوضاع مجتمعه، ومن البيئة التي يعيش فيها. وإنك لتكاد تلمس من ورائها أفكاره وآراءه وفلسفته في الحياة. وفضيلة العلامة (شبر)

حزمة من عواطف نائرة وتجارب قيمة، تكشف عن روح حساسة وعقلية خبرت معالم الحياة وأشبعتها درساً ومعرفة، حتى استخلصت من بينها هذه الإضامات الفواحة من الحكم والتجارب الحية.

وإذا صح أن الشعر مرآة تعكس نفسية صاحبها بما فيها من رفعة وسمو، أو خسة ودناءة فإن شعر صاحبنا أصدق مرآة لنفسيته بما وهبت من عبقرية فذة، وخلق رفيع بالإضافة إلى ما عكسته من أوضاع بيئته ومجتمعه.

لقد قرأنا منذ نيف وعشرين عاماً في أمهات الصحف والمجلات للعلامة (شبر) رباعيات وثنفاً، كنا نتلقاها بشيء من الإعجاب، كما قرأنا له الكثير من الموشحات والقصائد الطوال الرائعة، وكم كنا نود أن نراها مجموعة في ديوان، وكلما كررنا عليه الطلب بنشرها قابلنا ببسمة نقرأ من ورائها قول الفقيه عمارة الشافعي اليماني المشهور:

فليفتخر بالشعر غيري إنه حسبٌ لثلي ليس بالمحسوب

وبعد فهذه باقية لا تكاد تتجاوز الرباعيات والثنائيات نقدمها للقارئ وهناك سلسلة روائع للشاعر نفسه لا تزال مطوية أذكر منها:

١ - الموشور: وهو ديوان شعره الكبير

٢ - خوالج النفس - قطع شعرية سجل فيها خواطره وآلامه وآماله

٣ - الأنفاس: يحوي الشعر الإجتماعي خاصة

ولطالما وددت إسداء هذه الخدمة للعلم والأدب، والآن فقد حقق الله الآمال فله الحمد على كل حال.

٢ - الموشور:

تتلخص أقوال اللغويين في معنى الموشور بأنه مجسم من البلور ذو

قاعدة ثلاثية الأضلاع وقد تزيد قليلاً. وعرفه الشاعر بأنه أداة من البلور لتحليل النور. ونظمه شعراً بقوله:

أفضل الشعر ما تحدر عنواً وهو ريان من نمير الشعور
ألقت النفس في معانيه نوراً وجلته الألفاظ كالموشور
كم لمسنا بالشعر قلب أديب وقرأناه من خلال السطور
صور أم عواطف تتنزي نخلد القوم في سجل الدهور

وكتب الأستاذ جعفر الخليلي مقدمة إضافية لديوان الموشور قال فيها: والموشور في التعريف هو الشكل الهندسي المجسم من الزجاج القائم على قاعدة مثلثة إذا نظرت إلى النور من إحدى سطوحه تحلل ضوء الشمس في عينيك إلى ألوانه السبعة، وظهرت هذه الألوان من وراء الموشور جليلة واضحة ومن المؤكد أن الشاعر حين سمى هذا الديوان من شعره بالموشور لم يرد به إلا أن ترى به الفكرة الجاثمة في قصيدته أو في أية رباعية أو ثنائية أو بيت يتيم من أبياته واضحاً بكامل معناها ومغزاها دون أي لبس أو إبهام، ودون أية حاجة لتعليل أو مناقشة وهي خاصة من خواص البلاغة والفصاحة العربية، والحق أن شعر السيد عباس كله من هذا القبيل جلي مكشوف لكل عين كما لو كنت تنظر إليه بالموشور.

وأثنى الخليلي في مقدمته أثناء كلامه عن آل شبر على الأستاذ المترجم بقوله: ومن هؤلاء خطيب من أشهر خطباء المنابر الحسينية وهو بعد ذلك شاعر ومؤلف صدرت له حتى الآن ثمانية أجزاء من موسوعة باسم أدب الطف وهي تراجم حياة جمهرة ممن رثوا الحسين بشعرهم منذ القرن الأول الهجري ومن يوم مقتل الحسين عليه السلام

حتى اليوم.

ثم قال في ختام تقديمه للموشور: هذا هو بالإجمال السيد عباس شبر الشاعر عبر الموشور الذي لو لم يتصدى الخطيب البارع السيد جواد شبر ويتحفنا بجمعه والإشراف على طبعه لحرمتنا من متعة متعددة الجوانب من الأدب الرفيع بمبتاه ومعناه.

ج - على صعيد الإصلاح:

لقد كان السيد المترجم من الرواد الأوائل للإصلاح المنهري والاجتماعي وإليك ما عبر عنه بهذا الخصوص على صفحات مجلة الوعي الإسلامي الكويتية تحت عنوان الوعي نواة الإصلاح قال في مطلع كلمته:

من أعذب الكلمات على السمع والروح، كلمة الإصلاح أنها خفيفة على المشاعر لطيفة في الأحاسيس يترشفها السامع ويتمنى تحقيقها ويتغنى بها المجتمع ويهوى تطبيقها، لكن تختلف الآراء في الطريق المؤدية إليها والوصول إلى أهدافها. فالبعض يرى ذلك منحصرأ في تسليم القيادة إلى موجهه حكيم، وهو الذي يقود الأمة إلى ساحل السلامة والنجاة. أما عقيدتي فهي أن أقرب الطرق إلى الإصلاح هو إيجاد الوعي العام في الأمة واليقظة في الشعب والعمل على أن يشعر الكل بواجب المسؤولية، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق الكتابة والخطابة وتعاون الفرد والجماعة فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيتة^(١).

أما محاولاته الإصلاحية فيما يتعلق بمؤسسة المنبر الحسيني فلقد

(١) مجلة الوعي الإسلامي الكويتية. السنة الأولى العدد الثانية سنة ١٩٦٥م.

كان من المبادرين السابقين لصيانة هذه المؤسسة الكبرى من الفوضى والترهل، وحمايتها من الانحدار والتسيب، ووضع الأسس والضوابط للانطلاق بها الى مستوى المسؤولية، والارتقاء الى مصاف المؤسسات الإسلامية الهادفة.

يقول الخليلي في ترجمة الشيخ محمد علي اليعقوبي أثناء حديثه عن الدعوة إلى إصلاح خطباء المنابر: وكان من أنشط العاملين في حلبة الإصلاح والدعوة إلى تهذيب الخطباء هو الخطيب السيد جواد شبر ففتح في مدرسة المنتدى صفّاً خاصاً بتعليم الخطباء فن الخطابة وتهذيب الأخبار التي يروونها وإعدادهم إعداداً يتفق وروح العصر^(١).

ولعمر الحق أن هذه المهمة الشاقة نحن بأمس الحاجة إلى من يشمر عن ساعد الجد ويتصدى لتهذيب وتقويم هذه المؤسسة الهامة لئلا تكون مرتعاً سهلاً لمن هب ودب، وسوقاً سوداء للمتاجرين بدماء الحسين ونبل أهدافه وشرف قضيته.

د - على صعيد التحرك الفكري والثقافي:

هناك من يمتطي تياراً ثقافياً تدفق من جهود غيره، ويركب موجة التحرك الفكري الذي أسسه سواه، ثم يزعم ويتصدر ويدعي!! وينيط كل شيء بعبقريته وإبداعه زوراً وقرصنة وسطواً على جهود الآخرين. بينما كان أبو الكاظم مؤسساً لذلك التيار الفكري ومنطلقاً لذلك التحرك الثقافي، فهو مدرسة فكرية وثقافية بالتأسيس والكفاءة الذاتية.

(١) هكذا عرفتهم ١٥٩/٦، ومجلة الأيمان لليعقوبي العدد الخاص بذكرى اليعقوبي سنة ١٣١٢ هجرية.

لقد كان سيد الخطباء يدير مع أساطين العقيدة عجلة التحرك الفكري والثقافي، كما حدث في المباراة الدولية والمسابقة العقائدية في الكتابة والتأليف التي رفدت مكتبة العقيدة بأنفس المؤلفات في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فإن هذا المشروع الثقافي الهام إليه ينتسب وله ينتمي، عندما تبلور في ذهنه خلال مداولة مع ابن عمه التاجر الوجيه السيد هاشم شبر وعرضه السخي بمبالغ كبيرة قدمها لسماحته على أن يكتب ويؤلف في أهل البيت وهذه الأموال دعماً للجهد ومحفزاً للعمل، فأبى الجواد أن يستأثر ولا يؤثر، ويحتكر لنفسه ذلك العمل دون مشاركة الأقلام البارعة، ومساهمة الكتاب والمبدعين، فانخذ بهمته العالية من تلك المبالغ محفزاً ودافعاً لأرباب الأدب والثقافة أن يبدعوا في التأليف بشخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، واقترح ذلك على السيد الممول لهذه الحركة الثقافية فلاقت استحسانه وارتياحه، فأعلن السيد المترجم برنامج المسابقة، وحدد انطلاقة المباراة ومواعيدها، وتشكلت اللجنة المحكمة، وكانت تتألف من جهايزة العلم والوعى والتقى، الأعلام الثلاثة سماحة الشيخ مرتضى آل ياسين وسماحة الشهيد الصدر وسماحة السيد موسى بحر العلوم، وكان الأستاذ شبر سكرتير اللجنة وأمين سرها ولولب تحركها، فأثمر هذا التحرك الرائع الكتب الآتية:

١- الإمام علي نهراس ومتراس: للكاتب اللبناني المعروف الأستاذ سليمان كتاني الذي أحرز الجائزة الأولى بتلك المباراة، وأحدث الكتاب دويماً في الأوساط الأدبية والاجتماعية، وقد قدم له الكاتب العراقي الكبير المرحوم جعفر الخليلي مقدمة موسعة أثنى في ثناياها على الأستاذ شبر وجهوده الجبارة في إحداث هذه الحركة الفكرية والثقافية، وما أحدثته من نشاط وعطاء في رحاب مدرسة أهل البيت وعميدها

الأول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. كما قرص الإمام المقدس الشيخ مرتضى آل ياسين رئيس جماعة العلماء في النجف الأشرف ورئيس لجنة المباراة الكتابية، الكتاب والكاتب وشكر نيابة عن الجمهور المؤمن الموالي للإمام علي الأستاذ المؤلف والعناصر الفاعلة التي أحدثت هذا الانجاز العظيم فقال فيما قال قدس سره: فشكراً لمؤلفه الأملعي من كل ولي للإمام علي عليه السلام، ثم شكراً للذوات الخيرة التي مهدت السبيل إلى انجاز مثل هذا الكتاب الفذ وغيره من الكتب المشاركة له في الموضوع، وأخص بالذكر منهم السيدين الشريفين فضيلة الخطيب البارع السيد جواد شبر الذي كان بجهوده المثمرة المشكورة أكبر الأثر في نجاح هذا المشروع، والماجد الكريم السيد هاشم شبر الذي تبرع من ماله الخاص بكل الجوائز الثلاث ... الخ.

٢- الكتاب الثاني هو ملامح من عبقرية الإمام بقلم الدكتور مهدي محبوبة، وأود الإشارة إلى أنه قرين الشاعرة العراقية المعروفة الدكتورة نازك الملائكة، ويقع الكتاب في مائتين وثلاثة وثمانين صفحة من القطع الكبير، وأشار في مقدمة الكتاب المذكور إلى ازدحام الأفكار التي راودته عن التأليف في شخصية الإمام علي (ع)، التي قال عنها بأنها قضية الإسلام الكبرى، قضية أكبر شخصية بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما أشار إلى أن التأليف في شخصية الإمام علي لم يقتصر على الأقلام الشيعية فحسب، بل لم يكن نصيبهم في التأليف أكثر من بقية الطوائف الإسلامية الأخرى قديماً وحديثاً وذكر من المعاصرين الأستاذ جورج جرداق (ودائرة معارفه) صوت العدالة الانسانية، والأستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود وسفره القيم (علي بن أبي طالب) وعباس محمود العقاد وكتابه عبقرية الإمام،

واحمد تيمور وكتابه علي بن أبي طالب، وطه حسين وكتاب علي
وبنوه، وتوفيق الفكيكي وبحثه الممتع الراعي والرعية وغير ذلك ...
الخ.

يقول الدكتور محبوبة: وبينما أنا والأفكار تراودني والحب يؤججني
بأن أقرن اسمي باسم الإمام وبقيمه، وإذا بالسيد الخطيب جواد شبر
يناولني رسالة كسكرتير لجنة بعثها الخير لمقارعة القلم في الإمام (ع)
وكان قوام تلك اللجنة:

سماحة الإمام الشيخ مرتضى آل ياسين.

والعالم المحقق السيد محمد باقر الصدر.

وحجة الإسلام السيد موسى بحر العلوم.

وبعد هذا التبليغ اندفعت في صراع نفسي حاد بين حب المساهمة
وبين ضيق الوقت، وللمساهمة حدود زمنية ضيقة (بالنسبة لي)
ولازمة، ولكنني التمسست القلم فأودعني القدر إلى حيث أريد وبمقدار
ما يتسع البحث في الإمام لسعة آفاقه يضيق بكثرة الباحثين فيه
والمتبعين لسيرته وعلى المرء أن يأتي بجديد.

٣- الإمام علي رجل الإسلام المخلد تأليف الأستاذ عبدالمجيد
لطفی ويقع في مائتين وثمانية وعشرين صفحة صدره السيد سكرتير
لجنة المباراة بالكلمة الآتية:

كانت بحمد الله هذه البذرة كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل
سنبله مائة حبة. لقد بارك الله فيها فتمت وأزهرت وأينعت وآتت
أكلها.

ما كان بالحسبان أن تنتشر هذه الفكرة هذا الانتشار فتقرضها

الصحف والمجلات وتذيعها أقاصي المحطات العالمية ثم تشجيعها وتطريها.

لقد كنت متخوفا يوم أعلنت الفكرة لأن البيئة لا تشجع أمثال هذه المشاريع أو لأن الذهب لا يحمى في موطنه والجوهر في معدنه ولكن شات عناية الله أن تهتف بي: لا تخف ولا تحزن.

وإذا الكتاب الأول والحائز على الجائزة الأولى تنفذ طبعته الأولى والثانية بأكثر من عشرين ألف نسخة، وما زال الطلب عليه بعد لم ينقطع وهكذا الكتاب الثاني ما كاد يخرج إلى المكتبات حتى أصبح عزيز المنال، وها هو المؤلف يضيف عليه حلة جديدة ليعيد نشره من جديد، أما الكتاب الذي بين يديك - الكتاب الثالث - والحائز على الجائزة الثالثة فقد أخرجت المطبعة منه بضعة آلاف وفي بضعة أيام أصبحت دور النشر تطلب المزيد منه مما اضطرنا لاعادة طبعه وذلك بتشجيع العلماء الأعلام دعاء الخير وهداة البشر وحملة الرسالة الانسانية وفي مقدمتهم سيدنا الآية العظمى المحسن الحكيم الطباطبائي دام ظله، وصاحب السباحة الآية الكبرى سيدنا السيد أبو القاسم الخوئي دام تأييده. فقد كان من هذين العاملين الجليلين والمرجعين الكبيرين مبدأ التشجيع جزاءهما الله أفضل جزاء المحسنين.

٤-- الإمام علي أسد الإسلام وقديسه: للأستاذ روكس بن زائد العزيزي، وقد اشترك الكتاب في المباراة المذكورة ولم ينل جائزة مادية فيها وبهذا الصدد كتب الأستاذ المترجم في تقديمه للكتاب المذكور ما يلي: وإذا لم ينل الكتاب جائزة مالية مادية، فقد حاز على الجائزة الروحية المعنوية وتكون جوهرة أثنى من أختها فليس معنى ذلك أن الأولى تفقد قيمتها فلكل ورد رائحة وتفضيل شيء على شيء لا

يستلزم الهوان في المفضول إضافة إلى أن لكل اجتهاد حكماً واتجاهاً
خاصاً.

وهذا الكتاب من أنفس الكتب وأمتعها جمع فأوعى، وحلل نفسية
الإمام فأجاد التحليل، ووقف على خزائن درر الإمام وكلماته القصار
فاختار أضوأها وأنورها. ثم قال: ولا غرابة إذا اطلع علينا العزيزي
بهذا الكتاب فهو من المسيحيين الذين يعشقون الفضيلة وعلي قدوة
لهذه الفضيلة ولا أبلغ إذا قلت أن مشروع المباراة الكتابية عن الإمام
كان العزيزي أكثر من عاضدني وساعدني بداعي تلك المثل، فقد
كانت رسائله أمتع للنفس من لقاء الحبيب وأعذب من نسيمات الفجر
وأجمل من الزهر وكانت تبعث في النفس روح الأمل ومواصلة العمل
فقد قام بنشره عن فكرة المباراة وعن الكتابة عن شخصية الإمام في
صحف الأردن، وحمل دار الإذاعة الأردنية على إذاعة النداء الذي
وجهناه إلى أعلام الفكر للاشتراك في الكتابة عن علي عليه السلام. ثم
تجشم عناء السفر وحضوره المهرجان الكبير الذي عقد في كربلاء
المقدسة - مدينة الحسين بن علي عليه السلام - وأسهم بالإلقاء
والتحدث بكلمة نفيسة عذبة موجزة تشبه المعجزة. فله درك يا أبا
عادل.

هـ - علي صعيد الشعر الشعبي :

تصدى السيد المترجم للاهتمام البالغ بهذا الفن النابع من الضمير
والوجدان الشعبيين فترى عدة دواوين لفحول الشعراء الشعبيين
تنصدرها كلمة الخطيب الاجتماعي المجدد السيد جواد شبر، وهذه
لائحة بما عثرنا عليه في هذا الصدد:

١- شعراء الحسين للأديب الفاضل الحاج محمد باقر الأيرواني

النجفي قدم له السيد المترجم بما يأتي:

بين يدي القارئ مجموعة من الأدب الشعبي وعصارة شعور زمرة
من الأفاضل المجيدين من شعراء أهل البيت عليهم السلام الذين
نصروا المبدأ وساندوا العقيدة وناضلوا عن الحق على حد قول:
(المهيار الديلمي)

وما فاتني نصركم باللسان إذا فاتني نصركم باليد

ثم قال: وهذه الباقية من الأزاهير الفواحة والنعمة الشجية بترنيمها
لصدي (يوم الحسين) يقدمها لك الأديب النابغ والخطيب البارع
والشاب الأملعي (محمد باقر الأيرواني) أحد أفاضل المنبر الحسيني
يختارها من جمهرة الشعراء. ثم ختم كلمته بقوله: لتدم لأديبنا الشاب
الناهض هذه الفتوة وليسلم له هذا النشاط بدعاء الخطيب السيد
جواد شبر.

٢- ديوان الهداية الحسينية للشاعر الشيخ هادي القصاب توجه
شاعره بمقدمة رائعة وكلمة ممتعة للسيد المترجم جاء في آخرها: إن
الذي أكبر هذا الأديب بعيني وأحلّه في نفسي المحل العظيم هو قصر
مواهبه على مدائح ومراثي أهل البيت صلوات الله عليهم دون أن
يتسكع على الأبواب مادحاً وراثياً ومستجدياً، وعقيدتي أن هذه الميزة
الطيبة والنية الخالصة هي التي أكسبته هذه الشهرة الواسعة في دنيا
الشعر الدارج.

كما قدم للجزء السابع من الديوان المذكور بكلمة قيمة جاء فيها:
إن هذا الديوان يشرح لك فلسفة النهضة الحسينية والسياسة العميقة
التي انتهجها سيد الشوار وأبو الأحرار والثائر الأول في الإسلام،
يشرح كل ذلك بنظم مقبول ودليل معقول يتمشى مع المنطق، وليس

هذا النظم كنظم البعض المتطفلين على الشعر والذين ينطبق عليهم
قول القائل:

حسبوا الشعر قوافٍ سلسلوهم ووزنا
فأقاموا الشعر فيه خالياً عن كل معنى

ثم قال: وجدير بالمجتمع اليوم أن يقف على تاريخ أبطال الإسلام
وأسرار حركاتهم، فإن الحركة الحسينية كتب عنها الفلاسفة ونظم فيها
المفكرون بكل لسان وفي كل عصر منذ أربعة عشر قرناً وستبقى
نبراساً وإشعاعاً للأمم تستمد منه النخوة والبطولة.

إن مواقف هؤلاء الشعراء أمثال الشيخ هادي القصاب بلغتهم
الشعبية لها أكبر الأثر في الرأي العام فلا تقل عن تأثير أبلغ خطيب
وأكبر مرشد وأعظم مصلح، انهم يعرفون كيف يكون التصرف في
الأحاسيس والعواطف، وكيف يتصرفون في القلوب والمشاعر وكيف
يستخدمونها ويوجهونها نحو الهدف السامي والفضائل والمكارم.

٣- قدم للروضة الدكسنية للخطيب المرحوم الشيخ محمد حسن
دكسن ترحم في مطلعها على خطيب الروضة وشاعرها، وأثنى على
خلقه العالي، وتحدث عن خدماته المنبرية قائلاً: لقد كرس حياته من
المهد إلى اللحد على خدمة المنبر وسهر على إحياء مآثر المبدأ
الإسلامي، وبث المعارف عن طريق الخطابة ونشر الأخلاق الإسلامية
بارعاً في أسلوبه وبيانه مؤمناً بما يقول، عاملاً بما يدعو إليه، هكذا
استمر الشيخ محمد حسن يقرع الأسماع ويرتقي الأعواد أكثر من
نصف قرن، يجلجل صوته في منابر النجف والمحمرة والبصرة وعبادان
وغيرها من أمهات المدن وشاع ذكره، وذاع وملاً الأسماع وأصبح
الناس يترشفون سماع خطابه ويتمنون الجلوس تحت منبره، وما يكاد

يهل هلال المحرم إلا ويصمت الدهر لما يتحدث به الشيخ محمد حسن
واخوانه من أبطال ذاكري الحسين ودعاة مبدأ أهل البيت.

ثم تحدث عن رسالة الخطيب فقال: المنبري بمعناه الصحيح
صاحب رسالة يوجه الأفكار ويهذب العقول، ويعالج النفوس من
أمراضها، وإن المجالس مدارس، لقد أصبحت محافل الذكرى لأهل
البيت من أكبر عوامل الرقي في الحياة، وهي الوسيلة الوحيدة للتعلم
والتزاور، ومن أثرها المحسوس أن ترى الرجل الأمي وكأنه خريج
مدرسة يسرد الوقائع الإسلامية والنوادر التاريخية والشذرات الأدبية
والحكم الأخلاقية ويتحلل بالملكة البيانية في قوة الحبك والبرهان
المنطقي وكأنه درس ومارس علم الكلام وأحكم حدوده وقياساته
وكان الهدف الذي يرمي إليه سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين سلام الله
عليه من نهضته المباركة على هذه الصورة المشجعة هو تأسيس مثل
هذه الاحتفالات وتوليد هؤلاء الخطباء لتصبح هذه النهضة عبرة
وعبرة.

عقيدي أن أكبر قسط من الجهاد يقوم به اليوم هم خطباء المنبر
وهو أفضل أنواع الجهاد، فإن الجندي بجهاده يفتح حصناً والمنبري
ببيانه يحمي أمة ويوقظ العقول ويفتح البصائر. ثم ختم كلمته بقوله:

وحسبك أن تردد هذه المجموعة الشعرية بتأمل فانك ستعتقد
جازماً بأنها خرجت من قلب مكلوم ونفس مهموم، وفؤاد جريح
لمصيبة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

٤- ديوان الحاج زاير الشاعري العراقي: كتب السيد في
تصديره معروفاً بالحاج زاير أنه (كان رحمه الله نابغة الفن ومجدد الأدب
الشعبي ولا يكاد يذكر اسمه إلا وتشرح له الصدور لرقته السحرية

ومعانيه الجذابة وتمثل للسامع معاني الشعر مجموعة في هذا الاسم).
 أجل هو الحاج زاير فهناك اللطافة والاحساس الرقيق والمتانة
 العريية والكلام الجزل والقول الفحل لا يكاد يخلو من معنى مبتكر
 أو مثل سائر لذلك تجد شعره متغلغلاً في أعماق النفوس متمازجاً في
 صميم المشاعر يحفظه الحكيم والأديب والحضري والريفي والبدوي
 وهذه الميزة قل ما نجدها لغير شاعرنا الموهوب، وأنا شخصياً طالما
 تحاشيت أن أستشهد بيت عامي في خطاباتي المنبرية عدا شعر الحاج
 زاير، ولا تكاد تقسراً له بيتاً من الموالم والأبودية أو غيرها إلا ودونته
 يد كاتب أو استملته منك أريجية أديب وحسبك شاهداً على نبوغه،
 وقد مضى على وفاته أكثر من أربعين عاماً ولم يسمع الزمن بمثله أو
 يقدر أحد من أرباب فنه أن يضاهيه أو يظهر عليه بجودة شعره أو
 يزاحمه في اختصاصه فهو حي وسيقى حياً بمعانيه الرصينة وبدائعه
 وروائعه الزاهية كقطعة نقود.

وهكذا يستمر في الإشادة بشاعر الولاء والعقيدة ويعطي صورة
 ناصعة عن قابلياته الشعرية، ثم يختم كلمته بالثناء والشكر لناشر
 الديوان الأستاذ الخطيب محمد باقر الأيرواني الذي أحيا هذا الأثر
 النفيس.

٥- ولعل من أشهر الكتب المطبوعة في الشعر الشعبي الحسيني
 كتاب (منهل الشرع) في جزئين، وقد كتب السيد المترجم لكل جزء
 مقدمة رائعة أشار في المقدمة الأولى إلى المساهمة الكبرى للأدب
 الشعبي في تكوين أدب الطف فقال: إن لشعراء اللغة الدارجة مساهمة
 كبيرة في تكوين أدب الطف لم تزل تذكر فتشكر، وأثر فعال في توجيه
 القلوب إلى مظلومية أهل البيت صلوات الله عليهم، وفضل كبير في

ترسيخ جوهر العقيدة في النفوس، فليس من السهل على الكاتب أو الخطيب مهما أوتي الواحد من هذه الزمرة من المهارة أن يؤثر في نفوس السواد ما يؤثره شاعر اللغة الدارجة وليس باستطاعتهم أن يعيشوا الشجى بهذا اللون المحبوب للنبي والأئمة صلوات الله عليهم في نفس المرأة الرقيقة، والطفل الصغير، ويصوروا الفاجعة بهذه الصورة الجلية، ويشيروا العواطف طافحة بالولاء لمظلومية أهل البيت مغمورة بالدموع ما يمثله شعراء الحسين عليه السلام. ثم استطرد في كلمته عن مواقف أئمة أهل البيت من تشجيع الشعر والشعراء حتى أصبح الشعر شيعياً على حد قول الشاعر: (وهل وجدت أديباً غير شيعي). ثم طفق على كلمته الحس السياسي والجانب الثوري فقال: وكم لهذا النوع من الشعر من أثر في نهضة العراق المدوية تلك الثورة الخالدة المباركة الناهضة بوجه الاستبداد الأجنبي المتسلط، وما ذكرى ذلك اليوم ببعيد عن الأذهان فقد كان لشعراء اللغة الدارجة حصة الأسد بتلك الحركة الجبارة التي أكسبت العراق كل هذا المجد الخالد والشرف الحي. ثم أثنى على فضيلة السيد الشرع صاحب الديوان وأشاد بقدرته الخلاقة في عالم الأدب الشعبي وعبر عنه بأنه فنان بارع يحرك أوتار القلوب فيستثير شجاءها، ويعرف بشخصيته وأنه ليس بالضرورة أن يكون الشاعر الشعبي من عوام الناس فهو من أرباب الفضل والفضيلة العلمية مثله كمثل العديد من أقرانه من أهل العلم الذين نظموا باللهجتين الفصحى والدارجة، ويختم كلمته باستعراض سلسلة نسبه المنتهية إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. بعد ذلك نطلع على الجزء الثاني فنرى السيد المترجم كذلك يصدره بكلمة قيمة عن تميز الشاعر الشرع عن الكثير من زملائه الشعراء برقة المعاني وعدوبة القول فقال: لقد امتاز بالشجاء وعرف بالذكاء

حتى ليكاد شعره يسيل رقة وعذوبة وكأن استدرار الدموع من
مميزاته. كما ألمح الى اقبال خطباء المنابر الحسينية على استظهار شعره
وانشاده في محافلهم وحسينياتهم، ثم يعرف شخصية السيد الشرع
ومبادئ دراسته للعلوم الدينية وبعض أساتذته، ثم شعره الفصيح
والدارج، ويستشهد على فصاحته بالبيتين المكتوبين على صورته في
واجهة ديوانه وهما:

صورقي تنبيكَ عما أكتُمُ فهي عنوانُ حياتي الواضحة
لمعتُ أسرارها نيرةً في سطور بينَ عيني لائحة

وأخيراً قال: خمدت هذه الشعلة الوهاجة، وانطفأت هذه الشمعة
الوقادة ولكن أثرها في القلوب وأنوارها لم تزل تنير العقول وكأنه لم
يمت.

وهكذا نرى سيدنا الأستاذ كئلة من النشاط والحيوية والمسؤولية،
يفتتح مسجد في الناصرية فترى كلمته تدوي في محفل الافتتاح مشجعاً
ومباركاً ويعقد احتفال في بغداد فترى صوته مجلجلاً هادراً، ويقام
محفل في البصرة فتراه الخطيب المصقع الذي أخذ بمجامع القلوب
وتفتتح مدرسة دينية في النجف الأشرف، فترى قصيدته هي قصيدة
الحفل العصماء، أو كلمته هي الكلمة القيمة. ثم تتصفح بعض
المجلات أو الصحف فتراه الاسم اللامع الذي يزين الصفحات
بكلمة أو قصيدة وتطلع على بعض المؤلفات فترى تقديمه وتصديره
يفوح منه عبق الولاية وحرارة العقيدة، وهكذا تراه مؤسسة عملاقة
في الفكر والعقيدة والأدب ومدرسة متنقلة جواله في النصيح والتوجيه
وتهذيب النفوس وتقويم الأخلاق بما أوتي من شخصية مؤثرة
وأسلوب تربوي موفق.

وأرشه المخطوطات :

تقع مكتبة المدرسة الشبرية في الطابق الثاني فوق المسجد وقاعة التدريس، وتطل على الباحة الرئيسية للمدرسة المذكورة وقد حفلت بنفائس الكتب، وأمهات المصادر، ونوادير المطبوعات ومن ذلك خزانة الكتب التي خلفها الحجة العلم السيد عبدالله شبر وهي تراث غزير المادة متنوع العلوم والمواضيع كالتفسير والعقائد والفقهاء والأصول والتاريخ والفلسفة والمنطق والطب وغيرها.



وقد انتقل هذا التراث بعد رحيل عملاق الأسرة السيد عبدالله شبر لولده السيد جعفر ثم لحفيده السيد محمد بن السيد جعفر فأصبح هذا الأخير المتولي الشرعي على خزانة الكتب الشاملة لمؤلفات جده

المكتوبة بخطه وغيرها من الكتب الأخرى، وهو أول من انتدب ممثلاً دينياً في مقاطعة البصرة من قبل المرجعية العليا في النجف، ولما استقر به الحال في البصرة نقل المكتبة المذكورة إلى هناك وبقيت إلى أن توفي سنة ١٣٤٦ هجرية الموافق ١٩٢٨ م. تولى الاشراف على شؤونها ولده السيد عباس واعتنى بها اعتناء بالغاً، ثم أوصى في آخر أيامه أن تنقل إلى مكتبة المدرسة الشهرية بناء على وقفيتها التي تنص أن الولاية الشرعية تكون للعالم الفقيه الأكبر من رجال الأسرة، وهذا ما ينطبق على الحجة السيد علي شبر مؤسس المدرسة ومكتبتها، فانتقلت إليها الخزانة باشراف الأستاذ الجواد ثم آلت إليه ولايتها الشرعية بعد وفاة أبيه وانحصرت في شخصه رعاية شؤون المدرسة والمكتبة والمخطوطات، وهي مخطوطات قيمة باللغتين العربية والفارسية تعود إلى أزمنة تاريخية مختلفة تقع بين القرن السابع والرابع عشر الهجريين، وأقدم المخطوطات في هذه الخزانة هو ديوان أبي تمام الطائي (وهو نسخة فريدة) ثم استساخها في اليمن سنة ٦٢٠ هجرية أي قبل ما يقارب ثمانمائة سنة جمعها حمزة الأصبهاني ورتبها أبوبكر الصولي على حروف المعجم^(١). ومن بعده مخطوطة أخرى تحت عنوان (الرسالة الموضحة) وهي في علم الكلام للمظفر بن جعفر بن الحسين وقد كتبت في المدرسة النظامية ببغداد سنة ٦٥٢ هجرية، وتضم الخزانة كتباً أخرى كتبت في فترات مختلفة بالتاريخ المذكور وبعضها بخطوط مؤلفيها.

وقد جرد الأستاذ الطريحي على صفحات الموسم المتع ووضع

(١) الموسم ١ / ٢٠٣ .

(٢) المصدر السابق .

احصائية مفهومة لثلاثائة مخطوطة، وثبت عناوينها ومواضيعها واسماء مؤلفيها وبعض شؤونها^(٢).

فلما آلت نفائس المخطوطات إلى تولية الأستاذ شبر شمر عن ساعد الجد وأنبرى بمسؤولية وحرص لتنسيقها وتهذيبها والحفاظ عليها لولا أن يد البغي عاجلته فأودعته في ظلمات السجون وحرمت المجتمع من عطاء زاخر وبحر متلاطم وثرثرة كبرى في مختلف أبعاد المعرفة الانسانية.

★★★★★

رهين الحبوس :

﴿رب السجن أحبُّ إليَّ مما يدعونني إليه﴾^(١). هذه الآية هي شعار الطراز المتميز من رجال العقيدة وصناع التاريخ وأبطال المواقف الذين يصرخون بوجه الباطل ويقتحمون قلاع الشر، ويرفضون المهادنة مع الجلادين والقتلة وأعداء الانسانية غير هيايين ولا عابئين بالموت أو السجن وهم يرددون:

واسحق جباه الملحدين مردداً لا السجن يرهبني ولا الاعدامُ فيلتجأ حينئذ الملحدون والفراعنة بمكر وجبروت الى مواجهة هؤلاء الأحرار والشرفاء وخنق أصواتهم وتكبييل حرياتهم وزجهم في دياجير الحبوس وطوامير السجون.

ومنذ أن تسلم العفالقبة الارهابيون مقاليد السلطة في العراق اندلعت المواجهة الساخنة بينهم وبين علماء الدين وخطباء المنابر الحسينية بصورة خاصة، ثم اتسعت لتشمل بمرور الأيام كل طبقات

(١) يوسف / ٣٣ .

المجتمع من الطلاب والعمال والأطباء والمحامين والمهندسين والفنانين والمفكرين والمثقفين وسائر الفئات الأخرى، وكان هذه العصاة جاءت للمواجهة الحقيقية والتسلط على رقاب الناس ومحاربتهم في معتقداتهم وملاحقتهم على لقمة العيش.

وكان العلماء والخطباء أول من حذر من الخطر الداهم والمستقبل القاتم لهؤلاء المتفرعين مما جعلهم يستعينون في مقارعتهم وتبجح خطواتهم بشكل محموم فقتل من قتل واعتقل من اعتقل ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾^(١).

وهناك من نجى بنفسه وفر بدينه ليعيش في المهجر والمنفى ويعاني محنة الغربة وويلاتها ومعاناتها ومن بين رجال العقيدة الذين وقعوا في قبضة النظام الدكتاتوري هو الخطيب المجاهد السيد جواد شبر فلا زال يرزح للعقد الثاني تحت رحمة الجلادين وفي دهاليز أقيبتهم الرهيبة منذ أربعة عشر عاماً فقد اعتقل في الشهر السابع من سنة ١٩٨٢ م. وهو مجهول الحال والمصير إلى يومنا هذا ولا يعلم عنه شيء قطعي أهو حي أو ميت؟؟.

ولا يخفى أن ظروف اعتقاله كانت في ذروة الجنون البعشي وفي أوج الشراسة والبطش وإراقة الدماء، حيث المطاردة المستيرية للجماهير المؤمنين على الساحة العراقية، والحرب الظالمة مع الجارة إيران تدور رحاها لتطحن شباب الوطن وزهور المستقبل وحدثني ولده الخطيب الأمين بأن والده تعرض للاعتقال عدة مرات قال له في أحدها: أتظن يا ولدي أن هؤلاء لا يعدمونني؟ فقلت أبعد الله الشر عنك يا أبي ولماذا؟ قال: من أبسط الذرائع والمستمسكات التي في أيديهم لماذا

(١) الأحزاب / ٢٣ .

تستعرض على منابر كظلامه الزهراء وهذا حديث يثير الطائفية بزعمهم وفيه مساس بالمسلمين الأوائل!! وكان السيد شديد التمسك وثيق العلاقة ساخن الاعتقاد فيما يتعلق بالصديقة الزهراء عليها السلام وقد ألححت فيما مضى إلى مجالسه الفاطمية في النجف وكان من أشهرها مجلس السيد المستنبت الذي كان في مقدمة رواه السيد الخوئي حيث يرى واضعاً عمامته ومجهشاً بالبكاء وخطيبنا يعزبه ويخاطبه باسمه بين الآونة والأخرى، وكذلك السيد الشهيد الصدر والسيد الشاهروودي وغيرهم من مراجع الدين كما حدثني أن إذاعة الكويت طلبت منه تسجيل برنامج خاص في عدة حلقات في السيرة والتاريخ ولكن اشترطوا عليه إذا جاء ذكر النبي يقول ﷺ بدون آله، وكان ذلك مقابل جعل وأجر مغري فرفض بإباء وأنفة أن يتنازل عن ذكر أهل البيت وقال بماذا سأجيب جدي الزهراء لو عاتبته لماذا تخلت عنا يا ولدي؟ أمن أجل حفنة من الأموال الزائلة؟ ولا أدري لماذا التحامل على آل محمد وهم عدل الكتاب وتراجمة القرآن وقد نصت الأحاديث المقدسة لا تصلوا على الصلاة البتراء ولماذا هذه العقدة من آل الرسول وقد ورد في كيفية الصلاة على النبي: اللهم صلي على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم. وما ذلك إلا من مخلفات الصراع التاريخي المرير الذي كان بين أهل البيت وخصومهم. فيقول التاريخ أن عبدالله بن الزبير بقي أربعين يوماً لا يصلي على النبي (ص) في خطبته حتى إلثاث عليه الناس فقال أن له أهل بيت سوء إذا ذكرته اشربت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر أعينهم بذلك، وكذلك زياد ابن ابيه في خطبته الشهيرة بالبتراء^(١) بالاضافة إلى صلابته المبدئية وتاريخه العريق في مقارعة

(١) من لا يحضره الخطيب ٢ / ٣٢٢ .

الاحاد والتيارات الهدامة أيام الشيوعيين، فقد كان اللسان المدوي والصوت المجلجل لمرجعية السيد محسن الحكيم في ترويح الفتوى التاريخية (الشيوعية كفر والحاد) ثم صلته بالامام الخميني، وخطاباته في مجالسه، فعندما توفي تجله الأكبر السيد مصطفى الخميني وقف السيد الجواد مؤبناً في مراسم العزاء ومشيداً بالسيد الامام ومخاطباً جماهير المعزين متنبئاً بقوله: ستعلمون أن هذا الرجل العظيم ماذا سيفعل بالدينا؟!.

وإشادته العلنية فوق المنابر بشخصية السيد الشهيد الصدر في ظروف حالكة لا يستطيع معها أي جريء أن ينس بينت شفة، تراه يدعو لسماحته ويؤشر إلى عظمته غير مبال ولا هيأب.

ومن الشواهد على ذلك أنه رقى المنبر في آخر يوم من شهر صفر بمجلس حاشد بجمهور غفير من الشباب في بيت الشيخ محمد علي (أبو الزوالي) في النجف، وكان السيد مسترسلاً في حديثه عن هجرة النبي (ص) بينما هو كذلك إذ ارتفعت أصوات الشباب بالصلاة على محمد وآل محمد، فالتفت السيد وإذا به الشهيد الصدر يدخل إلى المجلس، فغير السيد الخطيب مجرى حديثه إلى تمجيد العلم والعلماء والاشادة بفضلهم ومواقفهم وختم المجلس بالدعاء للشهيد المظلوم مع ملاحظة أجواء التوتر والارهاب يومئذ وخصوصاً فيما يتعلق بمرجعية السيد الصدر والقنوات المتصلة به.

وكان الشهيد الصدر يعقد محفلاً حسينياً في شهر رجب بمناسبة ذكرى شهادة الامام موسى بن جعفر شهيد الحبوس. في داره الواقعة بطرف العمارة وترى المجلس مكتظاً بطلبة العلوم الدينية والشباب الرسالي المثقف، وكان الخطيب هو الأستاذ المترجم، فيستعرض حياة

الامام موسى بن جعفر وظروف اعتقاله ومقارنته للظالمين وأبعاد سيرته، فإذا ما انتهت أيام العزاء، توجه السيد الصدر بنفسه إلى بيت سيدنا المترجم لتقديم مراسم الشكر بكل خلق وتواضع.

وهكذا نرى الأستاذ شبر شخصية ترمقها الأبصار باعجاب وإكبار وتقدير، فهو معتمد العلماء وموضع ثقتهم، وهو اللسان المعبر عن هموم المرجعية الدينية وسائر شؤون الأمة، وله الرصيد الكبير في أوساط الجماهير العامة محبة واعتزازاً، كما له شبكة علاقات واسعة مع مختلف طبقات المجتمع. فمثل هكذا شخصية ذات ثقل اجتماعي خطير، تحتل مكانة عليا في النفوس والقلوب، ولها التأثير المباشر على الساحة الاجتماعية العريضة، تكون هدفاً شريراً للمتربصين السوء بهكذا شخصيات مرموقة، فاما أن تنظم تحت لواءهم وتبارك طغيانهم وهيئات ذلك واما أن يكون المصير السجن أو الموت. يقول النجل الأصغر لسيدنا المترجم الخطيب السيد أمين عن أحد معارفه أنه التقى في الهند بأحد عملاء النظام وكان يتولى تعذيبه عندما كان سجيناً، ولكنه لم يعرفه لتغيير ملامحه، فاتصل به وتظاهر بأنه من المواليين للنظام، وسأله عن بعض المساجين وبينهم السيد جواد شبر، فقال: إن أمر هذا الرجل لعجيب، فقد اجتمع مدير الأمن بضباطه ذات يوم ودار الحديث حوله وكيفية التعامل معه وأخيراً قرروا استماتته وتقديم العروض المغرية لتبديل موقفه، فاجتمعوا به وتحدثوا معه بأنك شخصية عراقية هامة، ولك المواقف المشهودة، والخطب المؤثرة، والكلمة المسموعة في أوساط الشعب، فلا نريد منك سوى أن ترقى المنبر في الصحن الخيدري أو أي مكان عام وتخطب مشيداً بالسيد الرئيس وتشجب ما يقوم به الخميني اتجاه العراق ... الخ!!.

ويذكرني هذا المكر بمكر معاوية عندما طلب من الأحنف بن قيس بأن يرقى المنبر ويمتدح يزيد فقال لو تركتني لكان خيراً قال لماذا: قال لأمرين: إذا صدقت أغضبتك وإذا كذبت أغضبت الله. فلما طلبوا ذلك من السيد مقابل إطلاق سراحه وإعطاءه جواز سفره وبعض الاغراءات الأخرى، أخرج السيد لسانه وقال: إقطعوا لساني خير مما تدعونني إليه.

تحية لك أيها البطل ومرحى لصلابتك أيها العظيم وطبت حياً وميتاً والسلام عليك كلما بدأ يعود ورحمة الله وبركاته.

أقوال مهاطويه :

★ قال الفقيه المظلوم الشيخ محمد تقي الجواهري: السيد جواد ليس له نظير في خطابه فهو يركز العقيدة.

المناهج الحسينية، تقديم: علي محمد علي دخيل

★ وقال العلامة الشيخ قاسم محيي الدين:

الجواد هو رجل المناسبة وأمل المستقبل في الخطابة.

خطباء المنبر ١/١٣٧

★ وقال العلامة العبقري الشيخ محمد جواد مغنية في ختام تقديمه لموسوعة أدب الطف: وختاماً نسجل تقديرنا لخطيب المنبر الحسيني الكفو صاحب هذه المجموعة التي ضاعفت حسناته بعدد أبياتها وشهدت له بالتتبع وسعة الاطلاع.

أدب الطف ١/١٦

★ وقال الأستاذ الأديب علي الخاقاني في شعراء الغري:

والسيد جواد أديب ذكي وخطيب شجاع يعبر عن كثير من الآلام التي يتحسسها مجتمعه ويندفع في تصوير ما يراه صالحاً لقومه بلهجة يغلب عليها الحماس ويتخللها لون من الثورة النفسية، والحماس القومي فقد تصوره فريق أنه يتصنع ذلك غير أن من عرف سلوكه يعرف أنه صادق بتعبيره.

شعراء الغري ٢/ ٤٧٢

★ ووصفه الدكتور الشيخ محمد هادي الأمين في معجمه:

عالم فاضل خطيب متكلم شاعر مجدد مؤلف مؤرخ متتبع نظم الشعر وجاهد بقلمه ولسانه في سبيل عقيدته ورسالته ونشيعه الذي يعتبر بحق الاسلام الصحيح. كتب بحوثاً ومواضيع توجيهية وأدبية في الصحف دلت على تفوقه العلمي ونضوجه الأدبي، اعتقلته السلطة الرعناء في شهر رمضان وضاع خبره حتى هذه الساعة.

معجم رجال الفكر ٢/ ٧١٣

★ وقال المرجاني في خطباء المنبر:

هو أحد حسنات التجف الأشرف وأحد خطبائها البارزين وتراه إذا رقى ذروة المنبر انحدر كالسيل المتدفق واسع الرواية قوي الحججة.

١٣٦/١

★ وقال صاحب كتاب ومضات الشباب:

اجتمعت له أسباب التوفيق في الحياة من انتشار صيت وحسن حال واستيعاب معرفة ورخامة صوت ونشاط أدبي ملموس الأثر فانطلقت خلفه عيون فريق من مرتقي المنابر الذين يشاركونه المزاولة ولا يشاركونه المؤهلات والمقام.

مشهد الامام ٤/ ١٥٤

★★★★★



الشيخ أحمد الوائج

الشيخ أحمد الوائلي



اعتادت الطبقات العامة من الناس بما في ذلك العوام من طلبة العلوم الدينية، والمتطفلين على السلك المنبري، أن تنظر إلى المشاهير والشخصيات التي احتلت موقعا متميزا من الصيت والشهرة بمنظار خارق للموضع الاعتيادي، وتقوم هؤلاء بمقياس يتجاوز المقاييس الطبيعية، وتتعامل معهم بمنطق الانبهار والتعظيم فتضفي عليهم من النعوت والتصورات الساذجة، وتحيط تلك الشخصية بهالة من التهيّب والمبالغات والتهويل.

ومن صميم هذه النظرة المتطرفة نشأ الغلو عند بعض الشعوب والجماعات المتخلفة، وقد كافحت مدرسة أهل البيت عليهم السلام هذا الاتجاه في حياة الناس أشد المكافحة، كما فعل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع أولئك الذين ألّهوه عندما حاورهم في شهر رمضان لما رأى عدم إلتزامهم في أداء فريضة الصوم قائلاً: أأنتم مرضى أم على سفر؟ قالوا لا إذا ولا ذلك، قال إذا لم أفطرتم؟ فقالوا: أنت أنت، فاستتابهم فأبوا إلا الكفر، فحفر لهم خندقاً وأحرقهم بالنار وهو القائل:

أججت ناري ودعوت قنبرا

لما رأيت الأمر أمراً منكراً

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام تصريحاً شديداً باللهجة بشأن الغلاة قائلًا: ألا لعن الله الغلاة هلاً كانوا يهوداً، هلاً كانوا نصارى!!؟.

وهكذا نرى مدرسة أهل البيت عليهم السلام ترفض أشد الرفض التطرف والمبالغة في التقويم والمغالاة بشخصياتهم المثالية الطاهرة، والارتفاع بها إلى مصاف الآفة نتيجة الجهل والتخلف والضلال.

بينما نرى الجبابرة الذين استغلوا هذه الساذجة عند الناس ومباركتها والاستفادة منها كما فعل معاوية مع أولئك الذين دخلوا عليه مسلمين بالرسالة قائلين: السلام عليك يا رسول الله، فلم ينكر عليهم ولم يرفض هذا الأسلوب المقيت.

وهكذا هي حالة المجتمعات المتخلفة، والفئات الساذجة في تعاملها وتقويمها للشخصيات المرموقة، والأعلام البارزة، تعيش حالة التناقض بين الارتقاء بها إلى السماء أو الهبوط بها إلى الخضيض.

وبناء على هذا نحاول جاهدين دراسة شخصية الأستاذ الوائلي المعروفة وفق المقاييس الموضوعية معرضين عن المبالغات والتهاويل التي تتحدث بها ألسنة العوام والبسطاء الطيبين من الناس بناء على ما يحتل الرجل من موقع خطابي متقدم ومركز ديني متميز وشخصية منبرية شهيرة ومعروفة.

وفي هذه الترجمة ألزمت نفسي أن أتحدث عنه بأمانة وتجرد وحياد دون تأثر بأي ظرف من الظروف السليبية أو الإيجابية فأسطر الانطباعات والبصمات الحقيقية لتجربة طويلة استمرت ما يقرب من ربع قرن من الصلة الوثيقة والعلاقة القرية والمعرفة التامة معترساً بشخصيته، مستفيداً من خبرته، تلميذاً في مدرسته إلا أن في الاتصال

الوثيق مع هذا الرجل مزيداً من المشقة والمعاناة وسوف أخص في هذه الأسطر خلاصة التجربة، وزبدة المخاض واضعاً في أعماق ضميري رقابة الله وأمانة التاريخ وشرف المسؤولية.

لاشك أن الأستاذ الوائلي رمز من أبرز رموز المنبر الحسيني، وواجهة من واجهات جامعة النجف الأشرف، ومؤسس المدرسة المعاصرة للخطابة الحسينية، والعميد الفعلي للسلك الخطابي - إن صح التعبير - فهو الأكبر سناً والأكثر تجربة والأشهر صيتاً، والأجدر كفاءة وثقافة أن يتسنى للورى في عمادة المنبر الحسيني المعاصر، فهو الذي لم يضارعه خطيب في قوة شخصيته وتأثير أسلوبه وسحر بيانه، لذا انتسب لمدرسته جيل من نوابغ الخطباء، واستفادت من مناهجه وطروحه الطلائع الالامعة من أرباب الفن المنبري.

وإذا أردنا أن نضيف إلى شخصيته الخطابية شيئاً آخر، فهو شخصية اجتماعية بارزة، تمتلك شبكة علاقات واسعة مع مختلف الشخصيات العلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية لما يتمتع به من شهرة عريضة واسعة، وحصانة دينية منيعة، ومهابة فاعلة في نفوس الناس مستمدة من نفحات سيد الشهداء عليه السلام. وإن لم يستفد من تلك العلاقات وذلك الجاه العريض أحد سواه، فهو ضنين جداً على إخوانه وزملاءه ولا يسخر أبداً بجاه أو نفوذ أو صلاحيات اجتماعية لإغاثة ملهوف أو مساعدة محتاج إلا ما ندر.

الوائلي من الخطباء النوادر الذين لم يخفقوا أو يتعشروا في مسيرة حياتهم المنبرية، فلقد بقي محافظاً على المستوى الرفيع خطابته طيلة خمسين عاماً، أو تزيد، وإن اكتشف أخيراً كثرة اعادته وتكراره

لمواضيعه ومجالسه أو دمج بعضها ببعض الآخر واستعادة الكثير من الشواهد والهياكل العامة بل وحتى التعاليق التي اعتاد لسانه عليها، وذلك أمر لا يخفى على ذوي الخبرة والاختصاص مما جعل الناس تنحسر وتتقلص نسبياً عن الحضور تحت منبره، والاتجاه إلى خطباء مجددین آخرين في المؤسسة الحسينية الشريفة، بيد أن مجالسه تبقى متميزة بطعم الأصالة ونكهة الخبرة واللوعة، وغزارة المادة ودسومة الحديث، وإن كان بعضه معاداً ومكرراً، وفوق كل ذلك شخصيته المؤثرة، ومكانته المنبرية المتميزة.

وكما أن شيخنا المترجم ثري علمياً وأديباً فله الشراء الطائل مادياً أيضاً مما جعله يعيش أسلوباً متميزاً من العيش وحالة خاصة من التعامل مع أصحاب المجالس بحيث يملئ شروطه ويفرض إرادته عليهم بلباقة دون الاكتراث بأحد وهو يعلم أنهم بحاجة إليه وليس هو بحاجة إلى مجالسهم حتى أنه قال يوماً لأحدهم على سبيل الدعابة والميانة في أيام محرم: أنا لا أقرأ لك هذه الليلة! وجن جنون ذلك الرجل كيف لا تقرأ ولماذا؟! قال: بلى إلا أن تقف على يديك ورجليك وامتطي ظهرك على رغم أنفك حينئذ أقرأ هذه الليلة وإلا فلا!! ويمزج الجد بالهزل والقصد بالمزح، كل ذلك شعوراً منه بالزهو والتفوق والاعتداد بالنفس، بينما يتطلع غيره من الخطباء إلى فرصة مؤاتية للارتباط ببعض تلك المجالس دون قيد أو شرط، بل ربما تفرض عليه قيود وشروط فيذعن لها مرغماً دون القناعة بصحتها وعدم الايمان والاعتقاد بأهميتها وجدواها، وهذا ما يستحيل أن يفعله الوائلي. غير أن له أسلوبه الفني الخاص، وطريقته الحكيمة المحكمة في فرض شخصيته على بعض أصحاب المجالس والشخصيات التجارية والاجتماعية وتوثيق الصلة بهم وتمتين العلاقة معهم باتصاله الدائم

وسؤاله المستمر وهداياه الرمزية وتفقدته لهم في المناسبات الاجتماعية والعائلية، وهذا ما لا يفعله النواثل مع سائر الناس بما فيهم المريدون له والمحبون لشخصيته.

بين الأملس واليوم :

من الصور المطبوعة في أرشيف الذاكرة ما يعود تاريخياً إلى ثلاثة عقود خلت تعود بي الذكريات وترجع عجلة الزمن القهقري إلى دور النشأة الأولى في أجواء المجالس الدورية المنتظمة في مدينتنا الصغيرة - الخضر - ففي كل ليلة على امتداد العام ومدار السنة تعقد المجالس الحسينية بشكل دوري رتيب في ديار الكرام وبيوت المؤمنين من أهلنا وأبناء قومنا، أذكر منها بيت السادة آل السيد جاسم، وبيت أخواننا آل وليد الطائي - قوأم مقام الخضر - وبيت آل الحاج جبر، ودار العلامة الجليل الشيخ محسن الشيخ حسن آل كريم البزوني وكان هذا الرجل من العلماء الزهاد والأتقياء والأبدال، وقد رافقته حضراً وسفراً فما كان يبارح صلاة الليل والتهجد بالأسحار وكثرة الدعاء والزيارة والتعبد خصوصاً في أماكن العبادة المقدسة كمرقد الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وقد عاش ما يقرب من السبعين عاماً وتوفي في خضم العهد المظلم والظروف السوداء حيث خنق الخريجات واضطهاد الأحرار والشرفاء ومطاردة المؤمنين، وسمعنا بخبر وفاته ونحن في بلد المهجر، وبلغنا أن الجماهير الغفيرة المكبوتة التي شيعت جثمانه الكريم، كانت أمواجاً متلاطمة تشق طريقها في أجواء الحزن والأسف لفقد شيخها وعميدها الذي مثل صلابة المؤمن في سلوكه وتعامله مع أزمات النظام الذين حاولوا استمالتهم إلى جانبهم وحضور مناسباتهم

بشئى الطرق، إلا أنه رفض أي نوع من أنواع التعاون والركون إلى تحقيق مآرب القتلة والسفاحين، حتى أنه غضب على بيت من بيوت وجهاء البلد وقاطع مجلسهم الحسيني لأنهم رفعوا صورة الطاغية في صالة دارهم التي يعقد بها ذلك المجلس.

ومن مؤلفات هذا العلم المغمور كتاب النقد السديد لابن أبي الحديد في شرح الخطبة الشقشقية الذي طبع في النجف الأشرف بمطبعة النجف منذ عهد قديم، وما رأيت منذ ذلك العهد حتى عثرت على نسخة منه حديثاً في مكتبة الإمام الصادق في الكويت.

وشاهدي أن في شريط الذكريات ذلك المجلس الحسيني الأسبوعي الذي كان يعقد في باحة داره الواسعة، وغالباً ما كان الخطيب فيه هو الشيخ أحمد الوائلي ولكن ليس شخصياً وإنما عبر أشرطة التسجيل، ولم تكن أشرطة التسجيل بذلك الوقت متوفرة بهذه الكثرة، ولا نظام أشرطة الكاسيت كما هي اليوم من الانتشار، وإنما كانت المسجلات القديمة كبيرة الحجم وغالباً ما كانت من ماركة كرونوك الألمانية أو توشيبا اليابانية ذات الأشرطة المستديرة المصطلح عليها محلياً (البكر) هي المتداولة والمعروفة.

أجل: كنا نتحلق حول جهاز التسجيل ويبتدأ الوائلي قرائته كما هو المعروف بأية قرآنية ثم يعقبها فوراً بديباجته التقليدية الخاصة في الآية الكريمة مباحث هامة أعرض لها إن شاء الله على التوالي: فيشد أسماعنا اصغاءاً إليه، ونتابع ما يقوله بشوق ولهفة وإعجاب، نتداول أحياناً ما بيننا بعض الدعابات أو التعاليق البريئة على ما يتحدث عنه وما يعلق ببالي من تلك التعاليق اللاذعة، ما اعترض به المرحوم حسين الحاج كاظم الطائفي وكان رجلاً لودعياً، خارق الذكاء، وافر

العقل، مليح القول، كما كان شاعراً شعبياً مجيداً له صحبة مع معظم الخطباء الذين توافدوا للقراءة في الخضر، ومن أكثر هؤلاء صحبة له هو الشيخ منديل التميمي والشيخ شاكر الوائلي والشيخ مجيد الصيمري والشيخ جعفر الهلالي وغيرهم، وكنموذج للتعريف بعقلية هذا الرجل وتفكيره الواعي وحسه الولايتي اهزوجته التي هزت كربلاء في أحد السنين في موكب الخضر عندما صاح بلهجته العشائرية وأسلوبه الشعبي المصطلح عليه (بالهوسة) قائلاً:

شلون تجاسر بجدل گص مفتاح القاصبة البيها أسرار الدين

وبجسدل - كما هو معلوم - هو الرجس الذي رام أن يسلب الحسين شيئاً فلم يجد سوى خاتماً جمدت عليه الدماء فقطع الإصبع الشريف وانتزع الخاتم بكل ضعة ولؤم ودناءة.

فبينما نحن في هدأة الإصغاء لحديث الوائلي وكان الحديث يدور حول نظام تأسيس الأسرة في الإسلام، وتذليل العقبات في تسهيل الزواج وان من جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، فأنبى المرحوم (حسين) مخاطباً الشيخ المترجم بأريحية ولطافة: لو تقدمت مخاطباً منك ابنتك ذات العين الممزقة أكنت تزوجني بيسر وتسهيل ودون عقبات وشروط؟؟!. مشيراً بذلك إلى شريط استمعنا إليه في المجلس السابق يتحدث فيه الشيخ عن إحدى كرماته التي أصيبت عينها على اثر كسر زجاجة في البيت حتى تقطعت العين ثم برئت بكرامة للإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد نمقها الشيخ بأسلوب درامي مؤثر، وتصوير حبه بلباقة قصصية، وقد اشتهر وذاع بين الناس يومئذ، فإليه يؤشر صاحبنا المستمع مع تقديره واعتزازه للإستاذ الوائلي، وهذا ما يدل على تفاعل شريحة كبيرة من الناس

وتقبلها لما يقول وي طرح، ولكن يبقى هناك من يشكك أن زخرفة القول ورصانة التعبير على المنبر شيء والتطبيق العملي شيء آخر.

من ناحية أخرى هناك الكثير من الإشكالات الفقهية التي كان يلتفت إليها العلامة السالف الذكر الشيخ محسن الشيخ حسن ويشير إليها وينبهنا عليها ورعاً منه وشعوراً بوجود إيضاح الحكم الشرعي الذي اشتبه الشيخ في نقله على المنبر وهو يحمل إخلاصاً وتقديراً لفضيلته بالإضافة إلى ما تربطه به من وشائج الرحم والقراءة فهو ملتقى الخؤولة التي تربط الدكتور فيصل الوائلي بخالي أبي فريد الحاج حسون عبد الرزاق، فهما ولدا خاله، ومن هنا تنبعث رائحة للقراءة بيننا وبين الوائلي ولكنها رائحة لا طعم لها ولا لون ولا أثر!

وقد يشتبه شيخنا المترجم في مجالسه حتى في قراءة بعض نصوص القرآن الكريم وهذا اشتباه لا يغتفر بحال، ولذلك تراه إذا ما التفت أو نهه أحد سرعان ما يتسدارك التصحيح في المجلس اللاحق والإشارة إلى الخطأ السابق حيث لا مفر من الاعتراف ولا مناص من الإذعان إلى ضبط النص القرآني حسب الأصول.

ومن خلال تجربتي المتواضعة وقربي منه أنه لا يتنازل لنقد ولا يرضى بتنبيه على خطأ أبداً حتى ولو كان ذلك الخطأ مطبعياً!!.

فمن ذكرياتي في هذا الصدد عندما طبع كتابه (هوية التشيع) في طبعته الأولى، قرأته وسبرت فصوله وكتبت عنه بعض الملاحظات ثم أحصيت له الأخطاء المطبعية حرصاً مني على تلافيتها في الطبعات اللاحقة بنية صافية، وخدمة خالصة، فلم يكثر ولم يتقبل مني جدولة الأخطاء، فاستغربت من عدم اعتنايه وقبوله تصحيح أخطاء مطبعية لا يخلو منها كتاب، ولا تحس شخصيته من قريب ولا بعيد!!.



الوائي، الخلخالي.



لقطة ودية بين المؤلف والمترجم ويبدو الشيخ السهلاني.

أما إذا نقده أحد في فكرة يطرحها أو رأي يؤمن به أو قضية يثيرها فلا يكاد يسيطر على أعصابه من شدة الإنفعال والتأثر وعدم السماح في إبداء الرأي الآخر فضلاً عن الإيمان به والرضوخ لأحقيقته.

والخلاصة أننا كنا مولعين بمجالسه منذ الطفولة المبكرة نستملح ما يقول، ونستعذب ما يقرأ، ونؤمن بما يطرح إيماناً تعبدياً، ولا نعير اهتماماً للنقد أو الإشكالات التي تثار حول قراءته وكأنه (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)!!.

وجدير بالإشارة إلى أن أغلب ألفاظه ومصطلحات قراءته انطبعت في لوحة ذاكرتي منذ ذلك العهد، وكما قيل ان العلم في الصغر كالنقش في الحجر، فلا زلت أحتفظ برصيد كبير من التعابير وفنون الكلمات المنبرية، تلقيتها عن طريق المدرسة الصوتية لشيخنا المترجم إن صح التعبير. تلك المدرسة التي تولعت فيها صغيراً وتعلمت فيها ناشئاً وكبيراً، ثم التقيت شيخنا المترجم في النجف الأشرف في أواخر الستينات خطيباً تهبط له الأسماع وتذهل له الأبواب، ولا أنسى مجلسه في المناخة بشارع المدينة والأمواج البشرية تتدفق غادية ورائحة زرافاتاً ووحداناً، فإذا ما ارتقى المنبر مهاباً وقورا اشرابت الأعناق وشخصت الأحداق وهدأت الأصوات ولم ينس أحد بيت شفة، وكنت ألتقط ما يقول وأكتب ما يطرح وأسجل كل شاردة وواردة، وأدون كل إشارة أو التفاتة بارعة، وهكذا يفعل غيري من المعجبين والخطباء الناشئين وكنا نتبع مجالسه حتى خارج النجف، فقد كنا نقصد خصيصاً حضور مجلسه بعد زيارة سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء المقدسة في حديقة بيت أبي الطحين الذي يلتزم له بقراءة عشرة ليال كاملة.

وكانت مجالسه السنوية في النجف معروفة لدينا كمجلس الجامع الهندي، ومجلس الميدان، ومجلس المناخة، ومجلس الكوفة، ومجلس موظفي مصرف الرافدين، وغيرها. وغالباً ما كان يقرأ له مقدمة تلك المجالس سيادة الزميل المظلوم المأسوف على شيا به الأستاذ السيد عيد الرزاق القاموسي فرّج الله عنه، حتى إذا حان موعد المجلس السنوي لموظفي مصرف الرافدين جائي الصديق الكريم العلامة الشيخ فاضل السهلاني وكنا نسكن معاً في فندق استأجره السيد محسن الحكيم قدس سره خصيصاً لسكنى طلبة الحوزة العلمية في النجف عندما ضاقت المدارس الدينية، وامتألت حجراتها بطلاب العلم من مختلف الأقطار والأمصار فأصبح هذا الفندق بكامله بمثابة المدرسة الدينية أو السكن الداخلي لمتسبي الدراسات الدينية في النجف الأشرف.

ولما هاجر شيخنا الفاضل من آل سهلان من البصرة إلى النجف طلباً للعلم هبط في هذه المؤسسة الدينية بتوسط السادة الكرام من آل بحر العلوم الذين تربطهم علاقة حميمة بأبيه الحجة العلم الشيخ محمد جواد السهلاني، وكنت قد سبقته في النزول بهذه المؤسسة، وعندما حلّ بيننا شاباً لطيفاً وديعاً أريجياً توثقت علاقتي به وكنا نشكل شلة من الأصدقاء كالسيد محمد زكي السويج والسيد محمد رضا بحر العلوم والشيخ عدنان الجباري والشيخ علي قبة والشيخ عباس المطراوي وغيرهم. ولا زلت أحتفظ ببعض الذكريات الجميلة الطيبة مع شيخنا الفاضل، ففي يوم من تلك الأيام اللطيفة جائي يحمل دعوة لي من الشيخ الوائلي للقراءة معه في مسجد الجزائري بمجلس موظفي مصرف الرافدين فمضيت إليه وقرأت معه عشرة ليالي في المجلس المذكور وكان هذا أول مجلس أقرأه مع الوائلي، وأول لقاء وتعارف شخصي وعملي بيني وبينه، ثم تتابعت لقاءاتي واتصالاتي به

سواء في جمعية منتدى النشر أو في بيته أو في المجالس العامة، فقرأت معه في مجلس الخطباء، وفي بعض مجالس الكويت حتى لامني أحد أساتذتي الآخرين، وكان حسن الظن بي وأني أصبحت في عداد الخطباء فلماذا الاقتصار على قراءة المقدمة حتى ولو كان الخطيب هو الأستاذ الوائلي، وكنت لا أرى بذلك بأساً بل اعتزازاً وفخراً.

ثم كنت أرتاد مجلسه الحسيني السنوي الذي كان يقيمه في بيته بمنطقة الحنانة بعد فراغه من مجالسه والتزاماته وغالباً ما كان يقتصر على ثلثة من الخطباء والأدباء، وكان الخطيب فيه الأستاذ السيد حبيب الأعرجي وكان مجلساً سنوياً منتظماً ثم تلكاً في ظروف الهجرة وعدم الاستقرار وتقطع بعد أن خرج الشيخ من العراق وحط رحله مسدئياً في الكويت، ثم عاد مجلسه إلى الإنعقاد عندما القى الشيخ عصاه واستقر به النوى في دمشق، وحالفني التوفيق أن أكون خطيب ذلك المجلس بحضور الأساتذة العلماء والخطباء وجمهرة المؤمنين والمثقفين لخمس سنوات متتالية بدعوة واختيار ونص وتعيين من سماحة شيخنا الأستاذ، ولم ألق منه سوى كلمة طيبة لا زال صداها يرن في مسمعي عند خروجي وتوديعي له في بيته وهي: بيض الله وجهك كما بيضت وجهي.

وكنا نعني غاية الإعتناء في خدمة هذا المجلس والشيخ يستشيرنا في شؤونه ومراسم ضيافته، وما ينبغي أن يقدم للضيوف من طعام وشراب ونحن رهن الإشارة متطوعين في استقبال الضيوف وتوديعهم والانهماك في الإعداد لراحتهم وتقديم أفضل الخدمات لهم بنية خالصة وطوية مخلصنة، حتى إذا وقعت الواقعة التي رفعت قوماً وخفضت آخرين تسلل من يجيد التسلل، وقفز إلى المنبر من يتقن لعبة القفز

برجل معوّقة عرجاء دون مراعاة للأصول واللباقة، بل بدناءة وصفاقة سواء في مجلسه الخاص أو المجالس الأخرى التي استعمل نفوذه في الإيعاز اليهم لاستبدال خطيبهم التاريخي بمرشحين من قبله بدافع الغضب وعدم المروءة، فبأدر هؤلاء وكأنهم يتربصون الدوائر ويتحينون الفرص للانقضاض على حطام زميلهم المعتقد بدلاً من الوقوف بشرف ورجولة لانصاف المظلوم ورأب الصدع، ولكن المطامع الرخيصة والنفوس اللثيمة دفعتهم لاحتلال المواقع، واجتياح المجالس ظلماً واغتصاباً متسترين بأغطية وأقنعة هي أوهى من بيت العنكبوت!!.

أجل هكذا تطورت علاقتي بالأستاذ المترجم وخصوصاً في ظللال الهجرتين الكويتية والدمشقية، فقد لازمته ملازمة وثيقة، وصحبته صحبة حميمة، في الحضر والسفر، وتتلخص تجربتي الشخصية ودراستي العملية وإطلاعي الكامل على معالم شخصيته بمساحة زمنية جاوز طولها ربع قرن من العلاقة المؤكدة والمعرفة التامة حتى تجلّت لي الكثير من الحقائق الثابتة، وتبلور لدي المزيد من الخصال والسجايا والصفات العامة والخاصة لهذه الشخصية المتميزة المعروفة.

سلوكه الشخصي أو الوجه الآخر :

للواثلي شخصيتان: الشخصية المنبرية، والشخصية السلوكية وتنفرد كل منهما باستقلالها وسماتها المميزة وكيانها الخاص. ولا يستطيع أن أتجراً على تعريف هاتين الشخصيتين بتعبير ملائم ومنسجم، ولم أجد عبارة تقويمية حقيقية أنسب من العبارة التي أطلقها بصدق وإخلاص الفقيه الراحل سيد العلم والتحقيق السيد عبدالزهراء الحسيني



على مائدة الشيخ السهلاني من اليمين: الدكتور السيد فاضل الميلاني، الحاج عبود الصايغ، المؤلف، الوائلي، السيد عامر.



السيد عبدالزهراء وعن يمينه المؤلف وعن يساره الوائلي.

الخطيب على لسان عامة الناس مشيراً إلى شخصيته المنبرية بقوله:
(على أن الناس مجمعون على أن في طبيعتهم - أي الخطباء - من أنسى
المتقدمين، وبدء المتأخرين، وحاز قصبات السبق وفاز بحلقات
الفخر)^(١)

بينما يقوم شخصيته السلوكية بما يلي: (لو كان الشيخ أحمد خطيباً
قاشلاً لحقد على كل الدنيا).

ولعمر الحق ذلك تقويم الخطيب الخبير، فمن دواعي الأسف أن
يهبط هذا العملاق فيفتعل أسباب الخصومة دون أدنى مبرر ثم لا
تنتهي خصومته ولا يتوقف حقه عند حدود انسانية أو موازين
شرعية بل ولا حتى ضوابط أخلاقية، وقد أعلن بنفسه، وصرح
بلسانه في الشريط الشهير المعروف عن الامام موسى بن جعفر في
قصة كريمته التي تقطعت عينها بحادث منزلي ثم عوفيت بكرامة
للإمام - علي حد زعمه - يقول في نفس الشريط المسجل: (فصرت
أحقد على كل فتاة التقيتها في الطريق وأرى عينها سالتين، ثم
تعوذت بالله من هذه النفس الشريرة!!)^(٢).

وفي نفس السياق إذا حضر محفلاً لزفاف أحد الشباب المؤمنين
يدعى إليه ببراءة وحسن ظن، يمتزج عنده الحزن بالحقد لماذا يزف
هذا ويحضر هو بنفسه مناسبة عرسه وفرحته، بينما يحرم من الحضور
في مناسبات أسرته الخاصة، ومحافل زفاف أولاده والحال أن الجميع في
عداد أسرته وأولاده!!.

(١) من لا يحضره الخطيب ج ٢ ص ٢١ .
(٢) شريط مسجل بصوته في ذكرى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

والويل ثم الويل لمن يتورط معه بخصومة أو اختلاف كائناً من كان فهو على أتم استعداد لمناطحة حتى تراجع الشريعة كما حصل في هجائه للسيد كاظم اليزدي والسيد محسن الحكيم في قصيدته المعروفة (شباك العباس)!! ثم تشهيره وتقليده الساخر بالمرحوم السيد جمال الخوئي لسلب الثقة منه بناءً على استلامه مبلغاً كبيراً يعود لسماحة الامام الخوئي كحق شرعي من مقلديه في الخليج، ثم ادعاؤه توزيعه على المحتاجين من المهجرين العراقيين في دمشق، ولم يظمن السيد لذلك، ولم يوافق على التصرف بغير اذنه، لاسيما وأن الشيخ إن دفع شيئاً ضئيلاً لبعض المعوزين يعطيه باسمه وكأنه من ماله الخاص، فطالبه السيد الخوئي بتسديد المبلغ فثارت ثائرتة وأطلق عقيرته في النيل من الخوئي وابناءه، ثم سرعان ما تبدل وانصوى تحت لواءهم خصوصاً بعد وفاة السيد الخوئي فبادر متقرباً لابنائهِ الصغار الذين بأيديهم الحبل والعقد مادحاً لهم بأشعاره ومهنئاً لهم بقصائده المنشورة في مجلة الموسم، لأنه ينتفع منهم في القراءة بمركزهم في لندن عندما اضطربت الأحوال في الخليج ولوجود بعض المنافع والمصالح الأخرى.

وحقاً إن هذا الرجل غريب الأطوار متناقض السلوك متقلب المزاج، فبينما تراه يتفجر غيظاً وحنقاً على خصمه ويطلق لسانه تشهيراً وتجريحاً لا يقف عند حد، فإذا ما اقتضى الأمر وشاءت السياسة أن ينقلب رأساً على عقب فيتحول إلى محب مشفق وصديق تخلص، ولا يسعني استعراض النماذج المرقمة التي احتفظ بها لدعم هذه الصورة الواقعية لتلا يتسرب شيء من سوء الظن أو الحكم غير الموضوعي وقد ألزمت نفسي الحياء في بداية الحديث لتكون الدراسة خالصة لوجه الحق والحقيقة بالرغم من جرحه العميق الذي لا يندمل

ومحاربتة العلنية على اثر جفوة طارئة كاشفته فيها بالكثير من الحقائق والمزيد من الأرقام دون مجاملة أو ملق، فما كان منه إلا أن استخدم كل ما يملك من نفوذ ديني وثقل اجتماعي ورفع بيارق الحرب وقرع طبول المعركة متجاهلاً كل التاريخ الذي يربطني به!!

وتتلخص مشكلتي معه بتراكم المزيد من التجاوزات وعدم مراعاة الحقوق الطبيعية، والاقدام على بعض تصرفات التحدي والاستفزاز لحد النيل من كرامتي ثم الاعراض والجفاء دون مبالاة أو اكتراث بالأصول والحقوق، وحصل ما حرك الساكن، وقدم الزناد، فكتبت له رسالة واضحة وصریحة ومترقمة أحصيت فيها كل المؤاخذات المؤلمة، ورسمت له كل عمل سلبي مارسه معي ومع غيري، ومما أن اطلع على تلك الرسالة الساخنة التي كتبتها ورقابة الله في أعماق ضميري، وانني لم افتر عليه حرفاً واحداً فيها حتى توترت أعصابه وانتفخت أوداجه غيظاً وحنقاً، فكتب الكتاب وعقد الألوية واضرم نيران الحرب الضروس بما أوتي من براعة ونفوذ وسانده حفة من المتصيدين بالماء العكر، وباركت ظلمه شرذمة من اللصوص والسامسة، وتزلفت اليه طائفة من أنصاف الرجال، بينما وقف الآخرون موقف المتفرج حتى اتسع الخرق وتعدر الرتق، فتحكم الشيخ بشبكة علاقاته الاجتماعية وكثف الاتصالات المشبوهة معها لتجنيدها في معسكره المعتدي والقيام بحملة واسعة ضد تلميذ من تلامذته المخلصين ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يفعل الظالمون﴾^(١) ولو شئت لألقيت حبلها على غاربها وسقيت أولها بكأس آخرها لولا حضور الحاضر، ومراعاة أصول الاحترام وما تقتضيه قواعد الصبر والتحمل.

(١) ابراهيم / ٢ .



من اليمين: السيد إياد العاملي، المترجم، المؤلف، السهلاني الجواد.



من اليسار: المؤلف، السهلاني، السيد عبدالزهراء، الوائلي.

وتزول الغرابة في هذا السلوك إذا عرفنا أن الرجل لم تكن علاقته طيبة ومستقرة حتى مع أبيه وولده الأكبر ولعل من أطرف الصور ما نقله الخطيب الشيخ يوسف دكسن عن ذكرياته القديمة في النجف أن كان بصحبة والده الشيخ يحيى الدكسن وكان من زملاء الشيخ حسون الوائلي وله معه صحبة وميانة، يقول الشيخ يوسف ولما ارتديت الزي الديني قدمني والدي لصديقه الوائلي قائلاً هذا ولدي الشيخ يوسف قد اعتمر العمامة وسلك طريق الخطابة، يقول فوثب الشيخ حسون رحمه الله وقال بمرارة وألم: (لا خير فيه إن كان كأحمد)!!

ويقول الخجة المرحوم السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب اتصلت بالشيخ حسون الوائلي وكلمته بما يشبه العتاب: لماذا الاعراض والجفوة بينك وبين ولدك الشيخ احمد وهو من مفاخر الخطباء، فغضب وزمجر في وجهي وانتفض قائلاً كلكم ... كذا، ثم تركني ومضى.

ومن أحدث الشواهد في هذا الصدد ما نقله أحد الأصدقاء المعاصرين، قال: بعد أن توثقت علاقتي مؤخراً بالشيخ احمد على اثر تزويج ولده سمير وانجابه طفلاً، أخذته إلى بيته للسلام عليه فقط بعد جفوة وقطيعة دامت العمر كله، وأبقيته خارج البيت ثم دخلت على الشيخ والتمسته أن يسمح لولده بالدخول عليه وتجديد العهد به، فأبى وامتنع أشد الامتناع أن يستقبله ويراه برغم ظروف الهجرة القاسية والسنين المتعاقبة على فراقه!!.

ومن النماذج السريعة موقفه الظالم من زميله الخطيب السيد جواد شبر وجفوته المؤلمة لصديق عمره الشيخ محمد جواد السهلاني،

وقطيعته المجحفة لرفيقه الحميم السيد طاهر الملحم، ومحاربه للسيد حسين الصدر، وجسارته على الشيخ الباقر الناصري واستخفافه بالشيخ المهاجر، وتشهيره بالسيد الفاضل الميلاني و... الخ من الشواهد المؤسفة وأنا لا يهمني مسلسل هذه الصور والشواهد وثبوتها واستعراضها وتتبعها، فاني أحتفظ بالعشرات منها مع كثير من الرموز والاعلام ولكني أطوي عنها كشحاً، وأعرض عنها ترفعاً، ولست مسؤولاً عن تدوين مشاكل الآخرين إلا بمقدار ما يقتضيه سياق البحث كشواهد وأدلة لاعطاء الصورة المتكاملة الحقيقية للشخصية المترجمة، ثم لا تفوتني الاشارة إلى تسجيل ظلامتي التي طوق بها عنقه، بتتبع مجالسي وعلاقاتي الاجتماعية ومحاربه الموارد رزقي ومعيشة أطفالي وعائلتي دون وازع من ضمير أو رادع من دين أو ضابط من خلق، أسجل هذا للتاريخ وأرفع ظلامتي بوجهه مطالباً بحقي يوم نقد على الله ولئن أحاط نفسه بالغوغاء والأمعات والنفعيين والسذج والأبرياء في تعامله وظلمه فلن يستطيع أن ينتفع من هؤلاء شيئاً يوم تبلى السرائر ويعرض الظالم على يديه ... ويقول: يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً.

ولئن توفرت عوامل الصفح والعمو في يوم من الأيام عما قام به تجاهي، فاني لن أعفو عن الذين وقفوا يشدون أزره ويساندون ظلمه من أنصاف الأميين المذبذبين والمرتزقة النفعيين ولا أنسى تطوعهم بخسة ودناءة نيابة عنه في التهريج والضجيج والبغي والعدوان بجهل وحماسة، وصلف وصفافة، وعلى الباغى تدور الدوائر وهم أحقر من أن ينالوا من شعلة الحق شيئاً:

فهي الشهادة لي بأني كامل

وإذا أتت مذمتي من ناقص

وأما الإفراط في الإشادة بشخصية الأستاذ الوائلي والمبالغة في عرض سيرته، والغلو بها عنده من خوارق عبر بعض الكتابات المنشورة هنا وهناك، فأعتقد أن تلك الأقلام كتبت بطيبة وبراءة متأثرة بشخصيته المنبرية التي لا غبار عليها، والبعض الآخر واهماً ببعض الأهداف التجارية التي أفلس عن تحقيقها فيما بعد فعاد يخفي حنين يجر أذيال الخيبة والندم بينما البعض الثالث أشاد وعظم ومجد وفخم تزلفاً مقيناً وملقاً رخصياً.

وأنا لا أنفي عن شخصيته السلوكية الخصال الطيبة والصفات اللامعة ولكني لست مع المبالغة والتطرف والغلو في اصفاء هالة من الحصانة والخوارق لأقواله وأفعاله واعتبارها سنة مؤكدة، يعمل بموجبها ويقتدى بأفعالها وأقوالها وتقريراتها، وإلا فالرجل قدوة في الأخلاق والمعاملة ومثلاً في الخير والمعروف، وشخصية هامة ترمق بعين الاحترام والتقدير ولا يصدني خلافي معه عن قول الحقيقة في تقويم شخصيته، وربما يعذر الرجل حتى في توتره وعدم انصافه ومرؤته معي نظراً لحياة الغربة وظروف الهجرة وكثرة الضغوط الاجتماعية التي تحسن الظن فيه، وبعده عن أهله وقومه، أجل ربما لكل ذلك تمام الأثر في توتر أعصابه وحدة مزاجه وسلبته المفرطة مع العديد من زملائه ورفاق دربه وتلامذته، ولكن لكل شيء حد وهو أفضل بكثير ممن سواه من الذين يعانون مرارة الغربة مع الجوع، ألم الهجرة مع القلق، ومعاناة التشرد مع الخوف، فهو بحمد الله يعيش حياة آمنة مستقرة محفوفة بالرغد والرخاء ولئن عاش مع اخوانه في بلد الهجرة فالمنحة مشتركة والقدر واحد وإنا لله وإنا إليه راجعون:

مشيناها خطي كتبت علينا ومن كتبت عليه خطي مشاها

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

ولادته وتسميته وعمره :

﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ (١).

بهذه الآية المبشرة افتتح الشيخ المترجم مسيرة الحياة، وفي رحابها عاش والده حين ولادته الأمل والتفاؤل بمستقبل واعد لوليدته المبارك الذي انتزع اسمه من القرآن عندما تفاءل متيمناً بكتاب الله لاختيار تسميته فكانت هذه الآية وكان وقعها مطابقاً لمقتضى الحال حيث كانت ولادته في السابع عشر من شهر ربيع الأول بذكرى مولد سيد البشر نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكرى مولد حفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فسماه أحمد بلا تأمل ولا تردد. أما سنة ولادته فهو يحرص أن تكون سنة ١٣٤٧ هجرية. بينها يؤشر الضبط التاريخي والقرائن الحالية إلى صحة الرأي الذاهب إلى تحديد ولادته سنة ١٣٤١ هجرية، كما أثبت ذلك الأستاذ المرجاني في كتاب خطباء المنبر في طبعته الأولى، والغريب أن يعود في الطبعة الثانية فيثبت رواية السبعة والأربعين بينها هناك وثائق مؤرخة وقرائن معتبرة تشير إلى أن الشيخ أطال الله عمره كان يرقى المنبر بشكله الرسمي منذ الأربعينات الميلادية أي قبل نصف قرن كما جاء ذلك في رسالة بعثتها لجنة التأبين الحسينية في ناحية المجر الكبير إلى مجلة البيان النجفية ونشرتها بستتها

(١) الصف / ٦ .

الأولى وعددها الخامس عشر عام ١٩٤٦^(١) وهذا المستند يجعلنا نرجح الرواية الأولى فهي أكثر انسجاماً وأقرب إلى الواقع في تحديد هذا العمر المبارك الذي تجاوز السبعين عاماً وإلى أن يتجاوز القرن إن شاء الله، وكذلك يدعم هذا الرأي برواية الخاقاني في شعراء الغري أن ولادته في أوائل عام ١٣٤٢ هجرية ولا أتصور أن بهذه الخمس سنوات المتنازع عليها بين شيخنا المترجم وبين المؤرخين ما يكون سبباً لاستعادة حيوية العمر وطاقة الشباب وقديماً قيل:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

نسبه وأسرته

هو الشيخ أحمد بن الشيخ حسون بن سعيد بن حمود الليثي الوائلي. اشتهرت هذه الأسرة في النجف بأسرة آل حرج وحرج هو اسم الجد الأعلى لها وهو أول من نزح من الغراف بلدهم الأصلي وهبط في النجف الأشرف على اثر معركة بينه وبين بعض العشائر^(٢) ففر إلى النجف واتخذها موطناً ومسكناً وملاذاً ولسان حاله:

بقبرك لذنا والقبور كثيرة ولكن من يحمي الجوار قليل

وتوزعت هذه الأسرة في مواطن سكنها على أماكن متفرقة ونواح شتى فقطن القسم الأكبر منها في موطنهم الأصلي في الغراف وقطنت طائفة أخرى في ناحية الحمار من قضاء سوق الشيوخ ويعرفون بآل حطيط، واستوطن جماعة منهم منطقة الحلي واشتهروا بآل باش آغاء، بينما استقر بعضهم في الفيصلية وكذلك في أبي صخير وهم يبارسون

(١) المرسم العدد الثاني والثالث لسنة ١٩٨٩ ص ٤٥٤.

(٢) شعراء الغري للهاقاني ١/١٥١.



الحاج الخلخالي يتوسط المترجم والمؤلف.



المؤلف بين الوائلي والغروني.

وهذه الأسرة من الأسر العربية العريقة التي امتاز بعض رجالها بالأريحية والنخوة والشهامة كما برزت منها بعض الشخصيات العلمية والأدبية كالشاعر إبراهيم الواصل والدكتور فيصل الواصل وغيرهما من أعلام الأسرة.

بيد أنها ليس لها ذلك الثقل العلمي أو المكانة المرموقة جداً في تاريخ الأسر النجفية كأسرة آل بحر العلوم وأسرة آل كاشف الغطاء وآل الجواهري وغيرهم فهؤلاء هم أركان العلم وجهابذة المعرفة ووجوه المجتمع دون منازع ولكن شيخنا المترجم هو الذي جعل اسم أسرته لامعاً بما اكتسبه من شهرة واسعة في خدمة المنبر الحسيني. فهو أول شخصية حظيت بقسط وافر من الشهرة والصبية الذائع في المؤسسات الحسينية عند الشيعة وله رصيد جماهيري كبير ينظر إليه بعين الاكبار والاحترام، وليس في أسرته من يضارعه مكانة وصيتاً بل ولم يوث ذلك حتى عن طريق أبيه رحمه الله فقد كان أبوه إنساناً بسيطاً متواضعاً عمل في بداية عمره بالبيع والشراء في المحاصيل الزراعية وخصوصاً الحبوب كالأرز والقمح والشعير وغيرها، ثم امتهن الخطابة الحسينية بتوجيه من أصحابه آل قسام وهجر كسبه وتجارته الشريفة المتواضعة، وتفرغ للتجارة مع الحسين في طريق خدمته «وتلك تجارة لن تبور».

نشأته ودراسته :

من الروافد الطامسة التي تساهم مساهمة فعالة في بناء شخصية

(١) نفس المصدر ١/ ٢٩٣ .

الانسان هو رافد البيئة الاجتماعية التي يتفاعل معها ويتعامل مع الحياة في رحابها، وتميزت البيئة التجفيفية بأنها موئل العلم والأدب، ومركز الحوزة العلمية والدراسات الدينية وقد انبثق من صميم هذه البيئة المزيد من أساطين الفقهاء وجهابذة العلماء وأساتذة الخطباء وعمالقة الأدباء، وكان من بين تلك الشخصيات التي أفرزتها هذه البيئة المعطاءة شخصية الوائلي الثرة علماً وأدباً وخطابة، فقد نشأ وترعرع في رحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وتنفس منذ طفولته المبكرة أجواء السواء والايان بتلك البيئة الزاخرة بالنشاط العلمي والحوية الدينية، فابتدأ الخطوات الأولى في مكاتب القرآن الكريم يتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ويلتقط آيات القرآن حفظاً واختزاناً، وهو لما يزل في السابعة من العمر، وكان أول شيخ له في التعليم المبكر هو الشيخ عبدالكريم قفطان الذي أشرف على تربيته وتعليمه في مسجد الشيخ علي نواية، ثم ولج المدارس الرسمية وانتسب لمدرسة الملك غازي الابتدائية، ثم دخل في مدارس منتدى النشر حتى تخرج من كليتها عام ١٩٦٢ وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الاسلامية، ثم أكمل الماجستير في جامعة بغداد، وكانت رسالته (أحكام السجون) الكتاب المطبوع المتداول اليوم، ثم قدّم الدكتوراه في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة حتى نالها بأطروحته المعنونة (استغلال الأجير وموقف الاسلام منه). ولم تطبع. وإلى جانب ذلك توغل الوائلي بالدراسة الحوزوية وقرأ مقدمات العلوم العربية والاسلامية وتدرج فيها حتى المراحل المتقدمة على يد نخبة من أساتذة الحوزة المبرزين منهم الشيخ علي ثامر، والشيخ عبدالمهدي مطر، والشيخ علي سماكة، والشيخ هادي القرشي، والسيد حسين مكي العاملي، والشيخ علي كاشف الغطاء، والسيد محمد تقي الحكيم،

والشيخ محمد حسين المظفر، والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد تقي الايرواني، وهؤلاء الأساتذة هم عليّة القوم ومفاخر الحوزة، وقطع الأستاذ الوائلي شوطاً من حياته الدراسية التي يعتز ويفاخر بها في ظل هذه الكوكبة اللامعة سمعته مرةً يخاطب المرحوم الحاج يبي البهبهاني الكويتي وهو الذي يستضيفه في مجالس عاشوراء الرئيسية أتظن أني أعير اهتماماً لشهادة الدكتوراه؟ إن عندي عشرون عاماً قضيتها في دراسة علوم آل محمد في حوزة النجف الأشرف هي رصيدي وفخري واعتزازي.

خطابته :

للوائلي تاريخ عريق ومجد أصيل في خدمة المنبر الحسيني الشريف فقد تدرج منذ بواكير حياته في هذا الاتجاه وتبلورت في شخصه امارات النبوغ وسمات التفوق منذ عهد بعيد حسب ما تنص الوثائق والمستندات التاريخية والاجتماعية حتى أصبح ركناً هاماً من أركان الخطابة الحسينية، وعلماً من أعلامها، إلى أن ألفت إليه زمامها، وسلمته قيادها، بعد أن خلت الساحة من فرسانها، فكان الوريث لميدانها، واستلام عنانها، بحق وجدارة، فهو اليوم أستاذ جليل من نوابغ الخطباء المعاصرين، ومقياس لمستوى الخطيب الناجح فإذا ما أرادت الجماهير الحسينية أن تقوم خطيباً بارعاً تقول أنه كالوائلي فهو الخطيب الأول الذي أنسى من سبقه وأتعب من لحقه، وكل من لم يسمع من الجليل المعاصر ببراعة السيد صالح الحلي، ولوذعية الشيخ محمد علي اليعقوبي وعبقرية الشيخ كاظم سبتي وأضرابهم ينتهي حتماً إلى الأستاذ الوائلي خطيباً عبقرياً مفوهاً، وأستاذاً موهوباً مؤسساً للمدرسة الحديثة لخطابة المنبر الحسيني ولكن على (رغم أنف

الشريف) (ومكره أخاك لا بطل) حيث لم يبادر الشيخ المترجم للقيام
 بمثل هكذا مؤسسة أو افتتاح هكذا مدرسة بالرغم من مرور كثير من
 الفرص المتاحة، وبرغم الحاجة الماسة في الساحة الحسينية للقيام بهكذا
 عمل مسؤول وخالد، ولكنها الأناية وحب التفرد بالكمال، بل ذهب
 إلى أبعد من ذلك فإذا ما تصدى أحد غيره للقيام بهكذا عمل تثار
 ثائرتة بكل دهاء وبطريقة ذكية ولبقة ويتصدى لافشاله مثبّطاً لكل
 العزائم ومحبّطاً للجهود المخلصة في طريق العناية والاهتمام بناشئة
 المنبر الحسيني. فإذا أعطينا الوثائقي صفاتاً ونعوتاً من قبيل زعامة المنبر
 وإمارة الخطابة ومؤسس المدرسة الحديثة، لا يعني ذلك المدرسة
 الأكاديمية والمؤسسة المنهجية التي أشرف على تأسيسها ووضع
 مناهجها فعلاً، وإنما هي مدرسة معنوية صنعها هواة الخطابة
 ومحترفوها بأنفسهم من خلال حضور مجالسه وتدوين ملاحظاتهم
 والاستفادة من منهجيته الخطابية، أو من خلال التسجيلات المنتشرة
 اليوم خلافاً لما مضى من العهود الغابرة التي كان يمنع علناً وهو على
 المنبر أي أحد يتورط باظهار جهاز التسجيل أمامه فالويل ثم الويل له
 على سطوته على جهود الآخرين على حصد تعبير شيخنا الأستاذ
 المترجم. يقول الشيخ علي الخطيب في مقال له تحت عنوان أسلوب
 الوثائقي في فن الخطابة نشرته مجلة الموسم الغراء بعددها المزدوج الثاني
 والثالث لسنة ١٩٨٩م، وأشار الأستاذ الطريحي في هامش المقال إلى
 أنه جزء من أطروحته لنيل الماجستير من جامعة الأوزاعي ببنان، بعد
 أن أسرف وبالغ في الكثير من نقاط بحثه حول الوثائقي وصوره
 تصويراً إعجازياً خارقاً قال ما نصه: إلا أن المؤاخذات على الوثائقي أنه
 لم يشرف إشرافاً مباشراً على تنمية هذه المدرسة واستمراريتها رغم

الإلحاح المتواصل من قبل المتأثرين بأسلوبه عن طريق السماع^(١).

ومما يدخل في هذا الصدد من المؤاخذات عليه إلغائه قراءة المقدمة في مجالسه وهي طريقة مألوفة ومنتشرة في المجالس الحسينية أن يرقى المنبر خطيب ناشئ لا يقرأ سوى الشعر الفصيح والشعبي وإن زاد فمما يتعلق بواقعة الطف لتهيئة المجلس وتحضير الأجواء ثم يرقى من بعده الخطيب الأستاذ لمباشرة خطبته وهذه طريقة التلمذة التي يستفيد منها الخطيب المبتدئ فنون الخطابة والجرأة المنبرية وحفظ الشعر وطرائق الأطوار والتلاحين، وهذا ما مارسه جلّ خطبائنا، والوائل منهم فقد (تصنّع)^(٢) على يد المرحوم الشيخ محمد علي قسام والمرحوم الشيخ مسلم الجابري والمرحوم السيد باقر سليمون وقرأ معهم مقدمة في مجالسهم، حتى إذا جاء العهد الوائلي ألغى هذا النظام في أغلب مجالسه الرسمية سواء في رمضان عندما كان يقرأ في بغداد، أو في الخليج في مواسم عاشوراء وبذلك حرمان للشريحة الواعدة من طلائع الخطباء من الاستفادة من خبرات وتجارب أساتذة المنبر والتلمذة التدريجية على أيديهم، حتى ترهل الوضع وفلت الزمام واختلط الحابل بالنابل وأصبح الخطيب عندما يقفز قفزة واحدة إلى أعلى مرقاة من المنبر بلا حسيب ولا رقيب ولا مقياس ولا تقويم وترى بعض أنصاف الأميين يتسلل بطريق وبآخر إلى المواقع الأمامية وتراه بين عشية وضحاها يتحدث عن الآية الكريمة وكم فيها من الآراء والمباحث التي يعرض لها على التوالي!! ثم يخوض في علم الفلك والسموات والأرض وكأنه غاليليو أو كوبرنيكوس ويتحدث

(١) الموسم عدد ٢-٣ لسنة ١٩٨٥م ص ٥٦٣.

(٢) مصطلح في عرف الخطباء أن يقال فلان صانع فلان أي تلميذه.

عن علم الطب وكأنه ابن سينا، وإذا تحدث عن الفلسفة فهو الفيلسوف الكندي أو صدر الدين الشيرازي، وإذا خاض في علوم القرآن فهو ابن عباس حبر الأمة، وهكذا فهو جامع علوم الأولين والآخرين بارتجال فوضوي واهمال وتسبب في شؤون الفنون المنبرية، وعدم تحمل المسؤولية من قبل الشخصيات النافذة ذات الثقل والنفوذ والتأثير الاجتماعي والخطابي، فأصبحت أبواب هذه المؤسسة العملاقة مشرعة لمن هب ودب وفشل في الحياة وجد بها مجالاً تجارياً للعيش الرغيد فإذا ما بحثت في أعماق جيبته وديكوره الخارجي فلا تجد سوى الجهل والخرافات إن لم يكن الدجل والتزوير ولا شك أن المسؤولية تقع على عاتق الجميع لحماية مدرسة الحسين وصيانتها من التلاعب والترهل، ولكنها تقع بالدرجة الأولى على عاتق الأرقام العريضة التي تتمتع بهالة من الاحترام والتأثير في الأوساط الاجتماعية، ولكن الملاحظ مع الأسف الشديد أن هذه الطبقة لا تفكر إلا بكيفياتها الخاصة، وكيف تحافظ على مهابتها ومصالحها «الاستراتيجية».

ويتحدث الأستاذ الوائلي عن بداياته وأوليائه الخطابية فقد ارتقى المنبر الحسيني وهو لما يزل في العقد الأول أو على مشارف العقد الثاني من عمره وزاول ما يعرف خطابياً بقراءة المقدمة، حتى إذا تناصف العقد الثاني من عمره انفرد بنفسه، وكانت مجالسه الابتدائية في النجف والكوفة والحيرة والفيصلية وذلك قبل أكثر من نصف قرن، فقد ابتدأت مسيرته الخطابية من بداية الأربعينات من هذا القرن حدثني ذات مرة في مجلس خاص جمع بيني وبينه عن ذكرياته الأولى فشددني حديثه وبهرني كلامه وهو مجلسي لبق وشهدت مدهش، وكيف انطلق ومتى قرأ، وما هي مجالسه بل وحتى أجوره في ذلك الزمن، فكان أول أجر له عشرة دنانير عراقية وكان لها يومئذ قيمتها الشرائية،

وقوتها النقدية بالإضافة الى ماكانوا يكرمونه به بنفس طيبة من المحاصيل الزراعية كالحبوب والتمور وغيرها.

واستمر يقرأ في مختلف المناطق العراقية كالبصرة والشطرة والناصرية وبغداد والمجر الكبير والسيماوة والنجف وكربلاء وبعض القرى والمدن العراقية الأخرى. حتى عام ١٩٥١م دعي للقراءة في الكويت في الحسينية الخزعلية بمناسبة العشرة الأولى من شهر محرم بأجر قدره ستة آلاف روبية أي ما يعادل أربعمائة وخمسون ديناراً عراقياً، واستمر في مجلسه هذا تسع سنوات، بعدها انتقل إلى البحرين في عام ١٩٦٠م حتى عام ١٩٦٥م في مآتم ابن سلوم ثم عاد إلى الكويت واستمر حتى منتصف الثمانينات ثم مضى إلى العاصمة البريطانية وقرأ فيها مجالس عاشوراء، وفي الفترة الأولى من انقطاعه عن مجالس عاشوراء في الكويت كان لي شرف الخدمة في نفس تلك المجالس حيث دعيت للقراءة في الحسينية الخزعلية أو حسينية معرفي عندما هدمت الخزعلية القديمة، وكذلك حسينية الأربش في منطقة بنيد القار لما يقرب من خمس سنوات تقريبا حتى دخل الغزاة البعثيون إلى الكويت واجتاحت جحافلهم هذا البلد الآمن بتاريخ ٢٢/٨/١٩٩٠م وكانت الليلة الحادية عشرة من المحرم. فخيم الرعب، وانتشر الهلع والدعر، وتعطلت المجالس، إلا أننا إكملنا عشرين ليلة - كما هو المعتاد - لمجلس آل الأربش في بيتهم بمنطقة سلوى بسرية وخفاء عن أنظار القتلة المعتدين، وكان المجلس يقتصر على أسرهم وأبنائهم في ظل تلك الظروف الصعبة. وبعد تحرير الكويت تغيرت البلاد ومن عليها ولم نتمكن من الحضور إلا بعد مضي أكثر من أربعة أعوام تقريباً كنت أمارس وظيفتي في دولة الامارات العربية المتحدة وبعدها تمكنت من الحضور إلى الكويت،

ولكن يبدو أن ذلك الانقطاع كان كافياً - أو ربما عوامل أخرى - للارتباط مع خطباء محليين آخرين. هذا عما يتعلق بشهر المحرم في عشرته الأولى، وتوزع بقية العشرات على أقطار وأمصار مختلفة عراقية وغير عراقية، أما في شهر رمضان فكانت مجالسه المشهودة في بغداد ثم انتقل إلى مسجد الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في دبي بدولة الامارات العربية المتحدة حتى هذا العام وهو ١٩٩٥م. وعرف عن الوائلي أنه لا يقرأ في منطقة أكثر من عشرة أيام حتى ينتقل إلى منطقة أخرى إلا ما شذ ليبقى متألقاً والجمهور لحضور مجالسه متشوقاً، فهو لا يطيل ولا يكثُر في مكان واحد لئلا يكون مبتذلاً مملولاً.

شعره :

يتميز شعر الأستاذ الوائلي بفخامة الألفاظ وبريق الكلمات وإشراقه الديباجة، فهو يعنى كثيراً بأناقة قصائده، وتلوين أشعاره بريشة مترفة، ينتقي لها ببراعة أجمل الألوان وألمع الصور فسالوائلي شاعر محترف مجرب ومن الرعيل المتقدم من شعراء العراق إلا أنه لا يرقى إلى الخطوط الأولى التي يقف عليها الجواهري والشبيبي والشرقي وجمال الدين والفرطوسي وأمثال هؤلاء العمالقة، فمكانة الوائلي الشعرية في الصفوف الثانية وخطوط الإحتياط بمتاييس أهل الخبرة وموازن المتخصصين والنقاد. وهو شاعر ذو لسانين فصيح ودارج، وأجناد وأبدع بكليهما، وسمعت مرة من ناقد كبير أن الوائلي في شعره الدارج أشعر منه في الفصحى. وإني شخصياً أحتفظ له في أرشيف مكتبتي ببعض القصائد الشعبية في مداعبة بعض إخوانه وهجاء البعض الآخر بنحو ساخر، وهي بحق من عيون الشعر الشعبي كقصيدة (حمد) وقصيدة (سيارة السهلاني) وقصيدة (شباك العباس) وقصيدة (سوق

ساروجه) وقصيدة (داخل ولندن) وقصيدة (وفد النجف) وغيرها، وكلها قصائد رائعة تظفي عليها روح المرح واللوزعية والمهارة بهذا الفن الأصيل، ويجري الشعر الشعبي على لسان الوائلي مجرى السهل الممتنع بل ويرتجله إرتجالاً، ومن ذكرياتي معه في سفرة إلى لبنان بسيارة الأخ الحاج نائر البصراوي، وبرفقة الأستاذ السيد مضر الحلو ولما حي وطيس المرح وتبادل ما تقتضيه رفقة السفر من خفة الروح ولباقة المعشر استدرجت شيخنا المترجم للشعر الشعبي فكان بين الآونة والأخرى يرتجل أروع المقاطع الشعرية ارتجالاً، وسجلتها في وقتها على جريدة كانت بيدي، وكم أسفت لفقدانها بأشعارها الجميلة.

أما شعره الشعبي في واقعة الطف فقد نشرته بأكمله في كتابي أدب المنبر الحسيني. كما نشرت أغلب قصائده الفصحى في أهل البيت في كتاب «من لا يحضره الخطيب» الجزء الأول.

ورسم الأستاذ الوائلي قصائده المنبرية بريشة الفنان المتخصص الخبير بما يحتاجه المنبر الحسيني من مستوى الشعر السلس المقبول جماهيرياً وأديباً فكانت قصائده في أهل البيت طافحة بالحرارة والتأثير ومنذ عشرين عاماً أردد قصائده على منبري وفي مجالسي الحسينية قبل أن تطبع، فألمس القبول والإعجاب والتفاعل الجماهيري مع أبياتها ومقاطعها وأتذكر عندما طرح قصيدته (الجراحات والدم المطلق) كنا نتبارى على قراءتها أنا والزميل المظلوم السيد عبد الرزاق القاسوسي بأكملها وهي ما تقرب من الخمسين بيتاً.

قرأتها مرة - في دار الأستاذ السيد محمد صادق بحر العلوم في سالمية الكويت بمجلس عقد في صباح العاشر من المحرم بحضور ثلثة من رجال العلم والأدب كالأستاذ الدكتور السيد مصطفى جمال الدين

والعلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم، والحجة العلم الشيخ محمد جواد السهلاني والدكتور فيصل الوائلي والدكتور عبد الصاحب الموسوي وغيرهم من رجال الفضيلة والأدب، فكان وقع القصيدة مؤثراً جداً ونالت استحسان الجميع واستدّرت من عيونهم أحرّ الدموع.

وقرأت - مرة - قصيدته البائية في الإمام موسى بن جعفر بمجلس عقد في بيت الفقيه الورع الشيخ محمد باقر الناصري في النجف الأشرف بمنطقة الحنّانة، حضره الشيخ الوائلي بنفسه، وأتذكر من الحاضرين السيد حسين بحر العلوم، ولما وصلت في القصيدة إلى هذا البيت:

ومظلم سجن عشت في جنباته ضجيعاك محراب به وكتاب

اعترض السيد بحر العلوم وهو الشاعر القدير والناقد البصير على كلمة ضجيعاك وقال: توحى إلينا كلمة ضجيعاك بأن الإمام كان نائماً في السجن ولم يكن كذلك، ومن الأفضل أن نستبدلها بكلمة أنيساك أو أليفاك فاستحسن الجمع بها فيهم الشيخ الوائلي ملاحظة السيد بحر العلوم وقبلها مضطراً وطبعت أخيراً في ديوانه بهذا التغيير.

وللوائلي دواوين صغيرة مطبوعة تحت عنوان الديوان الأول والديوان الثاني من شعر الشيخ أحمد الوائلي اقترحت عليه أن يجمعها كلها بمجلد واحد تحت عنوان (ديوان الوائلي) وقد جمع في دواوينه غرر أشعاره وخيرة قصائده وهي قصائد تنوعت في مضامينها وأهدافها ومحتوياتها فمنها القصائد السياسية ومنها الوجدانية ومنها الشعر الإخواني في المديح والرثاء ومنها في أهل البيت عليهم السلام وغير ذلك.

وله الكثير من شعر التاريخ والمقطوعات التي لم تطبع وبعض المساجلات والإخوانيات التي نشرت في بعض المجلات قديماً وحديثاً.

وفي هذا الصدد لا تفوتني الإشارة إلى فضيحة (الموسم كيت) على غرار (ووتر كيت) و (إيران كيت) وذلك عندما أعد الأستاذ الطريحي في مجلته الغراء ملفاً عن السيد النجيب الأستاذ حمدي نجيب، وهو حري بهذا التكريم لشرف محته وبأذخ مجده وحبه للخير والمعروف، ولا أدري لماذا افتعلت الضجة وبالأخص على الشيخ الرائي مما دعاه أن يرد على صفحات الموسم بعبارة (ويل لمن كفره النمرود) ولا يسعني إلا أن أتساءل أي بأس في أن يكرم صديق صديقه بقطعة من الشعر وهذا أمر متداول مألوف قديماً وحديثاً، ولكن على أن يأتي شاعر ويستعيب على الآخرين هذا الأسلوب ويعتبره ارتزاقاً وملقاً رخيصاً!! ويشنع أبشع التشنيع على من يبارس هكذا لون من الشعر ثم يبادر هو بنفسه ويسلك نفس الطريق فيفتضح الأمر وينكشف الستار ذلك هو التناقض وتلك هي الفضيحة.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومن نماذج شعره القديم قوله متغزلاً:

عارضتني فقيدت خطواتي وسببتني بأعين فائرات
لست أدري مسدس أم عيون صوبتها إلي بالنظرات
تاه قصدي فرحت اعمل فكري لست أدري أرائح أم آت
فعلى المعطف الأنيق فؤادي ودمائي بصفحة الوجنات
فإذا ما طلبتمسوا بدمائي فاطلبوها في وجه تلك الفتاة
ليس في شارع الرشيد سوى الـ حب وقتل البريء باللفتات

موقف ساحر يطير بلب الـ صرء في عالم الجمال الذاتي

ومن شعره في أهل البيت قصيدة في رثاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم تطبع كغيرها في ديوان شعره مطلعها:

أفيضي فبرد الليل مدّ حواشيه وعبّي فؤاد الكرم راقت دواليه
وجاء في أواخرها:

أبا حسن والليل مريح سدوله وأنت لوجه الله عان تناجيه
براك الضنا من خوف باريك في غدٍ وقد أمن المغرور من خوف باريه
وغالتك كف الرجس فانفجع الهدى وهدت من الدين الحنيف رواسيه
وهي أكثر من أربعين بيتاً طبعت في كتاب شعراء الغري للخاقاني مع مجموعة أخرى من شعره القديم.

وله قصيدة في رثاء علي الأكبر في خمس وأربعين بيتاً لم تطبع كذلك في ديوانه، طبعها السيد المقرّم في كتابه علي الأكبر وطبعتها في كتاب من لا يحضره الخطيب الجزء الأول مطلعها:

هل من سبيل للرقاد الثاني ليداعب الأجفان بالأغفاء

ومن شعره في مداعبات إخوانه مقاله في مداعبة الدكتور أسعد علي حول رقم هاتفه الذي يبدأ بثلاث ستات وليس للدكتور منها ست واحدة حيث أنه لم يتزوج فقال:

ثلاث من الستات تسكن خطكم إلى جنب بعض كلهنّ نيام

ومالك ست في الفراش تضمها إذا ما دجى ليل وجن ظلام
 على حين بات البعض يلتف حوله من السمر والبيض الكعاب حزام
 أجل تلك أنصاب الحياة تفاوت فلم يتساو في النصيب أنام
 وإن لم تضاجعك الكعاب ولم تفرز بأبيض عطفاه ندي وجمام
 فقد ضاجعتك الصالحات خلائقاً وبيض صفات كلهن وسام
 وذبت بدنيا الله حين عشقتها فأنت إليها صبوة وغرام
 ومن لم يرد من منهل الروح ضامياً وإن أغرقته ديمة وغمام

ومن إخوانياته في مهتة الحاج عبود الصائغ بمناسبة داره الجديدة
 قال:

دار عبود بقعة نجفية حفلت بالأخلاق والأريحية
 هي رغم الحجم المصغر فيها خلق واسع ونفس رضية
 والغنى في الأشياء فرع غنى الـ نفس وهدي قضية بدهية
 ربّ نفس على سخاء عظيم ولو أن الأيام غير سخيته
 رملة للغري شعت على الشا م فاضفت ملامحاً علويه
 حملت لابن هند في شخص عبود على رغمه رؤى حيدرته
 دار عبود في مواسم أهل الـ بيت تزدان بكرة وعشيه
 وبها ابن الجواد شيء لطيف كل ما فيه تحفة أثريته
 فتقبل يا صائغ التبر هذا الرصف من صائغ الحروف البهيه

وإذا ما ذكرت يوماً فقلد خنصري من محابس عبقرية

وقد جاريته بنفس المناسبة بالآيات الآتية:

دار عبود قلعة حيدرية	مركز للمناقسب العلوية
ولذاكر الشهيد فيها نشيد	رددته حناجر جهورية
يتبارى بلكرها أدباء	زيتها قصيدة وائليه
نظمت للقريض خير عقود	نعتها ببقعة نجفيه
بوركت داركم ومن حلّ فيها	فهي مهوى الأخلاق والأريجيه
إن تميل الديار شرقاً وغرباً	فهسي شرقية ولا غريبه
صائع التبر يخسأ التبر	ان ينال منك نفساً أليه
أنت رغم الظروف عزّ ومجد	ومشال لنخوة يعربيه
حاج عبود مجمع لصفات	بعضها حلوة وبعض قويه
إن يزجر فيالها نبرات	راعداً وشممة مذهبيه
أو يرحب بضيفه فهو لطف	تغمر الضيف منه نفس سخيه
يا صنوف الطعام في بيت عبود	دجاجاً أو قيمة نجفيه
وإذا ما نسيت لا أنسى شيئاً	عسند عبود باجة عالميه
حاج عبود هذه خطرات	من محب يهديك أركى التحيه
فتقبل يا ابن الجواد عقوداً	ثم صغها بسبحة عبقرية
يا سعيد العلاء إليك قصيدي	قلته للدعابة الموسمية

وفي نفس السياق ما قاله مادحاً السيد حمدي نجيب تحت عنوان
وارث المجد:

أبا ماجد لا الحمد يقوى ولا الثنا لشكر أياد منك بيض كرائم
وذلك أرت فيك لا عن كلاله لأنك فرع من أرومة هاشم
سيفي بأعماقي امتنان لما له صنعت سيجري في عروقي وفي دمي (١)
ومن حسنات الدهر أن يظفر الفتى بمثلك فالإخوان خير الغنائم
وله مؤرخاً ولادة السيد النجيب:

وإني نجيب فحيّ حمدياً به شكراً لوأهبه على الآلاء
قد أسعد الأبوين والأختين إذ وإني فهم فيه من السعداء
ولما جسد ولشاكرك وليعرب أحلى أخ يدعى ليوم إخاء
بسقت أرومته فقلت مؤرخاً (هذا النجيب سلالة النجباء)
وفي قطعة ثالثة تحت عنوان (حمدي)

لعيون الصغير حمدي عندي أي حشد من أمنيات وود
أمنيات بالسعد واليمن والـ خير وما لمثل هذا يؤدي
وحياة كريمة بين أم وأب ينشقان منه بسورد
وحنان لشاكرك وأخيه يعرب ولما جد صنو مجد
صيف هذا الشعور بالشعر ممن لبني هاشم يدين بعقد
إن ميلاده وشعري إيقاع أشاع السرور في كل بعد

(١) هكذا ورد وهذا لا يجوز في الشعر .

لشقيق النجيب حمدي بن حمدي

فأروى إيقاعه وأرّخ لشعره
وله أيضاً:

غراً تخبر عن شعر اليك سعى-
إذا تمايل غصناً حوله سجعا
اعراق شائخة والعرق ما نزعاً
تلك القرائح في مغناك متجعاً
أو يدخل المتنبى فيه ما نفعا
أصغى إلى الفكر والآداب واستمعا
تقل عن بيت شعر للعلا جمعاً
عند وفاة المرحوم الأديب الشيخ

أبا الأماجد جاءني رسالتك الـ
فهز منك وللشادي سجيته
لو لم تكن هاشمي العرق تنزع عن
لما اهتززت لأشعار وما وجدت
فبعضهم لو دحست البحرني به
فسارفع إلى الله شكراً أن تكون فتى
أجل وعينيك فالدنيا بها جمعت

ومن فنه اللبق في التخلص الذكي
محمد جواد الدجيلي في دمشق، طلب منه بعض أرحامه أن يكتب لهم
أبياتاً ينقشونها على قبره فكتب لهم:

كتب الله له الموت هنا

الدجيلي الجواد ابن الرضا

وبقرب ابنته قد دفنا

في ثرى حيدرة مولده

وليس في البيتين سوى أن الشيخ جواد الدجيلي ولد في النجف
وتوفي ودفن في الشام، لا أكثر ولا أقل.

ونكتفي بهذه النماذج التي لم نطبع في دواوينه، ومن أراد المزيد من
قصائده العصماء وأشعاره الرائعة فليرجع إلى دواوينه المطبوعة،
فسيجد حديقة غناء، وتجدر الإشارة كذلك إلى الجزء الأول من كتاب
من لا يحضره الخطيب فلقد نشرت له هناك باقة ولائمة ملونة تعبق
بمختلف مناسبات أهل البيت عليهم السلام

ويا شعر إن رمت الخلود وعجده فصل على يوم الحسين وسلم

لا شك أن التأليف فن قائم بذاته كفن الخطابة وكموهبة الشعر وغيرها من الفنون والمواهب الأخرى وسبق أن أشرت في الترجمة المختصرة للأستاذ الوائلي في كتابي (أدب المنبر الحسيني) إلى أنه خطيباً أفضل منه كاتباً، فالكتابة والتأليف لها فرسانها الحقيقيون ذوو الأرقام الرشيقية والسواعد المشمرة للذود عن العقيدة بالأرقام العلمية والموسوعات الغزيرة العلم الدسمة المادة، ويتمثل هذا الإتجاه بالشيخ الأميني في غديره والسيد العسكري في تحقيقاته والقرشي في مصنفاة عن أهل بيت النبوة والسيد جواد شبر في موسوعة أدب الطف والشيخ أسد حيدر في مؤلفاته والسيد عبد الزهراء الخطيب في مصادره والشيخ شمس الدين والسيد فضل الله والشيخ مغنية والسيد هاشم معروف في انتاجهم وجهودهم الجبارة وغير هذه النماذج المتألقة في الذود والدفاع عن أهل البيت بأقلامهم وكتاباتهم التي تعتبر معالم شاخصة ومنايع ثرة ومناهل متدفقة في بث الوعي والتنوير والثقافة الفكرية والعقائدية، وحاول الأستاذ الوائلي أن يقتفي هذا الأثر من خلال كتيب أسماء (هوية التشيع) بذل جهداً فيه ليثبت أن التشيع عربيّاً وليس فارسياً، وذلك حق ولكنه ليس مبتكراً ولا جديداً وإنما هو معاد ومكرر وكتب فيه جملة من علمائنا الأعلام كالشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الشيعة في الميزان والشيخ محمد حسين الزين في كتابه الشيعة في التاريخ، والشيخ المظفر في كتابه تاريخ الشيعة وآدم متز في الحضارة الإسلامية، والخوارج والشيعة للمستشرق فلهوزن وغيرهم ممن أشبع هذا الموضوع بحثاً وتحقيقاً فلم يأت شيخنا المترجم بجديد، ولم يعط الصورة الشاملة لهوية التشيع،

ولم يستوعب كلما يتعلق بالهوية الشيعية من مؤاخذات وردود، ولم يبرز الهوية الشيعية كما ينبغي أن تبرز بجلاء ووضوح واستيعاب وشمول. وإني أعتقد وبلا أدنى مجاملة أن الهوية الحقيقية للتشيع استوعبها استيعاباً علمياً شاملاً الكتاب القيم للأستاذ السيد عبد الله الغريفي تحت عنوان «التشيع نشوءه مراحلته ومقوماته». ولم يبق سوى كتاب من فقه الجنس في فنواته المذهبية وهو الآخر تضمن أبحاثاً مطروقة ومواضيع مكررة وبالأخص فيما يتعلق بنظام المتعة أو الزواج المؤقت الذي وضعت فيه عدة دراسات علمية قديماً وحديثاً.

وله كيريس صغير تحت عنوان «نحو تفسير علمي للقرآن» ضمن سلسلة من هدى القرآن. أما غير ذلك فله كتابان هما عبارة عن رسائل جامعية قدم إحداها لنيل الماجستير وعنوانها «أحكام السجون» وهي مطبوعة ومتداولة والأخرى رسالة الدكتوراه وهي بعنوان «استغلال الأجير وموقف الإسلام منه» ولم يطبع. وبذلك تتلخص لنا مؤلفاته بما يلي:

- | | |
|--------------------------|---------|
| ١- نحو تفسير علمي للقرآن | مطبوع |
| ٢- هوية التشيع | مطبوع |
| ٣- من فقه الجنس | مطبوع |
| ٤- ديوان شعر ١، ٢ | مطبوع |
| ٥- أحكام السجون | مطبوع |
| ٦- استغلال الأجير | لم يطبع |

وسمعت منه أن له بعض الكتابات المخطوطة وبعض المواد الجاهزة وبعضها لا يزال في دور الفكرة والتخطيط، كالأوليات عن الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام، والخليفة الحضارية للنجف الأشرف،
ومتجع الغيث في الصحابة من بني ليث وحماية الحيوان في الشريعة
الإسلامية وغيرها.

ولم يعرف عن الأستاذ الوائلي أنه كتب مقالات أو أخرج تحقيقات
أو أبحاث في الصحف أو المجلات الإسلامية أو غيرها إلا على سبيل
التزوير اليسير جداً. وما رأيت له تقديماً أو تصديراً لكتب ومطبوعات
سوى كتابي (من لا يحضره الخطيب) وربما عدم الوجدان لا يدل على
عدم الوجود.

الوائلي ومنتديات النشر :

متمتدى النشر مؤسسة ثقافية دينية، ومدرسة نموذجية متميزة،
أسسها الحجة الراحل الشيخ محمد رضا المظفر بمساندة ومشاركة ثلة
من رجال العلم والفضل في النجف الأشرف منهم السيد يوسف
الحكيم والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ مسلم الجابري والسيد جواد
شبر والشيخ محمد رضا فرج الله والسيد عبدالحسين الحجار والشيخ
عبدالله السبيتي والشيخ محمد صادق القاموسي والشيخ عبدالمهدي
مطر والسيد محمد صادق الصدر والسيد محمد جمال الهاشمي والشيخ
محمد حسين المظفر والسيد هادي فياض والشيخ علي سهاكة والشيخ
محمد طه الخويزي والسيد محمود الحكيم، مع تعاون نخبة من رجال
المال والادارة كالحاج رؤوف شسلاش، والسيد هاشم الصراف
وغيرهم، وفوق كل ذلك وفي مقدمة المؤازرين والمؤيدين كان مرجع
عصره السيد أبو الحسن الأصفهاني وكان لدعمه وتأويله أبلغ الأثر في
نجاح المشروع برغم الرياح العاتية والمعارضة الشديدة التي هبت في

طريق طموحاته وأهدافه. وكان التأسيس سنة ١٣٧١ هجرية (١) واستمرت هذه المؤسسة الرسالية تؤدي دورها بإشراف هذه الكوكبة من علمائنا الأعلام الذين أوقفوا أنفسهم لنشر مفاهيم القرآن وفق مبادئ أهل بيت النبوة.

وعاصر الوائلي نهضة المنتدى وانتسب لمدارسه تلميذاً وأستاذاً ثم شغل منصب السكرتارية فيه في مطلع السبعينات، وفي منتصفها أنتخب رئيساً لجمعية المنتدى ومارس نشاطه الثقافي وعمله الديني بعقد الندوات وطباعة المؤلفات، وفي فترة رئاسته زرتة في مكتبه بناية المنتدى مع زميلي الخطيب الفذ السيد عبدالرزاق القاموسي ولا تفوتني الإشارة إلى نقطة في ذاكرتي من ذلك العهد وهو الاحتفال الذي أقيم بناية المنتدى تكريماً للكاتب المصري المعروف الأستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود صاحب كتاب الإمام علي بن أبي طالب، حيث كرمه الوائلي بقصيدة عصماء مطبوعة في ديوانه جاء فيها:

طلعت فلاح الفكر والمقول الحر ولحت فبانت في مفاتها مصر
ومصر كفآت وحشد مواهب بكل مجال رائع عندها جذر
أفتاح هذا مربع في ترابه لحيدرة جسم وفي أفقه فكر
فان قيل هذا قبره قلت أربعوا أهذا الكيان الضخم يجمعه قبر
وأ تذكر كذلك في مجلس عقد في بيت الوائلي نفسه في منطقة الحنانة في النجف الأشرف بحضور جماعة من الأدباء أتذكر منهم شاعر أهل البيت الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي، فطلب مني الوائلي أن أتيت به بالشريط المسجل لقصيدته من بيت أحد الأصدقاء فأحضرته فوراً

(١) الموسم العدد الثاني لسنة ١٩٨٩م ص ٤٥٥ .



المؤلف يصافح الوائلي ويبدو الشيخ المهاجر والسيد الحلو والدكتور جمال الدين.



الوائلي في زيارة للمؤلف ويظهر السهلاني الأب والابن.

وتخلق أولئك الأدباء حول المسجل يسمعون القصيدة بصوت الوائلي ولدهق أقول رأيت الفرطوسي يهتز ارتياحاً لمقاطع القصيدة ويستجيد مقاطعها وأبياتها.

والخلاصة أن الوائلي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجمعية المنتدى وواكبه في مختلف الظروف وعایش الأحداث والزوابع التي هبت بوجهها من المعارضين لفكرة انشائها وسائرها في السراء والضراء حتى ألقىت إليه مقاليد الرئاسة، وتسلم منصب العمادة وكان به لائقاً وخليقاً.

الوائلي والسياسة :

في هذه المحطة الهامة من ترجمة الأستاذ الوائلي لا بد من التوقف الاضطراري والاشارة الاجمالية إلا أنه في هذه العوالم بين مدّ وجزر ولاسيما وأنه لا ينقصه الدهاء ولا تعوزه اللباقة فهو الذي يتكيف ويتأقلم مع مختلف الظروف وبأسلوبه الخاص وبشخصيته المقبولة، وكأنه بذلك اتخذ من حكمة الامام أمير المؤمنين عليه السلام شعاراً له في ميادين السياسة وهي: «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب ولا وبر فيسلب» لقد عاصرناه في أحلك الشدائد وأمرّ التكبّات التي تعرضت فيها أمتنا للتمزق والتشريد ومقدساتنا للهتك والاعتداء، فما رأينا له شخصاً ولا سمعنا له صوتاً!!.

لقد تلاحقت الضربات الموجعة على الشعب المضطهد، ومرت السنون العجاف وتجرع أهلنا مرارة القهر والاذلال في السداخل والخارج فلم ينبس بينت شفة، ولم يسجل له في التاريخ السياسي المعاصر موقف واضح أو معلم بارز من معالم الدفاع والمسؤولية، وهو الرجل القوي المسموع الكلمة المؤثر الشخصية متذرعاً بأنه يعمل على شحن النفوس بطريق غير مباشر من فوق منابرهِ بمنطقة الخليج!!.

ومتعللاً بمبررات وعلل مرفوضة جملة وتفصيلاً، فلم نسمع له دويًا في خطبة نارية تلهب المشاعر وتشعل النفوس وتشحن الجماهير نقمة وسخطاً وتأخذ مفعولها في إحداث موجة من التذمر والاستياء والتمرد الذي له نتيجة إيجابية أو حصيلة بارزة.

ولم نسمع له مشاركة في المؤتمرات العالمية التي عقدت في أشد الأزمات المصرية، بل ولم نقرأ أو نسمع له حتى عملاً أدبياً في قصيدة أو مقطوعة شعرية يصور بها الجرح النازف والكرامة المهذورة لشعب مغلوب على أمره كما كان يفعل بقصائده الفلسطينية!!

يتفجر الوائلي شعراً وتفاعلاً مع سناء محيدي وزيد الكاظمي وسواهما ويتجاهل تأبين أعظم شخصية عرفها تاريخ الشهداء المعاصرين تلك هي شخصية سيد شهداء العصر الإمام الصدر رضوان الله عليه، ومن بعده الخسارة الجسيمة برحيل إمام الثورة الإسلامية السيد الخميني قدس سره، كل ذلك لم يحرك عند الوائلي شعوراً شاعرياً مرهفاً حساساً!! فلم يحرك ساكناً ولم ينبس ببنت شفة!!

هذا ما عاصرناه ورأيناه رأي العين عن مواقفه السياسية المعاصرة، أما عن تاريخه السياسي فيشار إلى أنه دخل معترك السياسة بانتمائه إلى حركة جماعة العلماء في النجف الأشرف وكان من الأعضاء الأوائل فيها وكانت أهدافها نشر كلمة الله والدفاع عن حقوق الشعب العراقي ورفع الحيف والظلمة عنه، ثم من تاريخه السياسي استبساله أمام المد الأحمر الذي اجتاح العراق في أواخر الخمسينات وتعريضه بالمؤسسة السياسية وتأليب الجماهير على الحكم القائم وانتقاده لعبدالكريم قاسم عبر قصائده وأشعاره ثم جاءت فترة حكم الرئيس

المحترق عبدالسلام عارف ونعراته الطائفية، وكان الوائلي لساناً سليطاً
وسيفاً مصلتاً بوجه البغاة والمتربصين السوء دون خوف أو وجل.

ولا ندري ما حدى مما بدى حتى أخلد الشيخ إلى الصمت ولاذ
بالسكون واشتمل شملة الجنين وقعد حجرة الضنين (ولعل لها عذراً
وأنت تلم).
وأنت تلم).

وضعه الاجتماعي :

تعدد الزوجات قانون طبيعي وحق مشروع أقره الدين ومارسه
الانسان في مختلف مراحل حياته إلا أنه كان فوضوياً فحدده الإسلام
بضوابط ورسمت له الشريعة شروطاً وأحكاماً، وإغلاق هذا المنفذ
الفطري في الحياة أمر متعذر ومستحيل يستوجب الحرج والمشقة
ويثقل كاهل الانسان بمزيد الاضطراب والمعاناة وخصوصاً في بعض
المعادلات الاجتماعية والحالات الخاصة وفي هذا الباب من ترجمة
الأستاذ الوائلي نُؤشر إلى أنه تزوج ثلاث مرات:

١- الزواج الأول: من المرأة الصالحة أم ولده الأكبر سمير ولم يدم
هذا الزواج طويلاً حتى تم الانفصال والسمير يحبو في طفولته المبكرة،
وهذا سبب القطيعة بينه وبين أبيه.

٢- الزواج الثاني: من العلوية الفاضلة ابنة السيد محمد حسين
السيد عيسى الطالقاني: وهي أم أولاده الذين يهيم الوائلي بحبهم
ويتعرق شوقاً لرؤية وجوههم وهو في بلد المهجر وهم الأستاذ محمد
حسين وعلي وحسن من الذكور وستة من الإناث وله فيهم قصائد في
ديوانه الأول.

٣- الزواج الثالث: من المؤمنة الطيبة كريمة المرحوم الشيخ جعفر

العنابي وله منها طفلتان هما آخر العنقود جمانة وخولة وله فيها أشعار وقصائد مطبوعة على صفحات ديوانه الشعري.

وإلى هنا نكتفي بهذا القدر ونطوي ملف ترجمة الشيخ الوائلي، ولا أدعي بأني استقصيت كل شؤونه، وأحطت بكامل سيرته الذاتية ولكن حسبي أني سجلت عنه بعض الانطباعات الصادقة دون مجاملة أو التواء، ورسمت بعض المعالم الشاخصة في تاريخ حياته وعساني أوفق لأفراد دراسة مستقلة وشاملة أدون فيها تفاصيل أوسع، ومذكرات أوفى وأشمل والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

A highly detailed, black and white decorative border with intricate Islamic geometric and floral patterns. The border features repeating motifs of interlocking lines and stylized floral designs, creating a complex, symmetrical frame. In the center of this frame is a large, white, cloud-like shape with scalloped edges. Inside this central shape, the Arabic text 'دليل المعجم' is written in a bold, black, stylized calligraphic font.

دليل المعجم

الفهرست

الموضوع	الصفحة
البسملة	٥
لوحة الحمدلة	٧
صور المؤلف	٩
الاهداء	١١
المقدمة	١٣
المدخل	٢٥
خطباء في ذمة الخلود	٥١
السيد صالح الحلبي	٥٣
السيد كاظم الخضري	١١٣
السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب	١٣٣
الشيخ عبدالزهراء الكعبي	٢٢٧
خطباء على قيد الحياة	٢٥٥
السيد جواد شبر	٢٥٧
الشيخ أحمد الوائلي	٣٥١
دليل المعجم	٤٠٣

